

کتابخانه آصفیہ سرکار عالی حیدرآباد دکن

————— (※) —————

نمبر داخلہ ۵۳۲۳

تاریخ داخلہ
نام کتاب ... کتاب الاستقصا لاخبار دولہ ہند الاصل

فہم کتاب تاریخ

نمبر کتاب در فہم مذکور ۵۷۶

4216
-S/A

0.41	وانيسية
۳۳۷	
ع۱۵	

•

فهرست الجزء الاول من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى

حكيمة	حكيمة
٤٦ ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب	٣ مقدمة في فضل علم التاريخ
٤٧ ولاية بشر بن صفوان على المغرب	٤ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
٤٧ ولاية عميدة بن عبد الرحمن على المغرب	٩ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٤٨ ولاية عميد الله بن الحجاب على المغرب	١٣ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
٤٩ ولاية كاثوم بن عياض على المغرب ومقتله	١٧ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان
٥١ ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب	٢١ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٥١ ذكر صالح بن طريف البرغواطى المنفي ومخرقته	٢٨ القول في نسب البربر وبيان أصلهم
٥٢ الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب	٣٠ القول في تقسيم شعوب البربر على الجملة
وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم	٣١ الخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض
٥٤ استيلاء الياس بن حبيب على المغرب	أمصار المغرب القديمة وما قبل ذلك
٥٤ استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتله	٣٣ القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد
عاصم بن جميل المنفي ومقتله	الاسلام
٥٥ استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب	٣٤ ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وفتح
٥٥ استيلاء عبد الاعلى بن السمخ على المغرب	برقة وطرابلس
وظهور الصفرية من آل مدرار الكاسيين	٣٥ ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتحه
٥٧ ولاية محمد بن الاشعث على المغرب وبنائهم	افريقية
مدينة سجلماسة	٣٦ ولاية معاوية بن حديج على المغرب
٥٧ ولاية الاغلب بن سالم التميمي على المغرب	٣٦ ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائهم
٥٨ ولاية عمر بن حفص هزارمر على المغرب	مدينة القيروان
٥٨ ولاية يزيد بن حاتم على المغرب	٣٧ ولاية أبي المهاجر دينار وفتح المغرب الاوسط
٥٩ ولاية قرواح بن حاتم على المغرب	٣٨ ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتح المغرب
٦٠ القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا	الاقصى ومقتله
٦٤ الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى	٣٩ ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة
٦٧ دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى	أسماء وأهملهم على حروف المعجم
٦٨ بيعة الامام محمدر يس بن عبد الله رضي الله عنه	٤١ ذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل
٦٨ غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى	فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك
وفتحها اياها	٤٢ ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل
٦٩ غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط	كسيلة وما يتبع ذلك
وفتح مدينة تلمسان	٤٢ ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه
٦٩ وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك	قرطاجنة
٧٠ أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله	٤٣ ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتح الاندلس
٧٠ الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية محمد بن يزيد على المغرب
٧١ وفود العرب على ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على
٧٢ بناء مدينة فاس	المغرب

صحيفة	صحيفة
٨٦ قدوم القائد جوهري الشيباني من افرريقية الى المغرب واستيلاؤه عليه	٧٤ غزو ادريس بن ادريس المغربيين واستيلاؤه عليهما
٨٧ قدوم بلال بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيباني من افرريقية الى المغرب	٧٥ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله
٨٧ قدوم غالب الاموي الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس	٧٥ انخبر عن دولة محمد بن ادريس
٨٨ حدوث الغفرة بين الحكم والحسن	٧٥ حدوث الفتنة بين بني ادريس
٨٨ عود الحسن بن كنون الى المغرب ومقتله	٧٦ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله
٨٩ انخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن	٧٦ بناء مسجد القرويين بفاس
٩١ انخبر عن دولة زيري بن عطية المغراوي بفاس والمغرب	٧٨ انخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس
٩١ حديث أبي الهيثم الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك	٧٨ انخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس
٩١ وفاة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالاندلس	٧٨ انخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس
٩٢ استيلاء يدو بن يعلى اليفرني على فاس ومقتله	٧٩ انخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس
٩٢ بناء مدينة وجدة	٧٩ استيلاء العبيديين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدوم قائدهم مصالة بن حبوس
٩٢ حدوث الغفرة بين زيري بن عطية والمنصور ابن أبي عامر وما نشأ عن ذلك	٨٠ عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الخيام بن محمد بن القاسم بن ادريس
٩٢ قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنها	٨٠ خروج الحسن الخيام لقتال موسى بن أبي العافية
٩٤ بقية أخبار زيري بن عطية	٨١ انخبر عن دولة آل أبي العافية المسكناسيين
٩٤ انخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغراوي	٨١ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النسر
٩٥ انخبر عن دولة حمامة بن المعز بن عطية المغراوي	٨١ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان
٩٥ انخبر عن ثورة أبي الكلال تميم بن زيري اليفرني واستيلائه على فاس وأعمالها	٨٢ انخراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك
٩٦ انخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي	٨٢ ثورة أجد بن بكر الجنداي بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك
٩٦ انخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي	٨٢ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية
٩٦ انخبر عن دولة معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي	٨٣ بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب
٩٧ انخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوي	٨٤ انخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاد الريف
٩٨ انخبر عن الدولة الصنهاجية التونسية المرابطية	٨٥ انخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس
٩٩ انخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم السكدي	٨٥ انخبر عن دولة أبي العيش أجد بن القاسم كنون
١٠٠ انخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصعراء وابتداء أمره بها	٨٥ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها
	٨٥ هجرة أبي العيش الى الاندلس بقصد الجهاد
	٨٦ انخبر عن دولة الحسن بن كنون

صحيفة	صحيفة
١٣٧ بقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته	١٠٠ شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه
١٣٩ الخبر عن دولة عبد المؤمن بن علي الكوي	بالدعوة وما كان من أمره في ذلك
١٤٠ بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها	١٠١ الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تسلا كين
١٤١ غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين	اللتوني
١٤٢ فتح مدينة فاس	١٠١ الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر بجلماسة والسبب في ذلك
١٤٣ فتح مراکش واستئصال بقية اللتونيين	١٠٢ الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس
١٤٤ نورة محمد بن هوو السلاوي المعروف بالماسي	١٠٣ فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم
١٤٥ انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم	١٠٥ غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحها اياها
١٤٦ أخبار الاندلس وفتحها	١٠٥ عود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء
١٤٧ قدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة أهل الاندلس عليها	١٠٦ الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
١٤٨ غزو افريقية وفتح مدينة بجاية	١٠٧ بناء مدينة مراکش
١٤٩ فتح المريوة ورياسة وأبده	١٠٨ فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب
١٤٩ قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على النواحي بها	١٠٩ فتح سنة وطنجبة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس
١٤٩ ايقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك	١١١ الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس
١٥٠ ايقاع يحيى بن يعقوب بأهل لبلة وامرافه في ذلك	١١٩ بقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد
١٥٠ أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة	١٢٣ الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني
١٥٠ نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراکش وبناء جامع الكتبيين بها	١٢٣ خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين
١٥٢ نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها	١٢٤ أخبار الولاة بالمغرب والاندلس
١٥٤ غزو افريقية ثانيا وفتح المهدي وغيرها	١٢٥ أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوازه الاقل الى بلاد الاندلس
١٥٦ توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب	١٢٥ استيلاء العدو على سرقسطة
١٥٦ بناء عبد المؤمن جبل طارق	١٢٦ ولاية الامير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الاندلس وأخباره في الجهاد
١٥٦ بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء	١٢٧ الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني
١٥٧ عبور عبد المؤمن الى جبل طارق	١٣٠ أخبار عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي
١٥٧ قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه	
١٥٨ استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته	
١٥٨ بقية أخبار عبد المؤمن وسيرته	

صحيحة	صحيحة
١٩٠ ثورة ابن الفرس وما كان من أمره	١٥٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد
١٩١ غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين	المؤمن بن علي
١٩٣ وفاة الناصر روجه الله	١٦٠ ثورة سبع بن متغاد بجبال غمارة
١٩٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر	١٦٠ الجواز الأول لامير المؤمنين يوسف بن
بالله ابن الناصر بن المنصور روجه الله	عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد
١٩٥ الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد	١٦١ غز وأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن
المخولع ابن يوسف بن عبد المؤمن روجه الله	بلاد افر بيقية وفتح مدينة قفصة
١٩٦ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن	١٦٢ الجواز الثاني لامير المؤمنين يوسف بن عبد
المنصور روجه الله	المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد
١٩٧ الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ووزارة	١٦٣ بقية أحبار أمير المؤمنين يوسف بن
يحيى بن الناصره	عبد المؤمن وسيرته
١٩٧ ثورة محمد بن أبي الطواحين الكحامي بجبال غمارة	١٦٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله
أخبار الثوار بالاندلس	يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
١٩٨ قدوم أبي العلاء المأمون بن المنصور من	١٦٤ خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن
الاندلس الى مراكس وما اتفق له في ذلك	غانينه علي يعقوب المنصور
٢٠٠ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن	١٦٥ الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم الى
المأمون بن المنصور روجه الله	أرض افر بيقية ثم منها الى المغرب الأقصى
٢٠١ قنسة انلظ مع الرشيد واستيلاؤهم على	١٧٢ الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض
حضرة مراكس	المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم
٢٠٢ هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة	وبطونهم
وحصارهم اياها	١٧٤ الجواز الأول ليعقوب المنصور روجه الله الى
٢٠٢ عود الرشيد الى مراكس وفرار يحيى عنها	الاندلس بقصد الجهاد
الى بني معقل ومقتله بهم	١٧٤ مر اسئلة السلطان صلاح الدين يوسف بن
٢٠٣ وفاة الرشيد روجه الله	أيرب صاحب مصر ايعقوب المنصور
٢٠٣ الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن	وجهما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد
المأمون بن المنصور روجه الله	١٧٥ عود المنصور الى افر بيقية والسبب في ذلك
٢٠٤ نهوض السعيد من مراكس الى غزوات الثوار	١٧٥ الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس
بالمغربين ومحاصرته بغير اسن بن زيان	١٨٠ ذكر ماشده المنصور روجه الله من الاندلس
٢٠٥ الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن	بالمغرب والاندلس
السعيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن	١٨١ بقية أخبار المنصور وسيرته
٢٠٧ انتقاض أبي دوس على المرتضى واسن لاؤه	١٨٣ وفاة يعقوب المنصور روجه الله
على مراكس ومقتل المرتضى عقب ذلك	١٨٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد
٢٠٨ الخبر عن دولة أبي العلاء ادريس الوائلي بالله	الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله
المعروف بأبي دوس	١٨٩ غزو الناصر بلاد افر بيقية وولاية الشيخ
	أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك
	١٩٠ فتح جزيرة ميورقة

الجزء الاول

من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وحيد

الاون وفريد الزمان ببحر العلوم الراوى

الشيخ أحمد بن خالد الناصرى

السلوى حفظه الله

وأدام علاه

آمين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



كتاب
الاستقصا
لخبار
دول
المغرب
الاقصى

الحمد لله	الحمد لله	الحمد لله
١٦٠٥	١٦٠٥	١٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يقول مؤلف هذا الكتاب أحسن الناسرى عفا الله عنه انى التمس ممن يقف عليه من ساداتنا العلماء وفرهم الله أن ينظر فيه بعين الانصاف حسب الامكان بل ويعين الاضواء عما لا يكاد يسلم منه انسان وأن يعاملنا فيه بمنقضى قول القائل ومن ذا الذى ترضى سبحانه كلها كفى المرء نبلاً ان تصابعه وقته قال الامام مالك رضى الله عنه كل كلام منه مقبول ومردود الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم واذا كان الشيخ خليل رضى الله عنه على علو قدره فى العلم والتحقيق وطول باعه فى السير والتأليف يقول وأسأل بلسان التضريح والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بعين الرضا والصواب الخ فماذا عسى تقول نحن خيالة الخيالة فى هذا الزمان الذى انعمى فيه من العلم حقيقته ورسحه ولم يبق منه الا اسمه اللهم استرعونا راتنا وآمن روعاتنا واغفر زلاتنا وارحم بفضلنا يا أرحم الراحمين يارب العالمين آمين وكتب فى واسط رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٦

الحمد لله الملك المعبود الرف الرحيم الودود الخرج الخلق من ظلمة العدم الى نور الوجود الفاتح عليهم بجمع قوته والتحقق بوحدانيته كل باب مسدود الدال لهم على باهر حكيمته وعظيم قدرته بالمعنى المعقول والخس المشهود فلا يرتاب فى انه الواحد القدير العلم الخبير الا الكفور الكنود خالق العباد وقرآجهم وأحصى أنفاسهم وأعمالهم وأوقفهم من شرعه على نهج سوى وحد محمدود فن وقف عنده وأطاع فقد داف من عمرة الاجباد بالمقصود ومن جاد عنه واستكبر فقد أورد نفسه الردى ونس الورد المورود ونحمده تعالى على ما أسبغ من النعم البيض وكسا من البرود وأزاح من الملل ووقى من النوب السود ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنبوا بها من الجنان السدر المنضود والطح المنضود والاطل المهدود ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله أكرم مبعوث وأشرف مولود صاحب المقام الحمود واللواء المعقود والحوض المورود صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم فى محافل السلم بدور وفى تحافل الحرب أسود ولهم فى اتباعه ونصرته اليد البيضاء والباع المهدود والدعاء لامير المؤمنين مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن كوكب السعود ومنبع الكرم والجود والمنير بطلعته الغراء وامامته البيضاء الاغوار والنجد لا زالت به ملة الاسلام يحول الله فى صعود ندى الكفر وتنفي البنى وتزود وتصول على الضلال وتسود آمين وبعد فيقول مؤلفه أجد بن خالد الناصرى السلاوى عفا الله عنه هذا بعون الله كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى كتاب جمعه لنفسى ولبن شاه الله من أبناء جنسى ذكرته فيه دول هذا القطر المغربى من لدن الفتح الاسلامى الى وقتنا هذا الذى هو آخر القرن الثالث عشر سال كافيما أتقبله من ذلك سبيل الاختصار أيامه بما تمسوا اليه النفوس من حوادث الاعصار مملعا بما لا بد منه من وفيات بعض الأئمة المقدي هم فى الدين متبركا أولا بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين مثيرا من النقول أحكامها ومن العبارات أفصحها والله تعالى المسئول فى بلوغ المأمول فنه سبحانه المنة والطول ويده تعالى القوة والحوال

مقدمة في فضل علم التاريخ

اعلم ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرنا وأنفعها عائدة وذخرا وكفاه شرفا ان
 الله تعالى شجن كتابه العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أخبار الأمم الماضية
 والقرون الخالية بما أحفهم به أكار أهل الكتاب وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب ثم لم يكنف
 تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما أسداه اليه من الخير العميم فقال جل وعلا
 تلك القرى نقص عليك من أنباءهم وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال لقد كان
 في قصصهم عبرة لأولى الألباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم
 الذين قبلهم ويحكي من ذلك ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم ويؤكده فضاهم وكتاب بدء الخلق من
 صحيح البخاري رحمه الله كفيلا هذا الشأن وأت من القدر المهم منه بما يرد غلة العطشان (قال بعضهم)
 احتج الله تعالى في القرآن على أهل الكفاين بالتاريخ فقال تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم
 وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (وحكي بدر الدين القرافي رحمه الله) ان الامام
 الشافعي رضي الله عنه كان يقول ما معناه دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة وما قرأته الا لاستعين
 به على الفقه **قلت** ومعنى كلام الشافعي هذا ان علم التاريخ لما كان مطعما على أحوال الأمم والاجيال
 ومفصحا عن عوائد الملوك والاقبال وميناهن أعراف الناس وأزيائهم وخطاهم وأديانهم ما فيه عبرة
 لمن اعتبر وحكمة بالغة لمن تدبر وافتركر كان معينا على الفقه ولا بدو ذلك ان جل الاحكام الشرعية مبني
 على العرف وما كان مبني على العرف لا بد ان يطرد باطراده وينعكس بالنعكاس ولهذا ترى فتاوى الفقهاء
 تختلف باختلاف الاعصار والاقطار بل والاشخاص والاحوال وهذا السبب بعينه هو السر في اختلاف
 شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بالآخر ومحمد بسوى ذلك صلى
 الله على جميعهم وسلم ثم فائدة التاريخ في ليست محصورة فيما ذكرناه بل له فوائد أخر جلية لوقيل بعدم
 حصرها ما بعد (قال الجلال السيوطي رحمه الله) من فوائد التاريخ وقوعه رئيس الرؤساء المشهوره مع
 اليهود ببغداد وحاصلها انهم أظهر وارثا قديما ينضمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط
 الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرفع الرسم
 الى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ثم عرض على الخافظ أبي بكر الخطيب البغدادي قتله
 وقال هذا امر ورفيق له بمعرفة قال فيه شهادة معاوية وهوائا أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة
 وخيبر ففتح سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو مات يوم بني قريظة وذلك قبل فتح خيبر فسر الناس
 بذلك وزالت حيرتهم اه (قال العلامة القادري في الازهار الندية) وفي حدود صدر هذه المائة أعنى
 المائة الحادية عشر ظهر نحو هذا الكتاب للزور جمعناه والرفع على مخطوطه بتاريخ سبع وعشرين
 وسبع مائة بالوحدة ثم ظهر أيضا بتاريخ ست وثمانائة ثم تعدد ظهوره مرارا آخرها سنة اثنتين
 وأربعين وألف مسمى فيه جماعة من شهرتهم بالدين والعلم فاطعة بالتقول عليهم في ذلك انظر بقية كلامه
قلت وقد وفتت في بعض التقايم المظنون بها الصحة على كلامه لا ديب أبي عبد الله البغدادي المعروف
 بالصغير في هذا المعنى قال جرى مجلس شيخنا قاضي الجماعة فلان الفلاني ذكر علم التاريخ فقال ان علم
 التاريخ يضرب جهله وتنفع معرفته لا كما قيل انه علم لا ينفع وجهاله لانظر قال وانظر ما وقع في هذا الوقت
 في حدود عشر ومائة وألف من ان نقر من يهود فاس الجديدة امتنعوا من أداء الجزية وأخرجوا ظهيرا
 قديما ضمنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد لوسى بن يحيى بن أخطب أخى صفيية رضي الله عنها ولاهل
 بيت صفيية الامان لا يطاق أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم فعلى من أحب الله ورسوله ان
 يؤتمنهم وكتب على بن أبي طالب وشهد عتيق بن أبي كحافة وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان
 علم لا ينفع وجهاله لانظر مرورا يعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورده ببرهاتين فانظره ولكن علم النسب وعلم التاريخ متلازمان والله أعلم

قال مؤلفه عفا الله عنه
 الذي لابن خزم في صدر
 الجهره وكذا لابن عبد البر
 في صدر كتاب النسب هو
 علم النسب لا علم التاريخ كما
 هنا وانكر ابن خزم ان يكون
 ذلك أعنى ان علم النسب

وتاريخ شهادتهم في ذى القعدة سنة تسع من الهجرة قال شيخنا فظهر لي ولعلماء العصر ان ذلك زور
واقترأ لاشك فيه ولا امتراء لان التاريخ من الهجرة انما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة لاسباب اقتضت
ذلك كما في ابن حجر ولان اهل التاريخ لم يذكروا لصفية آخا اسمه موسى وانما الروي في الاحاديث انه
عليه الصلاة والسلام قتل ابا صفية وزوجها ولان الظهير الذي اسماه يظهر وابه نسخة من الاصل الذي
فيه خطوط الصحابة وقد ارجوا الاستسناخ من الاصل بسنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فقد تأخر خط
الصحابة بزعمهم الى المائة الثامنة وكيف يتوصل في المائة الثامنة الى ان ذلك خط الصحابة هذا خلاصة
ما كتبه اهل فاس في ابطال الظهير وما رفع ذلك الى السلطان المولى اسمعيل رحمه الله عاقب اليهود
عقابا شديدا (وبالجملة) فضيلة علم التاريخ شهيرة وقائده جليلة خطيرة وما دحه محمود غفر له
والحديث بفضل حديث معلوم والله در ابن الخطيب اذ يقول

وبعد فالتاريخ والخبار * فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للمستبصر استبصار * كيف أقي القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضر حكم الغائب * فثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبيل * ويترك الجهل لاهل الجهل
وقال الآخر *

ليس بانسان ولا عاقل * من لا يبي التاريخ في صدره
ومن روى أخبار من قدمضى * أضاف أعمارا الى عمره

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضى الله عنهم *

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اذبن ادد بن اليسع بن الهيمسح بن سلام
ابن نبت بن حمل بن قيدار بن اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ
ابن ارغون بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن حنوخ
ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهما السلام فاما ما بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين عدنان فتفق عليه عند علماء الاسلام واما ما بين عدنان واسمعيل فتحالف فيه اختلافا كبيرا
ما بين سبعة آباء الى نحو الاربعين والمختار ما ذكرناه تبعا لابي الفداء واما ما بين اسمعيل وادم عليه
السلام فتفق عليه عند اهل الكتاب وهي أسماء اعجمية يكثر تغييرها الصعوبة النطق بحرفها والله أعلم
وقال ابن خلدون * ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
لاربعين سنة من ملك كسرى اوشروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانائة واثنين وثمانين سنة لذى القرنين
ومات أبو عبد الله وأمه حامل به وكفله جده عبد المطالب واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر اسمها
حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية فكان عندها نحو اربع سنين وشق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عندها
في السنة الرابعة من مولده فخافت عليه وردته الى أمه ثم ماتت أمه عقب ذلك واستمر في كفالة جده
عبد المطالب الى ان توفي أيضا لثمان سنين من مولده صلى الله عليه وسلم فاوصى به عبد المطالب الى ابنه
أبي طالب فكفله أبو طالب أحسن كفالة وقام بشأنه آتم قيام ونشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة يحفظه
ربه ويكفوه ما يريد من كرامته ويهيئه من نبوته وورسالته * وتزوج خديجة بنت خويلد بن أسد
ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهد بناء الكعبة وهو ابن خمس وثلثين سنة ووضع
الحجر الاسود بيده الشريفة في موضعه بعد ان تراضت قبائل قريش عليه ثم آناه الله الكتاب والحكم

والنبوة على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم **خرج البخاري** ومسلم عن عائشة رضي الله
عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم
فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو بفراجه يصنث فيه
والتحنت المتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها
حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ
منني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان
ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال زمّلوني زمّلوني
فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي
قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أي ابن عم
اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال
له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى باليتني فيها جذع عالى تنى أكون حيا أذ ينزحك فومك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأترجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي
وان يدركني يومك أنصرك نصر أمؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي
فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال
فكلما أوفى بندرة جبل لسكى يلقى نفسه منه تمدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن
لذلك جأشه وتقر عينه فرجع فأذا طالت عليه فترة الوحي غدا المثل ذلك فيتمدى له جبريل فيقول له مثل
ذلك ثم نزل عليه بعد فترة الوحي سورة المدثر (قال العلماء) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي
عليه نبيا فقط ثلاث سنين لم يؤمر فيها بأندار ثم أتاه جبريل عليه السلام برسالة من ربه عز وجل فكان
فيما أنزل عليه في ذلك قوله تعالى وأندر عشيرتك الأقربين **وروى محمد بن اسحق** بسنده عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن
أندر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت
عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به بعد بك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل
شاة واملا لنا عسما من لبن ثم اجعل لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم
له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس
وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحشيت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة
من اللحم فشقهها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشئ
من حاجة وأيم الله ان كان الرجل الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فحشيتهم بذلك
العس فتمروا حتى رووا جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يكلمهم بدهر أوطب فقال سحركم صاحبكم فتقرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الغديا على ان هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتقرق القوم قبل ان أكلمهم فاعدت
لنامن الطعام مثل ما صنعت ثم اجعهم فضلت ثم جمعهم ثم دعاني بالطعام فقررت به ففعل كما فعل بالامس

فاكوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبدالمطلب اني قد جئتكم بخبري الدين
 والاخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازي في علي امرى هذا ويكون آخى ووصي
 وخليفة فيكم فاجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت يا رسول الله انا اكون وزيرك عليه فاحذ
 برقبتي ثم قال هذا آخى ووصي وخليفة فيكم فاسمعوا له واطيعوا لقام القوم يضحكون ويقولون لابي
 طالب قد امر لك ان تسمع لعلي وتطيع (واخرج) البخاري ومسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتک
 الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون من قريش
 حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فاجاء ابو لهب وقريش فقال
 ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقني قالوا نعم ما جبرنا عليك كذبا قال
 فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبالك سائر اليوم اهدنا جعتنا فقلت تب تب يا ابي لهب
 وتب ما اعنى عنه ماله وما كسبه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ربه صابرا محتسبا فيما يناله
 من المحن وضروب الاذى معلنا بالتذكير والانذار داعيا الى الله آناه الليل وأطراف النهار وأسلم معه
 جماعة من السابقين الى الاسلام كخديجة وعلي وأبي بكر وزيد بن حارثة وعثمان وسائر العشرة سوى عمر
 ابن الخطاب فان اسلامه كان قد تأخر قليلا ونصبت قريش العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 واقتربت كلمتهم عليه وانما بنو هاشم وبنو المطالب الى ابي طالب وتعاهد قريش على ألا ينالوا كفوهم
 ولا يبايعوهم ولا ينفعوهم بشيء ونال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا معه من الاذى
 فوق ما يوصف وهاجر جماعة منهم الى النجاشي بالحبشة فرار ابيديهم من الفتنة وحسد علي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عمه ابو طالب وقام دونه وذب عنه سفهاء قريش ومنعه منهم ما استطاع وكانت خديجة
 رضي الله عنها توارز على امره وتسليه وتمون عليه ما يلقاه من قومه فكان صلى الله عليه وسلم يرتاح
 لذلك ويخف عليه بعض ما يجد ثم توفي ابو طالب في شوال سنة عشر من النبوة ونوفيت خديجة بعد ذلك
 بيسير وكانت وفاتها ما قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصيبة
 وتتابعت عليه المحن حتى كان يسمى ذلك العام عام الحزن ونالت قريش منه ما لم تكن تطمع في نياله قبل
 ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الثلاث سنين اذا حضر الموسم خرج الى اهل العرب عني
 وطاف عليهم قبيلة قبيلة يدعوهم الى الله تعالى ويعرض عليهم نفسه ويسألهم النصره والقيام معه
 حتى يبلغ رساله اليه فان قريشا قد عنت على الله وكذبت رسوله وردت عليه كرامته ويقول فيما يقول
 يا بني فلان اني رسول الله اليكم يا مكرمك ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من
 هذه الابدان وان تؤمنوا بي وتصدقوني ولقي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من الشدايد ما رفع الله به في
 عليين درجته وأجر له كرامته وشرف منزلته وحاز به في جوار الله تعالى أكرم نزل وصار امام أروى
 العزم من الرسل صلى الله على جميعهم وسلم * ولما أراد الله ان يظهر دينه واعزاز نبيه خرج صلى الله عليه وسلم
 في بعض المواسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع فينما هو عند العقبة عني اذ لقي ستمة نفر من
 الخزرج من اهل مدينة يثرب وأهلها يومئذ قبيلتان الاوس والخزرج ويجمعهم أب واحد وهوهم من
 عرب اليمن والنفر الستة هم ابو امامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عقرأ ورافع بن مالك
 ابن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود وكانوا يحالفون قريظة
 والنضير قالوا نعم قال اذ لا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض
 عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم ببلادهم
 وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الا من مبعوث

قد أظلم زمانه من تبعه ونقتلكم معه قتل عادوارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقتكم إليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا اننا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشرا ما بينهم فغضب الله ان يجتمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك فان يجتمعهم الله عليك فلا أحد أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكر والمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوههم إلى الاسلام حتى قساقبهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم آنفا عدى جابر بن عبد الله فانه لم يحضرها وسبعة من غيرهم وهم عاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وذكوان بن عبد القيس ويزيد بن ثعلبة البلوي وعبادة بن الصامت والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء العشرة من الخزرج ومن الاوس أبو الهيثم مالك بن النيهان وعويم ابن ساعدة فلقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه بيعة النساء الا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزوروا ولا يقتلوا اولادهم إلى آخر الآية فقال صلى الله عليه وسلم فان وقيتم فاكم الجنة وان غشيتهم شيئا من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة لكم وان ستر عليكم فامركم إلى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان تفرض الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ومعه عمرو بن أم مكتوم الاعشى ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويعقدهم في الدين فكان مصعب بالمدينة يسمى المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة فاسلم على يده كثير من الاوس والخزرج منهم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيد الاوس وسعد هذا هو الذي يقول فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه

وما اهتز عرش الله من أجل هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

ولم يبق دار من دور الانصار الا فيهار جال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف بطون من الاوس وكانوا في عوالي المدينة وكان فيهم أبو قيس بن الاسات الشاعر سيد مطاعا فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد وانخندق فاسلموا كلهم ثم ان مصعب بن عمير رجع إلى مكة من العام المقبل وذلك سنة ثلاث عشرة من المبعث وخرج معه من الانصار الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان بعضهم من الاوس وبعضها من الخزرج مع حجاج قومهم من أهل النضير فلما وصلوا إلى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا به ليلا في اوسط أيام التشريق بالعقبة من منى وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب ان يعترف لابن أخيه فقال يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز ومنعنا من قومه وبلده وانه قد أبا الا ان يميز اليكم والحق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعه من خالفه فانتم وما تحماتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فن الا ن فدعوه فقالوا قد سمعنا ما قلت فنسلكم يا رسول الله ونخذلنا نفسك ولو بك ما شئت فقلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايكم على ان تمنعوني عما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابتناءكم قال فاخذ البراء بن معمر وريسه ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه اذن فبايعنا يا رسول الله فكن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كبراعن كبرفاعرض القول والبراء بك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعوق عهودا واناقاطها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهر لك الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا قتبسم رسوا

الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والدم والمهدم المهدم أنتم مني وأنا منكم أحراب من حاربتم وأسالم
 من ساءتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم
 بما فيهم ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا له اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من
 الاوس قال عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
 ابن عباد بن نضلة يا معشر الخزرج هل تدرن على ما يتبايعون هذا الرجل انكم يتبايعونه على حرب الا حمر
 والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة وأشرفكم فتسلأ سلمتموه فن الا فهو والله
 نخزي الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه على نمكة الاموال وقتل الاشراف
 نخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا نأخذها على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فالتا بذلك
 يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء
 ابن معرور ثم تابع القوم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عباد
 ابن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت ليميلن غداعلى أهل منى باسما فانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اني لم أومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم ثم انصرف القوم راجعين الى المدينة وأمر النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ينتظر الاذن
 من ربه في الهجرة وبقي معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب الى أن أذن الله لنبيه في الهجرة فهاجر
 كما هو معلوم في كتب الحديث والسير وما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أظهر الاسلام
 ونزع الاحكام وبين الحلال والحرام ونزل عليه من القرآن السبع الطوال سوى سورة الانعام فانها
 نزلت بمكة ونزل عليه قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا
 من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فكانت هذه أول آية نزلت بالاذن في القتال فخاهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في الله حق جهاده ونال من نصره الدين واعلاء كلمة الله غاية مراده وانالت عليه وفود
 العرب من كل ناحية ولبت دعوته من أماكها الدانية والقاصية وضرب الاسلام بجرانه في جزيرة
 العرب كلها وأجمع على التمسك بدينه أهل عقدها وحلها (قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفا)
 فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بلاد الخجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وماذا نأ ذلك من
 الشام والعراق وجبى اليه من أنحاسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يحصى للولك الابعضه وهادته جماعة من
 مالوك الاقاليم فاستأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهم بل صرفه مصارفة وأعنى به غيره وقوى به المسلمين
 صلى الله عليه وسلم ولما حصل المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم وأظهر الله دينه على الدين كله أنزل الله
 تعالى عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا قال المفسرون نزلت
 هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
 فكادت عضد الناقة تهتدق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة روى انه
 لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني انا كنان في زيادة
 من ديننا فماذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نبي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عاش بعدها احدى وعشرون يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلعا من ربيع
 الاول وقيل لانتى عشرة ليلة قال الخازن في تفسيره وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة فجموع
 عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة على الصحيح (أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال أنزل على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكانت ثلاث عشرة سنة وحي اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر
 الى المدينة فكانت بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة (قال الشيخ يحيى الدين
 النووي) ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين

سنة الثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أحبها وأشهرها اه وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يشرح ويبين فهو حجة الله في الارض وشهيدته على الخلق ومصطفاه من البشر والمخصوص بمنزلة النبوة وآدم بين الماء والطين ولله در ابن الخطيب اذ يقول
يا مصطفي من قبل نشأة آدم * والكون لم تنفخ له أغلاق
أبروم مخلوق نداءك بعدما * أتني على أخلاقك الخلاق

(خلافه أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

هو أبو بكر واسمه عبد الله وقيل عتيق ابن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب التيمي المعروف بالصديق يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وفي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع من الصحابة ومن تأخر عنها أول الرجوع اليها ثانيا الا ما كان من سعد بن عباد الانصاري فانه توقف عن بيعته وذلك انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهو اجماع بيعة سعد بن عباد سيدة الخبز رج لانهم كانوا يرون انهم أحق بالامر لانهم الذين أووا ونصروا وتبؤوا الدار والايمن من قبل المهاجرين ولما انتهى الخبر الى أبي بكر وعمر أفرغهما ذلك وبادرا الى السقيفة ومعهم أبو عبيدة بن الجراح فوجدوا الانصار يها على ما بلغهم من العزم على بيعه سعد فاجبهم أبو بكر رضي الله عنه وقال نحن أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيرته وأحق الناس بالامر بعده فحن الامراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير وان شئتم أعدنا لها جذة أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب فقام بشير ابن سعد الانصاري فقال ألا ان محمد صلى الله عليه وسلم من قريش وان قومه أحق وأولى بالامر بعده ونحن وان كنا أولى بفضل في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله ووطاعة بيته فلا نبتغي به من الدنيا عوضا ولا نستطيع به على الناس ثم أشار أبو بكر بان يبايعوا أحد الرجلين اما عمر بن الخطاب واما أبو عبيدة بن الجراح فذكر هاذلك وبايعا أبو بكر وسبقهما اليه بشير بن سعد ثم تنابح الاوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء فذكر هو اماره الخنزرج عليهم ومالوا الى بيعة أبي بكر فبايعوه وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطون سعد بن عباد وهو مضطجع بينهم يوعك فقال رجل من أصحابه قتلتم سعد بن عباد فقال عمر قتله الله فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرق هنا أبلغ ثم لحق سعد بالشام فلم يزل هناك حتى توفي أيام عمر رحمه الله جميعهم وكانت بيعة أبي بكر يوم الثلاثاء الثاني من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عاقمة العرب لان كلمة الاسلام لم تكن رسخت في قلوبهم على ما ينبغي ومنع آخرون منهم الزكاة وقالوا نصلي ولا نؤدى الزكاة ظنا منهم ان ذلك كان واجبا عليهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط واضطرب أمر المسلمين عند وفاته صلى الله عليه وسلم لقتلهم وكثرة عدوهم (قالت عائشة رضي الله عنها) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ونجم النفاق واشربت اليهودية والنصرانية ونزل بابي بكر ما لوزل بالجبال الراسية لها ضاها وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الساتية لفقد نبيهم (وقال أبو بكر بن عياش) سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة (وفي الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تعاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن آقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فم دعصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لا قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح

الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق (وحكى ابن خلدون) ان أبا بكر رضى الله عنه لما عزم على قتال
 أهل الردة استخلف أسامة بن زيد بعد رجوعه من بعثته الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
 قبل وفاته فبقى بالمدينة حتى أنقذه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فخرج أبو بكر في جماعة من المسلمين
 الى ذى خشب والى ذى القصة موضعين قريب المدينة ثم سار حتى نزل على أهل الردة بالابريق وبعث عابس
 وذيبيان وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ووثعلبة بن سعد وغيرهم فقاتلهم أبو بكر وهزمهم ورجع الى المدينة
 ثم خرج الى ذى القصة ثانيا فبعده فيه أحد عشر لواء على أحد عشر جندا للقتال أهل الردة وأمر كل واحد
 باستنفا من يليه من المسلمين من كل قبيلة وعقد لأمراء على تلك الاجناد منهم خالد بن الوليد وخالد بن
 سعيد بن العاص وعمر بن العاص وغيرهم وكتب لهم عهد وهدم بنص واحد بسم الله الرحمن الرحيم هذا
 عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام
 وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره وأمره بالخطي في أمر الله وبمجاهدة من تولى عنه
 ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام فان أجابوه أمسك
 عنهم وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فياخذ ما عليهم
 ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فان أجاب الى أمر الله تعالى وأقر له قبل
 ذلك منه وأعانته عليه بالمعروف والنهي عن المنكر من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم
 يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استمر به ومن لم يجب الى داعية الله قوتل وقتل حيث كان وحيث
 بلغ من أمة لا يقبل الله من أحد شيئا مما أعطى الا الاسلام فمن أجابه وأقر به قبل منه وأعانته ومن أبي قاتله
 فان أظهره الله عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما آفاه الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه
 ويمنع أصحابه المجهلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوننا ولئلا
 يوفى المسلمون من قبلهم وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنازل ويتقدمهم ولا يجمل بعضهم
 عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن الخصية ولين القول اه وكتب الى كل من بعث اليه الجنود من
 المرتدين كتابا واحدا أيضا وجعله في نسخ متعددة بيد رسل تقدموا أمام الامراء يأمرهم فيه بالتمسك
 بكامة الاسلام ونيهاهم عن الارتداد ويحذرهم عاقبته وسوء أثره تركاذا كره اختصارا (وكان) أول
 ما بدأ به خالد بن الوليد رحمه الله من القتال قتال طليحة بن خويلد الاسدي أسد خزيمية وكان كاهنا وادعى
 النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه أفار بيق من قومه بنى أسد ومن غيرهم فوجه اليه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور ليقاتله فيمناضرا يريد مناجزته اذ ورد عليه الخبر بوفاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت ذلك في عضد ضرار وانكفأ راجعا بمن معه من المسلمين الى المدينة وعظم
 أمر طليحة حينئذ واستطار ثمره وانضمت اليه غطفان وبعض طي وأخذ لاط من العرب على ماء
 من مياها بنى أسد يقال له بزاحة فسار اليهم خالد رحمه الله فأوقع بهم وقعة شنعاء فلبى هاججهم وقتل
 من قتل منهم ونجى طليحة الى الشام برأس طمرة ولجام وبقى هناك الى ان أسلم وحسن اسلامه وكانت
 له في قتال فارس والروم زمان الفتح اليد البيضاء ثم تتبع خالد رحمه الله أهل الردة قبيلة قبيلة وجمعها
 فقتل وحرق ورضخ بالحجارة ورمى من رؤس الجبال وأبلغ في الذكاية بكل وجه فحشعت نفوس المرتدين
 وخامر قلوبهم الرعب وقوم اعوجاجهم الطعن والضرب حتى راجعوا الاسلام كرها وكان من
 أعظمهم شوكة وأشدهم قوة بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب وكان موطنهم باليمامة وهى بلاد واسعة
 ذات نخيل وزرع على أربعة أيام من مكة وكان مسيلة هذا قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني
 حنيفة فأسلم ثم ارتدادى النبوة استقلالا ثم مشاركة مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك الرجال
 ابن عنقوة أحد أشرف بني حنيفة وكان قد هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عنده وقرأ القرآن

وتفقه في الدين فلما ارتد مسيئله بعنه النبي صلى الله عليه وسلم معلما لاهل اليمامة ومشتغبا على مسيئله فكان من أعظم الفتن على بني حنيفة فانه شهد مسيئله بالنبوته وأتبعه على شأنه وصار مؤذنا له يشهد له بالرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم وكان مسيئله ينتهي الى رأيه وكان يأتي باصباح كثيرة يزعم انها قرآن ينزل عليه ويأتي بمخارق من الشعبذة ويقول انها مجزاته فتقع على خلاف المقصود اهانة من الله له فنهض خالد رحمه الله بعد الفراغ من طليحة وغيره من أهل الردة الى بني حنيفة وهم يومئذ كثير يقال كانوا أربعين ألف مقاتل ولما سمعوا يذتو خالد منهم خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنصر والناس فنصر وامعهم وأقبل خالد على مقدمته شرحبيل بن حسنة ونازل بني حنيفة وكان الرجال بن عنقوة على مقدمة مسيئله فالتقوا واقتلوا واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خياب خالد ثم تراجع المسلمون وكر واعي بن حنيفة وقاتل ثابت بن قيس بن شماس حتى قتل ثم زيد ابن الخطاب أخو عمر كذلك ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ثم مولا ه سالم ثم البراء أخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالاستدفقات ذلك اليوم وفعل الافاعيل واستحرق القتل في المسلمين خصوصا قراء القرآن وأهل السابقة في قال ابن خلدون قتل يوم اليمامة من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أوزيدون وفست الجراحات فيمن بقى ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون الى حديقة كانت هناك وفيها مسيئله فقال البراء بن مالك ألقوني عليهم من أعلى الجدار فاقحم وقاتلهم على باب الحديقة حتى دخل بعض المسلمين عليهم واقحم الباقون من أعلى الحيطان فقتل من بني حنيفة يومئذ سبعة عشر ألف مقاتل فسميت الحديقة حديقة الموت وأما مسيئله فقتله وحشي بالحربة التي قتل بها حذرة بن عبد المطلب يوم أحد وشاركه في قتله رجل من الانصار ثم صالح خالد بن حنيفة في خبر طويل وهذه الواقعة من أعظم الوقعات التي كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه وهي كانت السبب الداعي الى جمع القرآن في الصحف واستمر كذلك الى ان جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه الجمع الثاني في الصحف في وفي الصحيح في عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى ان يستحرق القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن واني أرى ان تأمر بجمع القرآن قال أبو بكر فأتهم كيف أفعل شيئا لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا تهملك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي في مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعهم حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والاكثاف والعصب والخفاف وصدور الرجال حتى وجدت آخسورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجد همام أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر اه ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث اليه أبو بكر في المحرم سنة ثنتي عشرة يأمره بالسير الى العراق وذلك عندما أجمعت العرب على الاسلام وانتفخوا على التمسك بكلمته وأخاصوا الطاعة لله وخطيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسميت لابي بكر رضي الله عنه همة في قتال فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم يومئذ توجه خالد رحمه الله نحو فارس وكان عذابا من عذاب الله أرسله على أهل الكفر والضلال وما مثله الاقول المنتهي

الشيباني وكان بطلامن الابطال تظير خالد بن الوليد في عين النقيصة والجرأة على الاعداء فاوقع باهل
 فارس عدته وقات منها وقعة البويب قتل فيها من الفرس مائة ألف أو يزيدون ثم ان عمر رضى الله عنه
 استأنف الجهاد فارس وقال والله لا ضربن مالوك العجم بملوك العرب فلم يدع رثيسا ولا ذراوى
 ولا خطيبا ولا شاعرا الا رامهم به فرماهم بوجوه الناس وكتب الى المنقبي يأمره ان يخرج بالمسلمين من بين
 العجم ويتفرق بهم على المياه بجبالهم وان يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم
 طوعا وكرها ثم حج عمر سنة ثلاث عشرة ورجع الى المدينة فوافقه امداد العرب بما فقد عليهم لسعد
 ابن أبي وقاص رضى الله عنه وولاه حرب العراق وأوصاه وقال ياسعد بن أم سعد لا يغرنك من الله ان يقال
 خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يحجو السبي بالسبي ولا يكتنه يحجو السبي بالحسن وليس بين الله
 وبين أحد نسب الا بطاعته فاناس في دين الله سواء الله بهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويذكر كون
 ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر
 ثم سرحه في أربعة آلاف عن اجتمع اليه فيهم وجوه العرب وأشرفها وانضاف اليه في طريقه جوع
 أخرف كانت له في هذا الوجه وقعة القادسية المشهورة دامت فيها الحرب بين المسلمين والفرس أربعة أيام
 بلياليها وقتل فيها رستم زعيم الفرس وصاحب حربها واستلمت جنوده وكان الفتح الذي لم يكن له في
 الاسلام نظير وذلك في المحرم سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة ثم كان بعدها فتح المدائن وجولاء وسائر
 بلاد العراق وغيرها من بلاد فارس والجبل وأرمينية واذر بيجان وسجستان وكرمان ومكران وخراسان
 وغير ذلك مما يطول ذكره وكذا استولى جيوش المسلمين الذين بالشام على بلاد الشام والجزيرة وانطاكية
 وغيرها من بلاد الروم ومصر والاسكندرية وبرقة وطرابلس الغرب وغير ذلك (وفي سنة أربع عشرة)
 أمر عمر رضى الله عنه باختطاط البصرة والكوفة بعراق العرب لما بلغه من وخامة البلاد وان العرب
 قد تغيرت ألوانهم بالعراق فاذن لهم في اختطاط المصريين وان لا يتجاوزوا في بناء ما السنة ويقال
 ان اختطاط الكوفة كان في سنة سبع عشرة (وفي سنة خمس عشرة) وضع عمر الديوان وفرض العطاء
 للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وروى الزهري عن ابن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين وقال
 ابن خلدون يقال وضع عمر الديوان لسبب مال أتى به أبو هريرة من البحر فاستكثره وتعبوا في قسمه
 فعمرو الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت مالوك الشام
 يدوتون فقبل منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم
 بغيبه من يغيب منهم فان من تخلف أهل مكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأنبت لهم ديوانا فامر عمر
 رضى الله عنه عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان
 العساكر الاسلامية مرتباعا على الانساب مبتدأ قيمه بقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب
 بعد ان قال علي وعبد الرحمن بن عوف لعمر ابدأ بنفسك فقال لا بل بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ
 بالعباس ثم بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة
 آلاف وفرض لمن بعدهم الى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة
 آلاف ثم ألفين وخمسمائة ثم لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن بعد القادسية
 والميرموك ألفا الفاو وادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين وأعطى نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة بالفين وجعل النساء على مراتب
 فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعة مائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين والصبيان مائة مائة والمساكين جريدين في
 الشهر ولم يترك في بيت المال شيئا وسئل في ذلك فابى وقال هي قنته لمن بعدى ثم سأل رضى الله عنه
 الصحابة في قوته هو من بيت المال فاذنوا له وسأله في الزيادة على لسان ابنته حفصة متكئين عنه فغضب

وامتنع (وفي سنة ست عشرة) قدم جبلة بن الايهم ملك غسان على عمر رضى الله عنه في جماعة من أصحابه مسلمين قتلناه المسلمون ودخل في زى حسن وبين يديه جنائب مقادة وعلى أصحابه الديباج حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته وأكرم عمر وفادته وأحسن نزله وأجله بارفع رتب المهاجرين ثم خرج عمر للحج في هذه السنة فحج معه جبلة فبينما جبلة يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من فزارة فضل ازاره فلطمه جبلة فهشم أنفه فأقبل الغزاري الى عمر وشكاه فاحضره عمر وقال له اقتصد نفسك والامر به بلطمك فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة فقال عمران الاسلام جمعكوا سوى بين الملك والسوقة في الحد فقال جبلة كنت أظن انى بالاسلام أعزمنى في الجاهلية فقال عمر دع عنك هذا فقال جبلة انى أنتصر فقال عمران تنصرت ضربت عنقك فقال انظر في لياتي هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بختله ورجله الى الشام ثم منها الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فنصر واعن آخرهم وفرح هرقل به وأكرمه ثم ندم جبلة على فعلته تلك وقال

تنصرت الاشرف من عار لطمه * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكتفى فيها للحاج ونخوة * وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
فيما لبت أى لم تلتنى ولتيتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
وباليتى أرى المخاض بقفرة * وكنت أسيرانى ربيعة أو مضر
وباليتى فى الشام أدنى معيشة * أجالس قوى ذاهب السمع والبصر
أدين بمدانوا به من شريعة * وقد يحبس العير الدجون على الدبر

وكان قدمضى رسول عمر الى هرقل وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة فارسل جبلة بخمسمائة دينار الى حسان بن ثابت وأمضاه له عمر فدحه حسان بن ثابت بآيات منها

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يخذهم أبأوهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هور بها * ككلا ولا متصرا بالاروم
يعطى الجزيل ولا يراعه عنده * الا كبعض عطية المذموم

(وفي سنة سبع عشرة) حجى الى عمر بالمرمز ان ملك الاهواز أسير او معه وفد فيهم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل هو فى المسجد فاتوه فاذا هو نائم جالس وادونه فقال المرمر ان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فاين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر المرمر ان الى عمر وقال عدلات فأمنت فمنت واستيقظ عمر لجلسة الناس فقال المرمر ان قالوا انهم يأمر المؤمنين فقال الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشباهه وأمر بتزع ما عليه فترعوه وألبسوه ثوبا ضيقا فقال عمر كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك فقال المرمر ان لما خلى الله بيننا وبينكم فى الجاهلية غلبناكم ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا (وفي سنة ثمان عشرة) كانت جماعة الرماة وطاعون عمواس وحلف عمر لا يذوق السم واللبن حتى يحيى الناس واستسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا وهلك بالطاعون أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة فى آخرين أمثالهم وتقانى الناس بالشام وبالبحر أيضا ولما خفس أتر الطاعون بالشام أجمع عمر المسير اليه ليقسم موارد المسلمين ويطوف على الثغور ففعل ورجع وكانت له خرجة أخرى قبل هذا الفتح بيت المقدس (وفي سنة عشرين) فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وشهد الفتح معه الزبير بن العوام وجماعة من كبار الصحابة (وفي سنة اثنتين وعشرين) سار عمرو بن العاص الى برقة فصالحه أهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها عنوة

(وفي سنة ثلاث وعشرين) كانت وفاة عمر رضي الله عنه على ما سياتي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله
 عنه قال مازلنا أمة منذ أسلم عمر ويعنه أيضا قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة
 ولما مات عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وعند ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال كان
 اسلام عمر عزوا وهجرت نصر او امارته رحمة ويعنه أيضا عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينسا أنا نائم رأيتني على قليب وعليه اذ لو فتزعت منها ما شاء الله
 ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزعت منها ذنوبا وذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استخالت غربا فآخذها
 عمر بن الخطاب فلم أر عبقر يامن الناس يتزعت عمر وفي رواية فلم أر عبقر يامن الناس يفري فيه حتى
 ضرب الناس بعطن قال النووي رحمه الله قالوا هذ المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارها
 الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به
 أكمل قيام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فطالت مدة
 خلافته عشرين وزيادة واتسع الاسلام في زمانه فشبّه أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم
 وصلاحتهم وأميرهم بالمستقي لهم منها وسعته هي قيامه بمصلحتهم اه وقلت من تأمل أمر عمر رضي
 الله عنه علم انه كان عجبا من العجب فانه عمدا الى ثلاث دول هي أعظم دول العالم في ذلك الوقت دولة الفرس
 ودولة الروم ودولة القبط فخارهم في نفس واحد وفرق جيوشه عليهم مع قلة المسلمين اذ ذلك وشظف
 عيشهم فغلبهم على ممالكهم وأزال عزهم وكسر كراسيهم وأمات نخوتهم بحيث ضرب الجزية على رقابهم
 طول أحقابهم فلم يبالوا بعد هابثا ولا عادوا الى جاح ونفار بل أعطوا المقادة وأسلموا أنفسهم للصغار
 ثم لم يكتف بذلك حتى أغزى خيل المسلمين أطراف المعمور من خراسان والترك وبلاد التوبة وبلاد البربر
 ولعمري ما أمر الاسكندر الذي تضرب الامم به المثل في الغلبة والتمكين في الارض الا دون أمر عمر بكثير
 فان الاسكندر كان غازي بجميع جيشه متوليا ذلك بنفسه جوا في الارض غير مقيم ووجهته في حروبه
 وجهة واحدة كلما فرغ من مملكة انتقل الى غيرها تاركا لثي خلف وراءه غير ملتفت اليها وكانه كان
 لا غرض له الا في اظهار القوة والبطش والغلبة على الامم دون ماسوى ذلك من تصرف الممالك طوع
 الامر والنهي * ولذا قال جزرة الاصمباني في كتابه تواريخ الامم ومآواه القصاص من ان الاسكندر بنى
 بارض ايران عدة مدن منها اصبهان ومرو وهرات وسمرقند فحدث لا أصل له لان الرجل كان مخربا
 لا عامرا اه فاما عمر رضي الله عنه فانه لما استولت جيوشه على أكثر المعمور صرف ممالكها طوع
 أمره حتى جبي اليه خراجها وثبتت استقامتها وزال اعوجاجها أقوى ما كانوا شوكة وأشد قوة وأكثر
 حامية ولم يمت رحمة الله حتى انتهت خيلها في جهة الشرق الى نهر بلخ وفي جهة الشمال على ما تسمى فرسخ
 من بلخ وفي جهة المغرب الى تخوم الروم وبلاد برقة وطرابلس الغرب كل ذلك في مدة يسيرة لم يجاوز
 معظمها الثلاث سنين وهو مع ذلك في جوف بيته مترددا فيما بين منزله ومسجده لم يستعمل لذلك كثير
 أسباب ولا أجلب بنفسه بخيل ولا ركاب انما هو الرأى الميمون والنصر المضمون والامر الجارى بين
 الكفاف والنون والوعد المتجز بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فاما) وفاة عمر رضي
 الله عنه فروى ابن سعد باسناد صحيح ان عمر كان لا يأذن لمن احتلم من اولاد الجهم في دخول المدينة حتى
 كتب اليه المغيرة بن شعبه وهو على الكوفة فذكر له ان عنده غلاما صنعنا وهو يستأذنه ان يدخله
 المدينة ويقول ان له أمة الاتمفع الناس انه حداد نقاش نجار فاذن له عمر وضرب عليه مولاة كل شهر مائة
 فشكى الى عمر شدة انزعاج فقال له ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطا فلبث عمر الى
 فربه العبد فقال عمر ألم أحدثك تقول لو شئت لصنعت رحي تطحن باربع فالتفت اليه عابسا فقال
 لا صنعت لك رحي يتحدث الناس بها فاقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالى ثم اشتمل على

خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في القلنس حتى خرج عمر يوقظ الناس
 للصلاة وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرفت
 الصفاق وهي التي قتلته في حجاج البخاري عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما يعني في أرض
 السواد أتخافان ان تكونا قد حملتما الارض ما لا تطيق يعني من الخراج قالوا حملناها أمرأهي له مطيقة
 ما فيها كبير فضل قال انظر ان تكونا حملتما الارض ما لا تطيق قال لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لا أدع
 أرا من أهل العراق لا يتخجن الى رجل بعدى أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن
 ميمون اني لقاتم ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان اذا مر بين الصفيين قال استوا حتى اذا
 لم يرفيهن خلالا تقدم فكبر وورعيا قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس
 فاهو الا ان كبير فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه ابولؤلؤة واسمه فيروز فطار العلي بسكين
 ذات طرفين لا يعر على أحد عينا ولا سما الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى
 ذلك رجل من المسلمين واسمه حطان التميمي اليربوعي طرح عليه برونسا فلما طعن العلي انه مأخوذ فخر
 نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه من بلي عمر فقدر أرى الذي أرى وأما واحي المسجد فانهم
 لا يدرون غير انهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلي بهم عبد الرحمن بن عوف
 صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يابن عباس انظر من قتلني بخال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال أنصنع
 قال نعم قال فاتله الله لقد أمرت به معروف والحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الاسلام فكنت
 أنت وأبوك تحبان ان تكثر العالج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا قال ان شئت فعلنا أي ان شئت
 قتلنا قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلكم وحقوا بحكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه وكان
 الناس لم تصهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فاقى بنبيذ فشر به فخرج
 من جرحه ثم أقى بلبن فشر به فخرج من جرحه فعلموا انه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه وجاء
 رجل شاب فقال ابنه يا أمير المؤمنين يبشري الله لك بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد م في
 الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كفاف لاعلى ولالى فلما أدبر الشاب
 اذا ازاره عيس الارض قال ردواعلى قال السلام قال يابن أخى ارفع ثوبك فانه أتقى لثوبك وتقى لربك يا عبد
 الله بن عمر انظر ماذا على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوه قال ان وفي له مال آل عمر
 فأده من أموالهم والا فأسأل في بنى عدى بن كعب فان لم تف أموالهم فأسأل في قريش ولا تعددهم
 الى غيرهم فأتعنى هذا المال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقيل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقبل أمير
 المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم
 واستأذن ثم دخل عليه فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن
 مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولا وثرنه به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
 قال ارفعوني فاستند رجل اليه فقال ما لك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان
 من شيء أهمل على من ذلك فاذا أنا قضيت فاجلوني ثم سلم فقيل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي
 فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها
 قننا فوجلت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فوجلت خلالهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا
 أو ص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطه وسعد وعبد الرحمن وقال
 يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيمته التعزية له فان أصابت الامارة سعد فهو ذلك

والافليس - تعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين
 الاولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرماتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان
 من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئتهم وأوصيه بالامصار خيرا فانهم ردة الاسلام وجباة
 المال وغىظ العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب
 ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بدمية الله وذمة رسوله ان يوفى
 لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكفوا الا طاقهم فلما قبض خرجنا به فاذا طلقنا شئى فسلم عبد الله
 ابن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه
 اجتمع هؤلاء الزهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير فجعلت أمرى الى علي
 فقال طلحة فجعلت أمرى الى عثمان وقال سعد فجعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف فقال
 عبد الرحمن أيكما تيرأ من هذا الامر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرون أفضلهم في نفسه فاسكت
 الشيخان فقال عبد الرحمن أفجعبلونه الى والله على ان لا آلو عن أفضلكم قالانعم فاخذنيده أحدهما فقال لك
 من قرأ به تر رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم ما قدمت فالتت عليك اني أمرتك لتعدن ولئن أمرت عثمان
 لتسمعن وتطيعين ثم خسلا بالآخر فقال له منسل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه
 وبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه اه (وكانت وفاة عمر رضى الله عنه) يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة
 ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشرين سنين وستة
 أشهر وثمانية أيام كذا لابي الفداء وفي حديث عائشة مما خرجه أبو عمر بن عبد البر ناحت الجن على عمر
 رضى الله عنه قبل أن يموت بثلاث فقالت

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت * له الارض تم تزل الأعضاء باسوق
 جزى الله خيرا من امام وباركت * يد الله في ذلك الاديم المسوزق
 فن يسع أو يركب جناحي نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس مسبق
 قضيت أمورائهم غادرت بعدها * بوائق من أكمامهم تفتق

❦ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ❦

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي يجمع مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ولى الخلافة بعد عمر رضى الله عنه باختيار أهل الشورى له وقد تقدم
 خبر ذلك مستوفى ولما بويع رقى المنبر وقام خطيبا فحمد الله وتشهد ثم ارتج عليه فقال ان أول كل أمر
 صعب وان أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ان شاء الله ثم نزل وأقر عمال عمر كلهم الا ما كان من المغيرة
 ابن شعبة أمير الكوفة فأنه عزله واستبدل به سعد بن أبي وقاص لوصية عمر بذلك ثم بعد مدة نحو سنة عزل
 من عزل من عمال عمر واستبدل بهم آخرين كان فيهم من هو من قرابته فعزل سعد بن أبي وقاص عن
 الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها
 عبد الله بن سهد بن أبي سرح العامري وكان أخاه من الرضاة ثم عزل به ذلك أبا موسى الأشعري عن
 البصرة وولى عليها عبد الله بن عامر بن كرز وهو ابن خاله واستكتب مروان بن الحكم بن أبي العاص
 وهو ابن عمه كل ذلك كان لمصلحة اقتضاها الحال وضم حصص وقنسرين و فلسطين وغيرها من بلاد الشام
 الى معاوية بن أبي سفيان أمير دمشق ومضى رضى الله عنه على سنين عمر في الجهاد وتجهيز الجيوش
 وتكثيب الكنائس حتى اتسعت خطة الاسلام اتساعا أعظم منه في خلافة عمر رضى الله عنه وكان
 لأول خلافة عثمان قد انتقض بعض الثغور والجهات مثل الاسكندرية وبعض بلاد الجهم وفارس ونحو
 ذلك قتلا فاهابا بالغزو والبعوث حتى عادت الى الطاعة وأدت ما كانت تؤديه أيام عمر أو أكثر وفتح عليه

بلاد أرمينية مثل تفلين وقاليقلا وخلاط والمسيرجان وعمدة حصون وانتهى الفتح إلى مدينة الباب
 وكان ذلك على يد سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين وغزاه معاوية صاحب الشام أيضا بلاد
 الروم حتى بلغ عمورية ووجد ما بين انطاكية وطرطوس من حصون الروم خاليا بجمع فيها العساكر
 حتى رجع وخر بها وكذا استتم المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه فتح مدن خراسان والجزورجان
 والطالقان وطخارستان وما وراء النهر إلى فرغانة في الشرق وانتهى الفتح أيضا إلى كابل وزابلستان
 وهي بلاد غزني من تغور الهند في الجنوب وفتح في خلافة عثمان رضي الله عنه أفر بيقية أيضا من بلاد
 المغرب وكان من خبرهائه لما كانت سنة ست وعشرين من الهجرة عزل عثمان رضي الله عنه عمرو
 ابن العاص رضي الله عنه عن خراج مصر واستعمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه
 فلما قدم ابن أبي سرح مصر كان على خراجها وعمرو بن العاص على حربها فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان
 يشكو عمر فاستقدمه عثمان واستقل ابن أبي سرح بالخراج والحرب مع أمه عثمان بغزو أفر بيقية
 بعد أن كان عمرو بن العاص استشار عمرو رضي الله عنه في غزوها فنهى عن ذلك وقال له تلك المفرقة
 وليست بأفر بيقية أو كلاها هذا معناه ولما أمر عثمان ابن أبي سرح بغزوها قال له إن فتح الله عليك فلك
 خمس الخس من الغنائم فعقد ابن أبي سرح لعقبه بن نافع بن عبد القيس على جند ولعبد الله بن نافع
 ابن الحرث على آخر وسرحهم ما يخرجوا إلى أفر بيقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه
 ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها ثم إن ابن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار
 عثمان الصحابة رضي الله عنهم فأشاروا به تجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم
 ابن عباس وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم وساروا مع ابن أبي
 سرح سنة ست وعشرين ولقيهم عقبه بن نافع فبين معه من المسلمين بركة ثم ساروا إلى طرابلس فقبضوا
 الروم عندها ثم ساروا إلى أفر بيقية وبنوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير ملك ما بين طرابلس
 وطنجة تحت ولاية هرقل ويحتمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر
 ولقيهم على يوم وليلة من سبيل طارما وأقاموا يقاتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر
 ولحقهم عبد الله بن الزبير مدابغته عثمان لما أبطأت أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد دفعت
 في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل أنه سمع من أدي جرجير
 يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له
 ابن الزبير تنادى أنت بان من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده نخاف
 جرجير أشد منه ثم قال عبد الله بن الزبير لابن أبي سرح الرأى إن تترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير
 متأهبين للحرب وتقاتل الروم ياتي العسكر إلى ان يصحروا قترتهم بالأسخريين على غرة لعل الله ينصرنا
 عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم
 ثم أفتروا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وواجهوا رجل واحد حتى غشوا
 الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبية فنقلها ابن أبي سرح
 ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سبيل طارما حتى فتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم
 الرجل ألفا وبث جيوشه في البلاد إلى قصبة فسبوا وغموا وبعث عسكرا إلى حصن الاجم وقد اجتمع به
 أهل البلاد فحاصره وفتح على الامان ثم صالحه أهل أفر بيقية على ألف وخمسمائة ألف دينار
 وأرسل عبد الله بن أبي سرح عبد الله بن الزبير بخبر الفتح وبالحس إلى عثمان رضي الله عنه فاستراه مروان
 ابن الحكم بن محمد مائة ألف دينار ثم وضعها عنه عثمان وأعطى ابن أبي سرح خمس الخس من الغزوة
 الأولى ثم بعد تمام الصلح رجع عبد الله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه بأفر بيقية سنة وذلثة أشهر ويقال

انه لما افتحت افرقيمة أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع ان يسير الى جهة الاندلس فغزاتك الجهة
 وعاد الى افرقيمة فاقام بها واليا من قبل عثمان ورجع ابن أبي سرح الى مصر والله أعلم **بجو** وفي سنة ثمان
 وعشرين **بج** استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فاذن له وقد كان معاوية وهو بمصر أيام عمر رضي الله
 عنه كتب اليه في شأن جزيرة قبرس يقول ان قرية من قرى حص بسمع أهلها نباح كلاب قبرس وصياح
 ديوكهم فكاتب عمر الى عمرو بن العاص يقول صف لي البحر ورا كبه فكاتب اليه عمرو ويقول هو خلق
 كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركدا فلق القلوب وان تحرك أزاع العقول يزداد فيه
 اليقين قلة والشك كثرة ورا كبه ودود على عود ان مال غرق وان نجافرق فكاتب عمر الى معاوية والذي
 بعث محمد بالحق لأجل فيه مسلما أبدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول جبل بالارض فيستأذن
 الله كل يوم وليلة في ان يغرق الارض فكيف أجمل الجنود على هذا البحر الكافر وبالله لمسلم واحد أحب
 الى **بج** ما حوت الروم فإياك ان تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني ثم لما كانت خلافة عثمان ألح
 معاوية عليه في غزو البحر فاجابه على خيار الناس وطوعهم فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبوذر
 وأبو الدرداء وشهداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله
 ابن قيس حليف بني فزارة وساروا الى قبرس وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم
 أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين من أرادهم
 من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم وكانت هذه
 الغزاة سنة ثمان وعشرين كما قدمنا وقيل غير ذلك وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان سقطت عن دابتها
 حين خرجت من البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وهو نائم عندها كافي الصحیح وأقام
 عبد الله بن قيس على البحر فغزا جسرين غزوه لم ينسكب فيها أحد الى ان نزل في بعض الايام في ساحل
 المرفاء من أرض الروم فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملاح وكان استخف سفيان بن عوف الأزدي على السفن
 فجاء الى أهل المرفاء وقتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من المسلمين **بجو** وفي سنة ثلاثين **بج** جمع عثمان القرآن
 الجمع الثاني في المصاحف وفيها هلك بزجر كسرى فارا من جيوش المسلمين بمدينة مرو من خراسان وهو
 آخر الأكامرة وبموته انقرضت دولة آل ساسان وكان من خبر جمع القرآن ما أخرجه البخاري
 عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح
 أرمينية واذ ربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير
 المؤمنين ادرك هذه الامة قبيل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فإرسى عثمان
 الى حفصة ان ارسى اليها المصحف فنهضها في المصاحف ثم نزلها اليك فارسا فبها حفصة الى عثمان
 فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنصحوها في
 المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن
 فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذ انصوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف
 الى حفصة فارسا الى كل أقب بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف
 ان يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع أباه زيد بن ثابت قال فقعدت آية من
 الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فالتسناها فوجدناها
 مع خزيمه بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في
 المصحف **بجو** وفي سنة ثلاث وثلاثين **بج** تكلم جماعة من أهل الكوفة في عثمان بانه ولي جماعة من أهل بيته
 لا يصلحون للولاية ونعموا عليه أمور أخر لا حاجة بنا الى ذكرها مع انه كان فيها مجتهدا وذلك ان عثمان
 رضي الله عنه كان فيه من يديحها ورافة وبرور باقاربه وكان عمر رضي الله عنه من هو ب الجانب عند

الخاصة والعامه له عين كالثه على الرعية بصير ابا ياقون ويذرون محمدا في ذلك كما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم وكان من الخزم والضبط على ما وصفت به عائشة رضي الله عنها اذ قالت رحم الله عمر كان أحوذيا يسبح وحده قد أعد لأمور أقرانها فكان عثمان ألبن جانبنا من عمر قوسع الناس في زمانه في أمور الدنيا أكثر مما كانوا عليه في زمان عمر واستعملوا النفيس من الملبس والمسكن والمطعم واقتنوا الضياع والاثاث قال المسعودي في مروج الذهب وفي أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مر بطن عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وعثمان ألفا وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والاسكندرية والكوفة وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيخه داره بالمدينة وبناه ابا الجص والاجر والساج وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منية خمسين ألف دينار وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فاستحالت الاحوال في زمان عثمان كما ترى ولما رأى ذلك بعض الناس ممن لم يكن له رسوخ في الفقه والدين ولا هو من أهل السابقة من فضلاء الصحابة والمسلمين صاروا ينتقمون على عثمان بانه أهل أمر الرعية وخالف سيرة العمرين مع ما انضاف الى ذلك من تولية أقاربه وحاشاه من ذلك رضي الله عنه فان الرجل كان مجتهدا وهو أهل للاجتهاد وما تخيلوه من اهل امر الرعية حتى استحال أمرها الى ما ذكرته من باطل اذ ليس ذلك في طوقه ولا بسببه وانما طبيعة العمران البشري تقتضي ذلك بسبب ما فتح على المسلمين من الاقاليم والممالك والاقطار والنواحي والامصار وترادف الجبايات الفاتحة الحصر وانثيال كنوز كسرى وقيصر وغيرهم من ملوك الارض عليهم فأنى يبقى الامر على حاله مع هذا الفتح المجيب والنصر الغريب وقد قيل دوام الحال من المحال والناس ليسوا على قدم واحد في الزهد في الدنيا فالخلق الذي لا عوج فيه ولا امت ان عثمان رضي الله عنه كان على الحق حتى لقي ربه وما يعتدون به عليه من مخالفة سيرة الشيخين رضي الله عنهم ان صح فهمه الاجتهاد كما قلنا ومعلوم ان أحكام الشرع تدور مع المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الازمان والاحوال كما لا يخفى على من له أدنى مسيس بالفقه قال ابن خلدون في اختلاف الصحابة والتابعين انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية في واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الشكل على احتمال الاصابة والتأيم مدفوع عن الشكل اجماعا وان قلنا ان الشكل حق وان كل مجتهد دم مصيب فاحرى بنى الخطا والتأيم ثم استمر أولئك الناقون على عثمان رضي الله عنه وتمادوا في طعنهم وتشغيهم حتى تفاقم الامر وسرى الداء واعوز الدواء واختلط المرعى بالهمل

وكان ما كان مما استأذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وأخو الامر انه لما كانت سنة خمس وثلاثين قدم من مصر جمع قبيل ألف وقبيل سبعمائة وقدم من الكوفة جمع آخر ومن البصرة كذلك وحاصر وعثمان رضي الله عنه في داره وكانت خطوب وقطعوا عنه الماء واستمر الحصار نحو أربعين يوما ثم تسور عليه جماعة من أهل مصر داره فقتلوه وسال دمه على المحصف يقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر النخعي وطمنه عمرو بن الحلق طعنات وجاء حمير بن ضابط

البرجي وكان أبوه قدمات في سبعين عثمان فوثب عليه حتى كسر ضلعاً من أضلاعه وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الاثني عشر يوماً وقيل انه قتل صبيحة عيد الاضحى من السنة المذكورة وهو الذي عند ابن الخطيب في رقم الحلال وابن بدرون في شرح العبدونية ويؤيده قول حسان بن ثابت يرنيه

ضحوا بشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحاً وقرأنا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا تارات عثمان
﴿وقول الفرزدق بعده﴾

عثمان اذ قتلوه وانهم كوا * دمه صبيحة ليلة النصر

رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعا به

﴿خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه﴾

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم واسمه شعبة وفيه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم بوجع بعد مقتل عثمان رضي الله عنه باتفاق من يعتبر من أهل الحل والعقد بعد امتناعه من ذلك ﴿قال ابن خلدون﴾ لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا علياً يبايعونه فأبى وقال أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتهم فألحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا تختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد ان خيرها ويقال انه ما ادعى الا كراه بعد ذلك باربعة أشهر وتختلف عن بيعة علي رضي الله عنه ناس من الصحابة وغيرهم فلم يبخسهم وقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ولم يوالوا الخلافة رضي الله عنه أحياناً السنة وأمامات البدعة وأرضع منار الحق وأخذ نار الباطل ولم تأخذه في الله لومة لائم ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرّق عماله على النواحي فبعث إلى الكوفة حمزة بن شهاب وكان من المهاجرين وولى على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وكان من الاجواد وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وكان من أهل الجود والشجاعة والرأى وعلى الشام سهل بن حنيف الانصاري فلما وصل سهل إلى تبوك لقيته خيلاً فقالوا من أنت قال أمير على الشام فقالوا ان كان بعثك غدير عثمان فارجع فرجع إلى علي ومضى قيس بن سعد إلى مصر فولمها واعتزلت عنه فرقة كانوا عمانية وأبو ان يدخلوا في طاعة علي حتى يقتل قتلة عثمان ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها واتبعت فرقة وخالفته أخرى ومضى حمزة بن شهاب إلى الكوفة فلقبه طلحة بن خويلد الاسدي الذي كان ادعى النبوة زمان الردة فقالوا له ان أهل الكوفة لا يستبدلون باميرهم أحداً وكان عليها أبو موسى الاشعري من قبل عثمان رحمه الله تعالى فرجع حمزة إلى علي ومضى عبيد الله بن عباس إلى اليمن فولمها وكان العامل بها من قبل عثمان يعلى بن منية فاخذما كان بها من المال ولحق بمكة ومعه ستمائة بعير وصار مع عائشة رضي الله عنها وذلك ان عائشة كانت خرجت إلى مكة زمان حصار عثمان فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقبها الخبر بمقتل عثمان فاعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه ولحق بها طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجاعة من بني أمية واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فأبى وأعطى يعلى بن منية عائشة الجمل المسعى بعسكر وكان اشترى مائة دينار فركبته وسار واخر واتى طريقهم بماء يقال له الحوებ فنبتهم كلابهم فقالت عائشة أي ماء هذا فقيل ماء الحوებ فصرخت بأعلى صوتها وقالت ان الله وانا لله وانا إليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أين تكمن تنبجها كلاب الحوებ ثم ضربت عضد الجمل فأناخته وقالت ودوني أنا والله صاحبة ماء الحوებ وأقامت بهم يوماً وليلة إلى ان قيل النجاء

النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب وغلبوها على رأيهم فأقارنوا تحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع
 أميرها عثمان بن حنيف ولما بلغ عليا رضى الله عنه مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم
 في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربع مائة ممن يابغ تحت الشجرة وثمانمائة من الانصار وكانت
 رايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخليل عمار بن ياسر وعلى
 الرجاله محمد بن أبي بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس وكان مسيره في ربيع الآخر سنة ست
 وثلاثين ولما وصل علي إلى ذي قار لقيه أمير البصرة عثمان بن حنيف وأخبره الخبر فقال علي إن الناس
 وليهم قبلي رجالان فعلا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلا ثم يابغون ويابغني طلحة
 والزبير ثم نكثنا ومن العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافه ما على والله انهم ما يعلمان اني لست
 بدون رجل ممن تقدم ثم سار علي يوم البصرة فيمن معه من أهل المدينة وأهل الكوفة وانضم إلى عائشة
 وطلحة والزبير جمع آخر والتقوا بما يقال له الخريبة عنده موضع قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس
 النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ولما تراء الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم علي حتى
 اختلف أعناق دوابهم فقال علي لقد أعددتما سلاحا وخيالا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا ألم أكن
 أباكم في دينكما تحرماني دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لي كما دعي قال طلحة البتة علي عثمان قال
 علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلعن الله قتله عثمان يا طلحة أما يايعني قال والسيف على عنقك ثم قال
 للزبير أنت ذكرك يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم ولو ذكرت ذلك
 أقبل مسيرى ما سرت والله لا أقاتلك أبدا واقتروا وكان علي رضى الله عنه قد بعث إليهم قبل اللقاء
 القعقاع بن عمرو التميمي وأمره ان يشير بالصلح ما استطاع فقدم القعقاع على عائشة أولا وقال أي أماه
 ما أشخصك قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثني إلى طلحة والزبير فاسمعي مني ومنهم ما فبعثت
 اليهم ما فجا فقال لهما القعقاع اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فقال طلحة والزبير
 كذلك هو قال القعقاع فاجبراني ما هو قال قتله عثمان فان تركهم ترك للقرآن قال فقد قتلتم منهم عددا
 من أهل البصرة يعني حين قاتلوا أميرها عثمان بن حنيف قال وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم
 حرقوا بن زهير فغضبهم ستة آلاف فان قاتلتم هو لا كلهم اجتمع ربيعة ومضر على حربكم فان الاصلاح
 قالت عائشة فاذا تقول أنت قال هذا الامر دوؤه التمسكين فاذا سكن الامر اختلجوا أي أخذوا على غرة
 فقالوا قد أصبت وأحسن فتارجع إلى علي فان كان علي مثل رأيك صلح الامر فارجع القعقاع إلى علي
 فاجبته وأشرف القوم على الصلح وعلم بذلك جماعة ممن كان سعى في قتل عثمان أو رضى به فقالوا ان يصطليح
 هؤلاء في دما نيا يصطلمون ثم تعاقدوا على انهم اذا التقوا بجيش عائشة وطلحة والزبير انشبهوا القتال
 حتى يشغل الناس عما عزموا عليه من الصلح فكان كذلك فانه لما كانت صبيحة الليلة التي اجتمع فيها علي
 بطلحة والزبير غلس أولئك المتعاهدون على انشاب الحرب وما يشعرون بهم أحد وصمدت مضر منهم
 إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن فوضعوا فيهم السلاح على حين غفلة فثار الناس وتسابقوا
 إلى خيولهم وزحف البعض إلى البعض واشتبهت الحرب فكانت الواقعة العظمى المعروفة بوقعة الجمل
 يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور أعني جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل طلحة في المعركة
 والزبير وهوراجع إلى المدينة وعقر الجمل الذي كانت عليه عائشة وأمر علي رضى الله عنه بنقل هودجها
 إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي ونادى منادى علي يوم الجمل وكذا يوم صفين الا ترى أن لا تتبعوا مدبرا
 ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ثم صلى على القتلى من الجانبين وأمر بالاطراف فدققت في قبر عظيم
 وجمع ما كان في العسكر من الاثاث وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فلما أخذه الاسلحة
 عليه ميسم السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضربة ألف رجل وبلغ

عليان بعض الغوغاء عرض لعائشة رضي الله عنها بالقول السيء فاحضر البعض منهم وأوجههم ضربا ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعث معها أخاها محمد بن أبي بكر في أربعين امرأة من نساء البصرة اختارهن لمرافقتها وجاء يوم ارتحالها فودعها واستعقب لها واستعقب له ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك غرة رجب فذهبت إلى مكة وأقامت بها حتى حجت تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل على رضي الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار إلى الكوفة فقتلهم وانتظم له الأهرام بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارجا عن طاعته إلا أهل الشام وأميرهم معاوية بن أبي سفيان فبعث إليه على رضي الله عنه جري بن عبد الله الجبلي يأمره بالدخول فيمادخل فيه المهاجرون والأنصار فلما قدم جري على معاوية ما طله حتى قدم عليه عمرو بن العاص من فلسطين فاستساره فأشار عليه بترك البيعة والطلب بدم عثمان وإن يقاتل معه على أنه إذا ظفروا به مصر فاجابه معاوية إلى ذلك ورجع جري إلى على رضي الله عنه بالخبر فسار على من الكوفة قاصدا معاوية ومن معه بالشام وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال على رضي الله عنه

لا يصح العاص وابن العاص * سبعين ألفا قدى النواصي

مجنبيين الخليل بالقلاص * مستحقين خلق الدلاص

وسار معاوية ومعه عمرو بن العاص وأهل الشام من دمشق يريد عليا وتأنى معاوية في مسيره وخرجت سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وتراسلوا وتداعوا إلى الصلح فلم يقض الله بذلك وكانت حرب يسيرة بالنسبة لما بعدها وما دخل صفرو وقع بينهما القتال فكانت وقعات كثيرة بصفين يقال إنها تسعون وقعة وكانت مدة مقامهم على الحرب مائة يوم وعشرة أيام وعدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا منهم ستة وعشرون من أهل بدر وكان على رضي الله عنه قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبرا ولا يكسفوا عورة ولا يأخذوا من أموالهم شيئا وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتلًا عظيمًا وكان عمره قد نيف على تسعين سنة وكانت الحرب في يده ويده ترتعد فقال هذه راية قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعا بقدح من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم أتى الإحبه محمدًا وخزبه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر رزقي من الدنيا ضيعة لبن وروى أنه كان يرتجز نحن قاتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تزييله ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار يقاتل ذلك اليوم حتى استشهد رضي الله عنه وفي الصحيح المنفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويح عمار تقتله الفئة الباغية وبعد قتل عمار رضي الله عنه انتخب على اثني عشر ألفا بعد أن روى لهم حديث عمار ووجهل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف الانتقض ثم نادى يا معاوية قتلت الناس بينناهم أطا كذك إلى الله فإني اقتل صاحبها استقام له الأمر فقال له عمرو ابن العاص انصفك فقال معاوية لكنك ما أنصفت ثم تقاناو اليلة الهري رشبت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصباح وكان على يسير بين الصفوف ويجرّض كل كتيبة على المتقدم حتى أصبح والمركة كلها خلف ظهره (وروى) أنه كبرتلك اليلة سبع مائة تكبيرة وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلًا كبيرًا ودائم القتال إلى ضحى يوم الجمعة وقاتل الأشتر النخعي قتلًا عظيمًا حتى انتهى إلى معسكرهم وقتل صاحب رأيهم وأمده على بالرجال فلما رأى عمرو شدة الأمر قال لمعاوية مر الناس يرفعون المصاحف على الرياح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فاقبلوا ذلك ارتفع عن القتال وإن أبي بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة فضعوا ذلك فقال الناس نجيب إلى كتاب الله فقال على يا عباد الله امضوا على حكمي في قتال عدوكم فإن

عمر ومعاوية وابن أبي مبيط وابن أبي سرح والضحك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم
منكم ويحكم الله ما رفعوهما الا خديعة ومكيدة فقالوا لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فلا نقبل فقال علي
انما قاتلناهم ليدنو اكتاب الله فانهم بنذوه فقال جماعة من القراء الذين صاروا خوارج يا علي اوجب الى
كتاب الله والادفعاك برمتك الى القوم او فعلنا بك ما فعلنا يا ابن عفان فقال علي رضي الله عنه ان تطيعوني
فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا اما بدالكم واخر الامرانهم اتفقوا على ان يحكموا رجلين من الجانبين
وما حكم به عليهم صاروا اليه فاختر اهل الشام عمرو بن العاص داهية العرب واختار اهل العراق
ابا موسى الاشعري بعد امر اجاعت وقعت بين علي وبينهم واجتمع الحكيمان عند علي لتكتب القضية
بمضوره فكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تناقضى عليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال عمرو
ابن العاص اغما هو اميركم وليس هو يا اميرنا فقال الاحنف لا تحموا اسم امير المؤمنين وقال الاشعث
احمها فقال علي الله اكبر سنة بسنة والله اني لكتاب القضية يوم الخديبية فكتبت محمد رسول الله فقالت
قريش است برسول الله ولا يكن اكتب اسمك واسم ابيك فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجوه
فقلت لا استطيع قال فارينه فاريت به اياه فحاه بيده فقال لي انك ستدعي الى مثلها فتجيب ثم كتب
الكتاب هذا ما تناقضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان قاضي علي بن اهل الكوفة
ومن معهم وقاضي معاوية علي اهل الشام ومن معهم ان انزل عندكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره
وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحي ما احيا ونحي ما امات فاجود الحكيمان في كتاب الله
وهما ابو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجد في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة
غير المفرقة واخذ الحكيمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والوثنيق انهم ما آمنان على انفسهما
واهلهم والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله
وميثاقه ان يحكبا بين هذه الامة ولا يورداها في حرب ولا فرقة وارجلا القضاء الى رمضان من السنة
وان احبا ان يورخا ذلك اخرها وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام وشهد رجال
من اهل العراق ورجال من اهل الشام ووضعوا خطوطهم في الصحيفة ودعى الاشتر النخعي ليشهد فقال
لا احببتي عيني ولا نفعتي بعد هاشم الى ان وضع لي فيها اسم وكتب الكتاب في يوم الاربعاء ثلاث عشرة
ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين وعينوا موضع الحكم بدومة الجندل فوقع الاجتماع الالاجل المذكور
(وحاصل ما كان من ذلك) ان الحكيمان اتفقا على خلع علي ومعاوية ويكون الامر شورى بين الناس
حتى يختاروا من يقدمونه للامرو وقدّم عمرو بن العاص ابا موسى علي نفسه في الكلام فسلم ابو موسى
علي رؤوس الناس بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية حتى ينظر الناس لانفسهم فلما سكت ابو موسى
قام عمرو فقال ايها الناس ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعته واثبت معاوية فهو ولي ابن عفان
واحق الناس بمقامه فكذبه ابو موسى وتنازعا وتشاتما ومرح امر الناس ولم يحصلوا على طائل وانسل
ابو موسى الاشعري الى مكة فاقام بها ولم يرجع الى علي حياء منه ومضى عمرو بن العاص في اهل الشام
فسلموا علي معاوية بالظلمة ولا ملام علي احبائه فيما كان منهم من عصيانه اولوا واتخذ اعهم لاهل الشام
آخرا وقال فيما قال كاني واياكم كما قال اخو جشم

امرتهم امرى بمن رج اللوا * فلم يستينوا الرشدا لاضحى الغد

وقال ان هذين الحكيمان اللذين اخترتموهما تر كاحكم الله وكمما بهوى النفس واختلفا في حكمهما
فلم يرشدهم الله فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير واصبح علي رضي الله عنه غاديا يريد الشام في ثمانية وسبعين
الفوا كانت الخوارج قد خرجوا عليه واعتزلوه وقالوا احكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وبلغه ان
الخوارج قد اجتمعوا بالنهر وان وقع اهدوا على حرب المسلمين ثم بلغه ان خوارج البصرة لقوا عبد الله

ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبان من النهر وان فعر فهم بنفسه فسألوه عن أبي بكر
 وعمر فأتى خبراً ثم عن عثمان في أول خلافته وأخبرها فقال كان محمداً في الأول والاخر فسألوه عن
 عن علي قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيفاً على دينه فقالوا انك تولى الرجال على أسمائنا
 ثم ذبحوه وبقر واطن امرأته وقتلوا معها ثلاث نسوة من طيء ومن عجيب أمرهم انهم لقوا مسلماً
 ونصراً يافتلوا المسلم وقالوا احفظوا ذمة نبيكم في النصراني فسار اليهم على رضى الله عنه وأرسل اليهم
 ان ادفعوا قتلة اخواننا منكم فذكف عنكم حتى نلقى أهل المغرب فعمل الله بركم الى خيبر فارسلوا اليه
 كلنا فدقتلهم وكلنا يستحل دماءكم فأناهم على رضى الله عنه فقال أيها العصبية التي أخرجها المرء من
 الحق الى الباطل وأصبحت في اللبس والخطب العظيم اني نذير لكم ان تصبوا لتلقاكم الامة غد اصري
 بانناء هذا النهر بغير بينة منكم ولا برهان ألم تعلموا اني قد نهيتمكم عن الحكومة الى وأخبرتكم ان القوم
 انما طلبوها خديعة فعصيتهم وحقمتوني على ان حكمت ولما حكمت شرطت وأخذت على الحكام
 ان يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات فاتقيا وحكما بغير حكم الكتاب فبذنا أمرها ونحن على أمرنا
 الأول فما الذي أصابكم ومن أين أتيتم قالوا احكمنا وكننا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبنا فنحن قومك
 والافاعتزلنا ونحن ننا بذك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فقال على رضى الله عنه صحيح ما صاب
 ولا ببق منكم واقد ابعدا عاني برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادى في سبيل الله وهجرى مع رسول الله
 أشهد على نفسى بال كفر قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ~~ويروى~~ انهم لما كلمهم واحجج عليهم تنادوا
 لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهموا اللقاء الرب الراح الراح الى الجنة فخرج على رضى الله عنه فبدأ
 الناس ميمنة وميسرة ووقف هو في القلب في مضر وجعل على الخليل أباً أيوب الانصارى وعلى أهل
 المدينة وكانوا سبع مائة قيس بن سعد بن عبادة وعبات الخوارج على نحو هذه التعيسة ورفع على رضى
 الله عنه مع أبي أيوب الانصارى راية الامان فنادى أبو أيوب من أتى هذه الراية ولم يقاتل ولم يستعرض
 فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن ومن انصرف عن هذه الجماعة فهو آمن فاعتزل
 فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي الامر في قتال على قتل الدسكرة وخرج
 آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى على رضى الله عنه وكانوا أربعة آلاف فبق منهم ألف وثمانمائة
 فحمل عليهم على والناس وزحفوا هم الى على رضى الله عنه ينادون الراح الراح الى الجنة فاستقبلتهم
 الرماة وعطفت عليهم الخليل من المجنبتين ونهض اليهم الرجال بالسلح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة
 كما تم اقبل لهم موتوا فأتوا وكان جملة من قتل من أصحاب على رضى الله عنه سبعة نفر فطلب على رضى
 الله عنه المخرج في القتلى فلم يوجد فقام رضى الله عنه وعليه أثر الحزن لفقدته فأنتهى الى قتلى بعضهم فوق
 بعض فقال افرجوا فصر جوايينا وشمالا فاستخرجوه فقال الله أكبر والله ما كذبت على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وانه لناقص اليد ما فيها عظم طرفها مثل ندى المرأة عليه اجس شعرات أو سبع
 رؤوسها معقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى منكبه فاذا اللحم مجتمع على منكبه كندى المرأة عليه شعرات
 سود اذا مدت اللحم امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم ترك قدمود الى منكبه فقال أصحاب على
 رضى الله عنه قد قطع الله دابرهم آخر الدهر فقال على والذي نفسى بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام
 النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد هاتما حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة يقال لهم الشط
 فيخرج اليهم رجل منا أهل البيت فيقتلهم فلا يخرج لهم بعدها خارجة الى يوم القيامة ~~ويروى الصحيح~~
 عن سويد بن غفلة قال قال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فوالله
 لان آخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة
 وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الاسنان سفهاء

الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يقرقون من الدين كما يقرق السهم من الرمية فايما القيتوهم فاقتلوههم فان في قتلهم اجر المن قتلهم ثم ان عليا رضى الله عنه ندب أصحابه الى غزr والشام فتنافلوا عليه ولما وصلوا الى الكوفة دخلوا الى بيوتهم وتركوا المعسكر خاليا ولمارأى على ذلك دخل الكوفة ثم ندبهم ثانيا فنفروا ثم ثالثا فلم ينشط منهم الا القليل فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بحاله عليهم من الطاعة في الحق والنصح فتنافلوا وسككوا واستمر الحال الى ان استأثر به ربه وأراحه من شعبهم وقبضه اليه ونقله الى كراهته ووجنته سابق مضمرا الايمان والهجرة والنصرة والتجدة والصحراء والقربى والقناعة والجهاد والعلم والزهد رضى الله عنه (وكان من خبر وفاته) ان ثلاثة من الخوارج من شجيمان وقعة النهران وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكر التميمي السعدي والحجاج بن عبد الله التميمي الصريمي وياقوب البرك اجتمعوا بمكة فذكروا اخوانهم الذين قتلوا بالنهران وقالوا ما نصنع بالبقية بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أمة الضلال وأرخصنا منهم الناس فقال ابن ملجم وكان من مصر أناأ كفيكم عليا وقال البرك أناأ كفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أناأ كفيكم عمرو بن العاصر وتماهدوا وان لا يرجع أحد منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه وتواعدوا السبع عشرة ليلة تمضي من رمضان من هذه السنة أعنى سنة أربعين وانطلقوا فأتى ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم الا انه جاء الى شبيب بن شجرة الاشعبي ودعاه الى الموافقة على شأنه فقال شبيب ذكأتمك أمك فكيف تقدر على قتله فقال أكر له في المسجد عند صلاة العداة فان قتلناه والافهسى الشهادة قال ويحك لأجدني أنشرح لقتله مع سابقته وفضله قال ألم يقتل العباد اله الحين أصحاب النهران قال بلى قال فنقتله بمن قتله منهم فاجابه ثم اتى امرأته من تيم الزباب فائقه الجمال اسمها قطام قتل أبوها وأخوها يوم النهران فخطبها ابن ملجم فشرطت عليه ثلاثة آلاف درهم وعبد اوقينته وأن يقتل عليا وقالت فان قتلته شغيت النفوس والافهسى الشهادة قال والله ما جئت الا لذلك ولك ما سألت وفي ذلك قيل

ثلاثة آلاف وعبد اوقينته * وضرب على بالحسام المسم

فلامهر أغلى من على وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

ثم قالت سأبعث معك من يشتظ هرك ويساعدك وبعثت معه رجلا من قومه اسمه وردان فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه فيها وكانت ليلة الجمعة جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها على للصلاة فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع في عضادة الباب وضربه ابن ملجم على قدم رأسه وقال الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك وهرب وردان الى منزله وهرب شبيب فجلسوا يتحافى فغار الناس وقبض على ابن ملجم فحفي به مكثوا الى على وقد جعل الى بيته فقال اى عدو الله ما حلك على هذا ثم قال ان هتك فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأى يابنى عبد المطلب لا تعرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا الاقاتلى يا حسن ان أنامت من ضربتى هذه فاضر به بسيفه ولا تمئن بال رجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم المنلة وقال له جندب بن عبد الله أنبأ بع الحسن ان فقدناك فقال ما أمركم به ولا أنهاكم عنه أنتم أبصر ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم لم ينطق الا ببلا اله الا الله حتى قبض رضى الله عنه ولما قبض أخرج عبد الرحمن بن ملجم من السجن فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم جله ثم لسانه وكلفت عيناه بحمار محي وأحرق اعنه الله وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوقع في البيت وأخذ البرك فقال لمعاوية عندي بشرى أتفغنى ان أنا أخبرتك بها قال نعم قال ان أخالى قتل عليا هذه الليلة فقال معاوية لعله لم يقدر عليه فقال بلى ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية وقيل قطع يده ورجله وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وأما عمرو بن بكر التميمي فانه جلس تلك الليلة لعمر بن العاص فلم

يخرج عمرو الى الصلاة لمرض أصابه واستتاب خارجه بن حذافة العدوي في الصلاة فشد عليه عمرو بن بكر وهو يظن انه عمرو بن العاص فقتله فلما أخذ نومه وأدخله على عمرو وقال من قتلت اذا قالوا قتلت خارجه بن حذافة فقال أردت عمرو أرا د الله خارجه فارسلها مثلاً وأمر به عمرو فقتل ورحم الله ابن عبدون اذ يقول وليتها اذ فدت عمراً بخارجه * فدت علياً بما شئت من البشر (وكانت وفاة علي رضي الله عنه) صليحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين كما ذكرنا وكانت مدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر واختلف في موضع قبره فقيل دفن بميالي قبلة المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة بها وقيل نقله ابنه الحسن الى المدينة ودفنه بالبقيع عند زوجته فاطمة رضي الله عنها (قال أبو الفداء) والاصح وهو الذي ارتضاه ابن الاثير وغيره ان قبره هو المشهور بالبقيع وهو الذي يزار اليوم وفضائل علي رضي الله عنه ومناقبه في العدل وحسن السيرة أجل من أن يحاط بها من ذلك مشاهده المشهوره بن يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته له وسبق اسلامه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام يوم خيبر لا بعثت الاريه غدا مع رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى وقال صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلها بخلاف قوله عليه السلام أفرضكم زيدوا فقولكم أبي ولم يضع رضي الله عنه لبنه على لبنه حتى اتى الله وكان يقسم ما في بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئاً ودخل مرة بيت المال فوجد الذهب والفضة فقال يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضى وغرتي غبري لا حاجة لي فيك **جووروي** ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده الى مجمع التيمي ان علياً رضي الله عنه قسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجا أن يشهده يوم القيامة **جووروي** أيضاً بسنده الى عاصم بن كليب عن أبيه قال قدم علي على مال من أصهان فقسمه سبعة أسابيع ووجد فيه رغيماً فقسمه سبع كسرو جعل على كل جزء كسرة ثم أقر عينهم أيهم يعطى أولاً قال ابن عبد البر وأخباره رضي الله عنه في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب ورحم الله من قال

أحسن من عود ومن ضارب * ومن قناة ناهد ككعب
ومن مدام في قواريرها * يسعي بها ساق الى شارب
ومن جباد انجيل في مهمه * وضارب بسطو على ضارب
أحسن من ذلك وهذا وذا • حب علي بن أبي طالب
لوقتسوا لسبي للفنوا به * سطرين قد خطابا لا كاتب
العلم والتوحيد في جانب * وحب آل البيت في جانب
ان كنت فيما قلته كاذباً * قلعة الله على الكاذب

ولما توفي علي رضي الله عنه بايع الناس ابنه الحسن رضي الله عنه وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له بسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل المخددين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله ويأتين على كل شرط ثم بعد ذلك نزل معاوية عن الامير في خبر طويل نذكر منه ما في الصحيح فعن الحسن البصري رجه الله قال اسمع قبل والله الحسن بن علي معاوية بكاتب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص اني لاري كتاب لا تولى حتى تقبل أقرانها فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين اي عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء فبن بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم ثم بعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كرز فقال اذهب الى هذا الرجل فاعرض عليه وقول له واطلب اليه فأتياه فدخلا عليه فتكلموا وقال له واطلب اليه فقال لهما الحسن بن علي

رضى الله عنهم ما اتانى عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عانت في دماءها قال افانه
يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فن لي بهذا قال نحن لك به فاسألهم اشيا الا قال نحن
لك به فساله قال الحسن البصرى رحمه الله ولقد سمعت ابا بكره يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المنبر والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول ان ابني هذا سيد
ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وها هنا فائدتان (الاولى) هذه الحروب التي وقعت
بين الصحابة رضى الله عنهم مجملها الاجتهاد كما قدمنا والذبح عن الدين وكان الناس من السذاجة في الدين
والتمسك به على ما عهد منهم فكانوا اذرا أو ما يظنونه منكرا غيروه ولو باتلاف معصمهم الا انهم كان
منهم المجتهد المصيب وهو ذو الاجرين كافي الحديث ومنهم المجتهد المخطئ وهو ذو الاجر الواحد كافي الحديث
أيضا وكان علي رضي الله عنه مصيبا في جميع أمره من أوله الى آخره فعلى العاقل المحتاط لديه أن يظن
بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن الجليل ويعمل بوصيته فيهم اذ قال عليه الصلاة والسلام الله
الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم الحديث
واياي واياه ان يجرح من زكاهم الله تعالى بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وزكاهم رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم اللهم احشرنافي زمرة من أحبهم وأمتناعلى سنتهم وطريقتهم يا أكرم الاكرمين
ويا أرحم الراحمين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
ربنا انك رؤوف رحيم (الفائدة الثامنة) أطبق السلف على ان ترتيب الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم
في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وذهب بعض السلف الى تقديم علي رضي الله عنه وعثمان قال به سفيان
الثوري لكن قيل انه يرجع عنه وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الا فضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب والحق هو القول الاول وهل التفضيل بين الخلفاء قطعي أو ظاهري فالذي مال اليه
الاشعري وهو الاول والذي مال اليه القاضي أبو بكر الباقلاني واختاره امام الحرمين في الارشاد هو
الثاني وعبارته لم يعم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الائمة على بعض اذ العقل لا يدل على ذلك والاخبار
الواردة في فضائلهم متعارضة ولكن الغالب على الظن ان أبا بكر أفضل الخلفاء لثبوت قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عمر أفضلهم بعده وتعارض الظنون في عثمان وعلي وها هنا انتهى بنا القول فيما قصدناه
من التبرك بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خلفائه الاربعة رضى الله عنهم وانرجع الى ما نحن
بصدده من ذكر أخبار المغرب الاقصى مقدمين القول أولا في بيان نسب البربر وبيان حالهم قبل
الاسلام وبعده على الجملة لمتخصص بعده للقصود والله تعالى يعصمنا من الزلل بعنه وكرمه

✽ القول في نسب البربر وبيان أصلهم ✽

اعلم ان الناس اختلفوا في تحقيق نسب البربر والى أي أصل من أصول الخليفة يرجعون فذكر صاحب
كتاب الجان في أخبار الزمان ونقله عن أهل العلم بالسيران بنى حام تنازعوا مع بنى سام فانهم من نوح
أمهم الى المغرب وتناشوا به واتصلت شعوبهم من أرض مصر الى آخر المغرب الى تخوم السودان وكان
بسواحل المغرب الافارقة والافرنج فكانت ذرية حام في المداشر والغمام والاعاجم الاول في البلدان
وبقى أكثر اولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام الى زمن داود عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم
يسمى جالوت فلما قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه عما يشاء أمره باجلاتهم من بلاد كنعان
وفلسطين الى أرض المغرب فسار وانحوا فريقة والزاب وانتشر وها هنا لك حتى ضاقت بهم تلك البلاد
وامتلات منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالابل وبيوت الشعرو لم تقدر
الفرنج على ردهم ودفاعهم فاحسزت الاعاجم للدين وبقى البربر فيما عدى المدن وهم مع ذلك على أديان

مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان الفاسدة فمنهم من تجسس ومنهم من تهود ومنهم من تنصر واستمر وأعلى ذلك إلى زمان الإسلام وكان فيهم رؤساء وماولك وكهان ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الأمم (وقال الطبري وغيره) أن البربر أخلطوا من كنعان والعماليق وغيرهم فلما قتل داود جالوت تفرقوا في البلاد (وقال الكلبي) اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام فقبيل داود بالوحى قبيل يادود أخرج البربر من الشام فانهم جذام الأرض وقيل يوشع بن نون عليه السلام وقيل أفر يقش الحبري واختلف في أفر يقش هذا فقال المسعودي هو أفر يقش بن ابرهة ذى المنار أحد التبابعة المشهورين (وقال ابن خزم) هو أفر يقش بن قيس بن صيفي أخو الحارث الرائي منهم وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقيا وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان من مهابا عند ما غلبهم يوشع ابن نون وقتلهم فأختم الغل منهم وساقهم إلى أفريقيا فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال أنه الذي سمي البربر بهذا الاسم لأنه لما فتح المغرب وسمع وطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البربر والبربرية في لغة العرب اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الأسد وينسبون إليه في ذلك شعرا وهو قوله

بربرت كنعان لما سقتها * من بلاد الضنك للخصب العجيب

أى أرض سكنوها ولقد * فازت البربر بالعيش الخصب

ولما قتل أفر يقش من غزو المغرب ترك هناك حامية من قبائل جبرصناجة وكنامة فهم ما بها إلى الآن وليدوا من نسب البربر قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين من العرب (وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له) اختلف الناس في نسب البربر اختلافا كثيرا وأنسب ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام وأنه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر عمالة مصر وذلك في ما وراء بركة إلى البحر الأخضر مع بحر الأندلس إلى منقطع الرمل ممتلين بالسودان وقيل إن البربر صنفان البرانس والبتر وان البتر منهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر واختلفوا في توجيه ذلك فقال الطبري خرج بر بن قيس بن عيلان ينشد ضالته بأحياء البربر فرأى جارية منهم فخطبها من أبيها وتروجها فولدت له (وقال في كتاب الجمان) وأما نسبتهم بالبربر فإنه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان كان له ولدا اسمه بر فخرج مغاضبا إليه واخوته إلى جهة المغرب فقال الناس بر بر أى توحش في البرارى فسموا بربرا ونقل ابن أبي زرع وابن خلدون عن النسابين من البربر وحكاها أيضا البكري وغيره أنه كان لمضر بن نزار ولدان الياس وعيلان أمهما الرباب بنت حبيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان ابن مضر ولدين وهما قيس ودهمان ابنا عيلان أما دهمان فولده قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وأما قيس بن عيلان فولد أربعة بنين وجارية وهم سعد وعمر ووصفة أمهم من نزة بنت أسد ابن ربيعة بن نزار ثم بر وأخته تماضر أمهم ما عثر في بنت يحدول بن عمار بن مضمود البربري اليجدولي وكانت قبائل البربر اذذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن والأسواق والمساعي ويشاركونهم في المياه والمسارح والمراعى ويصاهر بعضهم بعضهم وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان ابن مضر من أجل نساء زمانها أو كهلن ظرفا وأدبا فكثر خطابها من سائر قبائل العرب فقال بنو عمها وهم عمرو وسعد ووصفة وبر لا يتزوج ابنة عمنا إلا أحدنا ولا يخرج منا إلى غيرنا خير وهما فين شاءت منهم فاختارت برا وكان أصغرهم سنوا أكملهم شبانا فتزوجها دون اخوته فحسدوه عابها وهو ابنته من أجلها وكانت أمه عمر بنغ من دهاة النساء فبعثت إلى أبيها دهمان وأعلمته الخبر ووطأ أنه على الخروج بولدها إلى أرض قومها من البربر حيث تأمن عليه ثم بعثت إلى قومها فأتوها سراً فأر تجحت معهم هي وولدها بر وكنتها البهاء بنت دهمان فخطبوا به لإد البربر وهم يومئذ مستوطنون فلسطين ويا كفاف الشام قتل بر على أخواله واعتز بهم وبنى بانية عمه البهاء فولدت له هناك ولدين علوان وساد فقيس ابني بر بن قيس

ابن عيلان فاما علوان فمات صغيرا ولم يعقب وأما ماد غيس فكان يلقب الابتر وهو أبو البتر من البربر
واليه يرفعون أنسابهم ومن ولده جميع زناتة كما سيأتي ويزعمون ان تماضر أخت بر بكتة بهما دفرقته
بشعر تقول فيه لتبسك كل باكية أخاها * كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فاضحى * ودون لقائه انضاء غيس
ومما ينسب اليها أيضا قولها

وشطت ببر داره عن بلادنا * وطوح بر نفسه حيث عينا
وأزوت ببر لكتة أعجمية * وما كان بر في الحجاز باعجا
كانوا يرا لم تقف بجيادنا * بنجد ولم تقسم هم ابوا مغنما

وأشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي

ألا أيها الساعي لفرقة بيننا * توقف هذا الله سبل الاطياب
فاقسم انا والسببر ابر اخوة * تداوانا جد ذكريم المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى * له حومة تشفى غليل المحارب
وبر بن قيس عصبه ضرية * وفي الفرع من أحسابها والذوائب
فصن وهم ركن منيع واخوة * على رغم أعـداء لثام المنقاب

في أبيات غيره هذه وينشد أيضا يزيد بن خالد مدح البربر قوله

أبها السائل عنأصلنا * قيس عيلان بنو الغر الأول
نحن مانحن بنو بر الندى * طارد الازمة نجار الابل
قد بنى المجد فاورى زنده * وكفانا كل خطب ذي جمل
ان قيسا يعترى بر له * ولبر يعترى قيس الاجل
فلنا الفخر بقر قيس انه * جدنا الا كبر فذاك الكبيل
ان قيسا قيس عيلان هم * معدن الخير على الخير دل
حسبي البربر قومي انهم * ملكوا الارض باطراف الاسل

في أبيات آخر واعلم ان الخلاف في نسب البربر طويل وقد تركناه له اختصارا وأشبهه هذه الاقوال
بالصحة ما نقلناه أولا بما يدل على ان جيل البربر من ولد حام وانهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عند ما تناسلت
ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليفة على وجه الارض ثم تلا حقت بهم بقية بنى كنعان من الشام
عند ما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داود عليه السلام ثانيا ^١ قال ابن خلدون بعد تزييف
القول بان البربر من ولد جالوت بالخصوص أو من العرب مانصه والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره
في شأنهم انه من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وان اسم أبيهم م مازيغ اه ومما يستدل به من
المواد المقولة في نسب البربر قول خلف بن فرج السمسير من شعراء الاندلس ^٢ مجموع البربر

رأيت آدم في نومي فقاتله * أبا البرية ان الناس قد حكموا
ان البربر نسل منك قال اذا * حواء طالق ان كان الذي زعموا

وهذا من ملح الشعراء وشيظنتهم والا فالبربر جيل معروف من أعظم الاجيال وأعزها ولهم الفخر الذي
لا يجهل والذي لا يهمل وقد تعددت فيهم الدول وكثرت فيهم الملوك العظام وكان لهم الاقدم الراسيخ
في الاسلام واليد البيضاء في الجهاد ومنهم الاثمة والعلماء والاولياء والشعراء وأهل المنزاة والفضائل
وستقف على كثير من ذلك عن قريب ان شاء الله

والقول في تقسيم شعوب البربر على الجملة ^٣

اعلم ان أمة البربر أمة عظيمة قدملائ ما بين برقة والبحر المحيط شرقا وغربا وما بين بلاد السودان والبحر
الروى جنوبا وشمالا ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربرى عنهما (قال ابن خلدون)
علماء النسب متفقون على ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وما دغيس ويلقب مادغيس
بالا بتر فلذلك يقال لشعبه البتر ويقال لشعبه عرب برنس والبرانس وبين النسب بين خلاف هل هما لاب
واحد أم لا فعند ابن خزم انهما لاب واحد والجميع من نسل كنعان بن حام وقال سابق بن سليمان المطماطى
وغيره من نساب البربر ان البرانس فقط من نسل كنعان * وأما البتر فهم بنو بر بن قيس بن عيلان بن مضر
وهذا القول قد تقدم ما فيه فالحق ان الشعبين معا عرفان في البربرية وان الجميع من ولد مازن بن
وماز بن هوم من ولد كنعان بن حام كما مر * فاما البرانس فتقسم الى سبع قبائل اورية وصنهاجة وكتامة
ومصمودة وعجيسة وأوريقه واردة ويقال ورداحة بالواو بدل الهـ مزه وازاد سابق المطماطى وغيره
ثلاث قبائل أخرى وهم لطة وهسكورة وخزولة فتكون عشرة * فاما اورية فكان منهم كسيلة بن اغز الاوربى
قائل عقبه بن نافع رضى الله عنه زمان الفتح ومنهم اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربى القائم بدعوة
ادريس بن عبد الله رضى الله عنه * وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس انهم
مقدار الثلث منهم وكان منهم بنوز برى بن مناد مالوك افريقية والمغنون مالوك مراکش والاندلس
(وأما كتامة) فهم القاطنون بدعوة العبيديين بافريقية ومصر * وأما المصامدة فهم غارة وكان منهم بليان
النصرانى صاحب سبته وطنجبة أيام دخول عقبه بن نافع للغرب الاقصى وهم القاطنون أيضا بدعوة بنى
ادريس فى دواتهم الثانية بعد بنى أبى العافية ومن المصامدة أيضا بر غواطة أهل تامسنا وما اتصل بها
ومنهم أهل جبل درن القاطنون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين وأما باقى قبائل البرانس فلم يكن
لهم ملك يذكر وقد تقدم لنا ان النسب بين من العرب يقولون ان صنهاجة وكتامة من جبروان افريقس
الجبرى تركهم حامية بافريقية فتناساوا بها واستحال لسانهم الى البربرية لكن المحققون من نساب
البربر كسابق المطماطى وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بانهم ما قبيلتان عربيتان فى البربر * وأما البتر
وهم بنو مادغيس الا بتر فيقسم شعبهم الى أربع قبائل وهم ضربسة ونفوسة وأداسة وبنولواى وهم
لواتة فاما ضربسة فمكاسة ومن مكاسة بنو مدرار مالوك مجلماسة وبنو أبى العافية مالوك فاس
ومن ضربسة أيضا زانانة كلها ومن زانانة حراوة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل اوراس التى أوقعت
بحسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك بن مروان ومن زانانة أيضا بنو خزرا المغراوى مالوك تلمسان
والمغرب الاوسط ومنهم مغراوة مالوك فاس وبنو يقرن مالوك سلواتادلا ومنهم بنو زيان مالوك تلمسان
و بنو مريم مالوك فاس أيضا فهؤلاء كلهم من زانانة وزانانة هوزانان بن يحيى بن ضرى بن زجسك
ابن مادغيس البتر * وأما نفوسة وأداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر واعلم ان كل قبيلة من هذه القبائل
الاربع عشرة تشتمل على عمائر واطون وأخذ وفصائل لا حصر لها ويتميز كل واحد كفاية وبالله التوفيق

والخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض أمصار المغرب القديمة وما قبل فى ذلك

قد تقدم لنا ان البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب فى قديم الزمان وانهم لما عمرو ابلادهم وملئوا كنفه
انحازت الفرج عنهم الى السواحل والنفوس وبقى البربر فيما سوى ذلك من الضواحي والجبال
والكهوف وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة الى آخر ما مر
فهذا كان حالهم على الجملة * وقال ابن خلدون * لم تزل بلاد المغرب الى طرف البلس بل والى الاسكندرية
عامرة بهذا الجبل ما بين البحر الروى وبلاد السودان منذ أزمان لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين
المجوسية شأن الاعاجم كلها بالشرق والمغرب الا فى بعض الاحياء يدينون بدين من غلب عليهم من الامم
فان الامم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم مالوك اليمن من قراهم مرار على ما ذكر

مؤرخوهم فاستكانوا الغلبهم ودانوا بدينهم (ذكر ابن السكبي) ان حيرا ابا القباثل اليمانية ملك المغرب
 مائة سنة وانه الذي ابنتى مدائنه مثل افريقية وصقلية واتفق المؤرخون من العرب على غزو افريقس
 الجيرى من التبابعة ارض المغرب اه ومانقله عن ابن السكبي من غزو حير ارض المغرب قد نقل أيضا
 انكاره عن الحافظين ابي عمر بن عبد البر و ابي محمد بن حزم وانهم اقالا ما كان لجير طريق الى بلاد البربر
 الا في تكاذيب مؤرخي الين ثم ذكر ان البعض من البربر كانوا قد دانوا بدين اليهودية واخذوه عن بني
 اسرائيل عند استعمال ملكهم لغرب الشام وسلطانه منهم كما كان حراوة أهل جبل اوراين قبيلة الكاهنة
 وكما كانت نفوسة من برابرة افريقية وفندلاوة ومديونة وبم لولة وغنيانة وبنو فازاز من برابرة المغرب الاقصى
 حتى محادريس الاكبر جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والملل وقال غير واحد من المؤرخين
 كان أهل المغرب الاقصى يصرون بأهل الاندلس لاتصال الارض بينهم ويلقون منهم الجهد الجهميد في كل
 وقت الى ان اجتازهم الاسكندر فشكوا حواهم اليه فأحضر المهندسين وأتى الى الزقاق يعني زقاق سبتة
 فأمرهم بوزن سطح الماء من البحر المحيط والبحر الرومي فوجدوا المحيط يعالرومي بشئ يسير فأمر برفع
 السداد التي على ساحل البحر الرومي ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد
 الاندلس من الارض فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبني عليها رصيفا بالحجر والجباز بناء محكما
 وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة
 وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما اكمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين
 الرصيفين فدخل في البحر الرومي ثم ارتفع الماء فاغرق مدنا كثيرة وأهلك أمة عظيمة كانت على الشطين
 وطمي الماء على الرصيفين باحدى عشرة قامة فأما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض
 الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرة يسمونه القنطرة وأما الرصيف
 الذي من جهة العدو فان الماء جمل في صدره واحتفر ما خلفه من الارض بنحو اثني عشر ميلا
 وعلى طرفه من جهة المغرب قصر المجاز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن
 زياد وجزيرة طريف بن مالك والجزيرة الخضراء وما بين سبتة والخضراء هو عرض البحر المسمى بالزقاق
 وبالبوغاز أيضا اه وما ذكره من ان ارض المغرب كانت متصلة بارض الاندلس نحوه في تواريخ
 الفرنج القديمة غير انهم يسمون الملك الذي فتح البوغاز هو قول الجبار وعند ابن سعيد انه كان فيما بين
 قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة قد وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عليها
 من بر الاندلس الى بلاد العدو والله تعالى أعلم بحقيقة الامر (وفي تواريخ الفرنج المتطوع بمحتمل عندهم)
 ان ملوك الروم الاولى حاربوا القرطاجنيين من أهل افريقية والمغرب وغلبوهم على البلاد وهدموها في
 بعض تلك الحروب مدينة قرطاجنة الشهيرة الذكر (قال الشيخ رفاعة في بداية القدماء مانصه) قرطاجنة
 مدينة بارض افريقية وهي احدى مدن الدنيا الشهيرة وقد هدمها الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام
 بمائة وست وأربعين سنة ثم أسست ثانية ونزحها العرب حتى انه لا يرى الا ن شئ من آثارها الانبعاث
 الجهد ويقرب موضعها مدينة تونس اه (وقال ابن خلدون) في كتاب طبيعة العمران حين تكام على
 قيادة الاساطيل مانصه وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكان
 أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله وما أسف من أسف
 منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب أجاز واليه في الاساطيل
 وملكوها وتلقبوا على البربر بها وانتزعوا من أيديهم أمرها وكان لهم المدن الحافلة مثل قرطاجنة
 وسيطة وجالولا، ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة
 ويبعث الاساطيل لحربه مشكونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين

حفايه معروفة في القديم والحديث انتهى **بجوهلت** الفرج اليوم جازمون بان مارك الروم الاولى
 كانوا مستولين على ارض المغرب باسرها قدام ملكوها مدة طويلة من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه
 السلام بكثير وان الامصار القديمة بالمغرب مثل سبتة وطنجبة وسلا وشالة ووليلي ونحوها هي من بنائهم
 او بناء القرطاجنيين قبلهم ولقد قال لي بعض اهل الخبرة منهم ان مدينة سسلا كانت موجودة في ذلك
 العصر وانها مذكورة بهذا الاسم في تواريخ الروم القديمة المذكورة فيها اخبار المغرب وامصاره
 وحقت عليه ذلك فجزم به ولم يرجع وما يقال من ان سبتة وسلا من بناء بعض اولاد نوح عليه السلام
 فقول بعيد عن الصحة نعم قد ذكر في التوراة عند الكلام على ذرية نوح وتنازلهم بالارض انه كان منهم
 سبتة بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ويعد ان تكون المدينة من بناء هذا الرجل او بناء بعض بنيه
 لبعده العهد وطول المدة وعدم نقل ذلك من وجه صحيح وان كانت ارض المغرب هي لاولاد حام من قديم
 الزمان والله اعلم * ولما أخذ الروم يدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك وكانت لهم اليد العالمية على
 من جاورهم من الامم مثل الحبشة والقطب والفرنج والقوط وغيرهم جاورهم على الاخذ به فدناوا به معهم
 وتلقونه عنهم وبنوه في بلادهم وورعاياهم وكان الفرنج يجاورين للبربر في المغرب الادنى والقوط مجاورين
 لهم في الاقصى ايسر بينهم وبينهم الاخليج البحر فحاملوا اهل السواحل منهم على الاخذ بذلك الدين فدناوا به
 ايضا ونظر القيسارية يومئذ منسحب على الجميع وامرهم ناقد في الشكل واستمر الحال على ذلك حتى جاء
 الله بالاسلام واظهره على الدين كله فدانت به البربر على ما ذكره ان شاء الله فلهذا السبب كان كسيلة
 الاوربي ويليان الغماري وغيرهما من كبار البربر نصارى **بجوه** وقال ابن خلدون **بجوه** كان للبربر في الضواحي
 وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ماشاء الله من قوة وعدة وعدد ومال وروساء واقبال وامراء
 لا يرامون بذل ولا تنالهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك بمحظة ولا اساءة ثم قال وكانوا يؤدون الجباية
 لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب مصر والاسكندر بركة يورقة يوردي الجباية له وكان
 كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم
 قد غلبوا على هؤلاء الامم اجتمع عنهم واخذوا دين النصرانية وكان الفرنجة هم الذين ولوا افرريقية
 ولم تكن للروم فيها ولا ية وانما كان كل من كان منهم حاجد الفرنج ومن حشودهم وما يسمع في كتب
 لفتح من ذكر الروم في فتح افرريقية فن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا
 في الشام الا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على امة النصرانية فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا
 اسم الروم على جميع امة النصرانية ونقل الاخبار عن العرب كما هي فجزير المقبول عند الفتح من
 الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا افرريقية غالبين على البربر وناراين بعد ما حاصروها
 انما كانوا من الفرنجة اه

بجوه القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد الاسلام **بجوه**

اعلم ان لفظ المغرب يطلق في عرف اهلها على ناحية من الارض معروفة بعينها حدتها من جهة مغرب
 لشمس البحر المحيط المعروف بالكبير ومن جهة مشرق الشمس بلاد بركة وما خلفها الى الاسكندرية
 ومصر فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار وبلاد طرابلس وما دونها الى جهة البحر المحيط داخله
 فيه وحدتها من جهة الشمال البحر الرومي المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومي بالصغير ومن جهة
 الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب الرحالة هنالك بالعرق
بجوه ثم هذا المغرب **بجوه** يشتمل على ثلاث ممالك افرريقية وهي المغرب الادنى وقاعدتها في صدر الاسلام
 مدينة القيروان وفي هذا العصر مدينة تونس وسمى أدنى لانه اقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة بالجز
بجوه ثم بعد افرريقية **بجوه** مملكة المغرب الاوسط وقاعدتها التلسان وجزائر بني مزغنة وهذه المملكة اليوم في يد

فرج افرانسة ملك وها في سنة ست وأربعين ومائتين وألف وأهلها مسلمون ثم بعد ذلك ملك المغرب
 الاقصي وسمى اقصي لانه ابعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الاسلام وحده هذا الاقصي من
 جهة المغرب البحر المحيط ومن جهة المشرق وادي ملوية مع جبال تازا ومن جهة الشمال البحر الرومي
 ومن جهة الجنوب جبل درن قاله ابن خلدون وفي تقاسيم الفرج ان المغرب الاقصي يشتمل على خمس
 عمالات عمالة فاس وعمالة مراکش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت ودار الملك به تارة
 فاس وتارة مراکش وهو في الغلب ديار المصامدة من البربر ويساكنهم فيه عوام من صنهاجة
 ومضغرة وأوربة وغيرهم لكنهم قليل بالنسبة الى المصامدة ويساكنهم فيه أيضا عالم من العرب أهل
 الخيام انتقلوا من جزيرة العرب الى أفريقية ثم من أفريقية اليه وأخر المائة السادسة أيام الخليفة
 يعقوب المنصور الموحدى وهم اليوم قبائل عديدة يرجعون في نسبهم الى رياح وجشم فأما رياح فهم
 من بني هلال بن عامر بن صعصعة وأما جشم فهم بنو جشم بن معاوية بن بكر وكلهم ينتهي نسبهم الى
 مضرو ويضاف اليهم قبائل أخرى تحقق الكلام فيهم بعد هذا ان شاء الله ثم قد علمت ان كلامنا
 بالقصد الاول في هذا الكتاب انما هو على المغرب الاقصي لكانت لكم أولا على أخبار المغرب مطلقا ونذكر
 أمراء الموجهين من قبل الخلفاء بالمشرف على التفصيل مادام نظرهم منسجبا عليه وظلمهم امتد اليه
 اذ كان أمر الخلافة في صدر الاسلام متحدوا وحكمها مجتمعوا وكلتها نافذة في جميع ممالك الاسلام شرقا
 وغربا بحيث لا يخرج قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار فيما بعد وأودنا من الارض عن نظر الخليفة
 الاعظم وقد كان ذلك دينامتبعوا وحكما مجتمعا عليه ولا تصح لاحد امارة أو ولاية الا بالاستناد اليه حتى
 اذا طال العهد وضعف أمر الخلافة وتقلص ظلها عن القاصية تفرقت ممالك الاسلام البعيدة عن
 دارها وتوزعت الثوار من بني هاشم وغيرهم واستبدت الامراء النازحون عنها كل بما غلب عليه وصار أمر
 الوحدة الى الكثرة وحكم الاجتماع الى الفرقة فلهذا نتكلم الآن على أخبار المغرب مطلقا ونذكر ولاته
 الموجهين اليه من قبل الخلفاء واحدا بعد واحد الى زمن ادريس بن عبد الله المستبد بمالك المغرب الاقصي
 والمقتطع له عماءه من الممالك الاسلامية فحينئذ نذكر الكلام عليه بخصوصه على ما شرطناه
 فاما الآن فلا يمكننا الكلام عليه وحده لانه والحالة هذه مندرج في غيره من ممالك المغرب اذ الوالي
 الموجه من قبل الخليفة في صدر الاسلام كان يكون واليا على أفريقية وما بعدها من بلاد المغرب الى البحر
 المحيط وقد تضاف الى نظره الاندلس بل كان الوالي بمصر قد يكون نظره شامدا لجميع بلاد المغرب حسبما
 تقف عليه فاعرف هذه الجملة وتكن منك على بال وأما حال البربر بعد الاسلام فيعرف من أخبار
 الولاة التي نسردها الآن وبالله التوفيق

بولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وفتح برقة وطرابلس

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية
 وفتح منها سارفي سنة احدى وعشرين من الهجرة الى برقة وكانت تسمى في القديم انطابلس فصالحه
 أهلها على الجزية ثم سار بعدها الى طرابلس فحاصرها شهرا وكانت مكشوفة السور من جانب البحر
 وسفن الروم في مرساها فحسر الماء في بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها
 فافتحموا البلد فيمابين البحر واليبوت فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم وارفع الصباح فأقبل عمرو
 بعساكره فدخل المدينة ولم يغلب الروم الا بما خفي المراكب ثم عطف عمرو رضي الله عنه على مدينة
 صبرة وكانوا قد آمنوا بعمارة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصبهم في جيش المسلمين واقتمها
 عليهم عنوة وكل الفتح ورجع عمرو الى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر
 أهل برقة لواته وهم بنو لوى الاكبر وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلتا القبيلتين من البتر

ولما فرغ عمرو ورضي الله عنه من أمر طرابلس وما معها استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التقدم إلى أفر بيقية فتمعه وقال تلك المفرقة وليست بأفر بيقية أو كلامها هذا معناه فامتثل وعاد إلى مصر فكان عمرو بن العاصي أول أمير للمسلمين وطشت خيله أرض المغرب لكنه لم يصل إلى أفر بيقية ولا كان من البربر إلا مغيران صاحب كتاب الجمان نقل أنه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاصي قدم عليه ستة نفر من البربر محملين الرؤس والحي فقال لهم عمرو ما أنتم وما الذي جاءكم قالوا رغبتنا في الإسلام فخشنا أنه لا نجد وناقد أو صونا بذلك فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنهم ما كتب إليه بخبرهم فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلهم الترجان على لسان عمر فقال لهم من أنتم قالوا نحن بنو مازن بن قيس بن عيلان خرج مغاضبا إليه واخوته فقالوا بربر أي أخذ البرية فقال لهم عمرو رضي الله عنه ما علامتكم في بلادكم قالوا نكرم الخيل ونهين النساء فقال لهم عمر ألكم مدائن قالوا لا قال ألكم أعلام تهنطون بها قالوا لا قال عمر والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض معاريفه فظفرت إلى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تخزن فإن الله سبحانه عز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهنطون بها في الطرق ثم قال عمر فالحمد لله الذي من على بربريته ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه وكتب إلى عمرو بن العاصي أن يجعلهم على مقدمة المسلمين وكانوا من أمجاد شتى اه والله أعلم

ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقتحه أفر بيقية

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاصي عن مصر وولي عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخاه من الرضاة وأمره بغزو أفر بيقية سنة ست وعشرين من الهجرة وقال له إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم فأمر ابن أبي سرح عقبه بن نافع بن عبد قيس على جند عبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسرّحهما فخر جوا إلى أفر بيقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدر وأعلى التوغل فيها الكثرة أهلها ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاصي وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وقيل لحقهم مدد داوسار وجمع عبد الله بن سعد سنة ست وعشرين ولقيهم عقبه بن نافع فيمن معه من المسلمين بريقة ثم ساروا إلى طرابلس فقبضوا الروم عندهم ثم تجاوزوها إلى أفر بيقية وبثوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير الفرنجي يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمله إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سببيلة دار ملكهم وأقاموا يقتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعنه عثمان رضي الله عنه لما أبطأت عليه أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد ففت ذلك في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل له أنه سمع منادى جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له ابن الزبير تنادى أنت بان من قتل جرجير نقلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده فخاف جرجير أشد منه ثم أشار ابن الزبير على ابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ويقابل الروم بما في العسكر إلى أن يضجروا فيركبهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفرير الذي كانوا مستريحين

فكبروا وجلاوا حلة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهم زمو وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير
 جرجير وحيزت بنته سبية فنفلها ابن أبي سرح ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سيديلة ففتحها وخربها
 وكان سهم النار من فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألفا وبت جيوشه في البلاد الى قفصة فسبوا
 وغنموا وبعثوا عسكريا الى حصن الاجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحته على الامان ثم صالحه
 أهل أفريقيا على ألفي ألف وخمسة مائة ألف دينار وأرسل ابن الزبير بخبر الفتح وبالحبس الى المدينة
 فاستراه مروان بن الحكم بخمسة مائة ألف دينار وبعض الناس يقول اعطاه اياه عثمان رضى الله عنه
 ولا يصح وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الاولى وانجاز الفريجة ومن معهم من الروم
 بعد الهزيمة والفتح الى حصون أفريقيا وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين أهل
 الضواحي من البربر زحوف وقتل وسبي حتى لقد أسروا يومئذ من ملوك البربر صولات بن وزمار الزناتي
 ثم المغراوي جدي بن زخر ملوك تلمسان فرفعوه الى عثمان رضى الله عنه فأسلم على يده فن عليه وأطلقه
 وعقد له على قومه ويقال انما وصله وافدا فكرم وفادته والله أعلم ثم غلب الفرنج والبربر في السلم وسألوا
 الصلح وشرطوا لابن أبي سرح ثلاثمائة قطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ويخرج من بلادهم
 ففعل ورجع المسلمون الى المشرق بعد مقامهم بأفريقية سنة وثلاثة أشهر ولما بلغ هرقل ملك الروم
 ان أهل أفريقيا صالحوا المسلمين بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل
 ذلك فتزل قرطاجنة وأخبارهم بما جاء له فأبوا وقالوا قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا فقاتلهم
 البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي لوه عليهم بعد جرجير فلقق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية
 ابن أبي سفيان رضى الله عنه فاستجاب له على أفريقيا فبعث معه معاوية بن حديج السكوني على ما ذكره

ولاية معاوية بن حديج على المغرب

هو معاوية بن حديج الحاء المهملة مصغر الكندي ثم السكوني له حجة وعن شهادته مع مروان العاصي
 فتح مصر وقدم بخبر الفتح على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولما قدم على أفريقيا على معاوية بن
 أبي سفيان رضى الله عنه وشكا اليه ما ناله من صاحب قيسر بعث معه معاوية بن حديج هذاني عسكري
 ضمهم سنة خمس وأربعين فلما وصل الى الاسكندرية هلك العج والمضى معاوية فقدم أفريقيا في عشرة
 آلاف فتزل قونية فمرح اليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل كان قيسر قد وجهه من القسطنطينية
 في البحر لمدافعة العرب عن أفريقيا فلم تكن شيئا فقاتلهم معاوية فهزمهم عند حصن الاجم ثم ثبت السرايا
 ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتحتها ثم بعث عبد الملك بن مروان الى جلاول فافتحتها
 كذلك وقال ابن خلدون ان معاوية حاصر حصن جلاول فامتنع عليه حتى سقط ذات يوم سور
 فلكه المسلمون وغنموا ما فيه ثم وجه جيشا في البحر الى صقلية في مائتي مركب فأتخنوا فيها ثم فتح بنزرت
 وظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد ان حاربا حنة وبنى بحمل القبروان آبارا ثم عزله معاوية
 ابن أبي سفيان عن أفريقيا وأقره على مصر فقط ثم عزله عنها في خبر ليس ذكره من غرضنا

ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائه مدينة القبروان

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري صحابي بالمولد وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة وكان
 عمرو بن العاصي وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خالته على أفريقيا فأنتهى الى لوانة
 ومزاة فاطعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبي ثم اقتنع سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان
 وفي السنة بعدها اقتحودان وكوران من كور السودان وأتخن في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتوح
 فظهر غناؤه وعرفت نجدته وكفايته فلما كانت سنة خمس وولاه معاوية رضى الله عنه على أفريقيا
 استقلالا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة أفريقيا بعد رجوع معاوية بن حديج عنها

وانضاف اليه مسلمة البربر فكثير جمعه ووضع السيف في أهلها لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين
أسلموا فاذا رجعوا عن ارتدوا ثم رأى عقبه رجه الله أن يتخذ مدينة يتحصن بها جيش المسلمين من البربر
وتقام بها الجمع والاعياد فاستشار من معه فقالوا نحن أصحاب ابل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر فتسطوعينا
الفرج فانظر لنا بنظر الله ع قال صاحب الجمان ع وكانت بقعة القبر وان غيضة لا يأوى اليها الا الوحوش
والسباع فصاح بها عقبه أن اخرجي آيتها الوحوش والهوام باذن الله عز وجل فبقيت أرض القبر وان
أربعين سنة لا يرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع العادية ثم شرع في بناء ما قال هذه أوسع لابلكم
وآمن عليكم من روم القسطنطينية وافرغ الجزيرة ع وعن الليث بن سعد ع أن عقبه رجه الله عز
افريقية فأتى وادى القبر وان فبات عليه هو وأصحابه حتى اذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال يا أهل
الوادى انظروا فاننا نزلون قال ذلك ثلاثا فاجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من
الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوهج بهم الشمس وحتى لم يروا منها
شيئا فنزلوا الوادى عند ذلك ع قال الليث ع حدثني زياد بن عجلان ان أهل افريقية أقاموا بعد ذلك
أربعين سنة ولو التمس حية أو عقرب بالف دينار ما وجدت اه ع وفي الجمان ع لما شرع عقبه رجه الله
في بناء جامعها تنازعوا في القبلة فأتى عقبه أت في النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما انتبه أعلم
الناس بذلك فأتوا الى الموضع فوجدوا العلامة كما قال فوقف عقبه ينظر الى القبلة فسمع تكبيرة في الجوف
من ناحية القبلة فنظر فرأى الكعبة عيانا ورآها كل من كان حوله ع وقال ابن خلدون ع اختط عقبه
رضي الله عنه القبر وان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة
آلاف باع وستائة باع وكنت في خمس سنين وكان يغزوا ويبعث سرايا لا غارة والنهب ودخل أكثر
البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين اه ع وقال صاحب الخلاصة النقية ع اختط عقبه
ابن نافع القبر وان سنة خمسين وجعل دور سورها اثني عشر ميلا وبنى بها الجامع الاعظم وقاتل البربر
وشردهم ثم عزله معاوية عنها والله أعلم

ولاية أبي المهاجر دينار وفتح المغرب الاوسط ع

كان معاوية رضي الله عنه قدولى على مصر وافر ببيعة مسلمة بن مخلد بنوزن محمد الانصاري فاستعمل
مسلمة على افريقية مولاه أبا المهاجر المذكور ويقال مولى بني مخزوم فقد مها سنة خمس وخمسين وأساء
عزل عقبه واستخف به لشيء كان بينهما ما ذكره نزول القبر وان فبنى مدينة قربها وأخلى قبر وان عقبه فدعا
عقبه الله تعالى أن يمكنه منه وكان رجلا صالحا محبا للدعوة فاستجيب له فيه على ما ذكره ثم ان أبا المهاجر
بعث حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام الى جزيرة شريك وهي المعروفة الآن بالجزيرة القبلية
واليها يسلك من باب الجزيرة أحد أبواب تونس فافتتحها وكان كسيلة بن اغز البرنسي ثم الاوربي
من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر وكان نصرانيا فدجع الجوع عن البربر والفرج وزحف الى
المسلمين فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلمسان وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فظهر الاسلام
فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه ع قال ابن خلدون ع لم أقف لتلمسان على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق
من ان أبا المهاجر لما قدم افريقية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت العيون القرية منها
عيون أبي المهاجر اه فهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاوسط ع ثم ان عقبه بن نافع لما قفل الى
المشرق شكوا الى معاوية رضي الله عنه ما ناله من أبي المهاجر فاعتذر اليه ووعد برده الى عمله ثم ولده ابنه
يزيد على المغرب سنة اثنتين وستين ع وذكر الواقدي ع ان عقبه ولي المغرب سنة ست وأربعين فاخط
القبر وان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بابي المهاجر فيمنذ قبض على عقبه وضيق عليه فكتب اليه يزيد
بأمره يبعثه فبعثه اليه ثم أعاده واليا على افريقية والله أعلم

ولاية عقبية بن نافع الثانية وفتح المغرب الاقصى ومقتله

لما توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وولي بعده ابنه يزيد بعث عقبية بن نافع واليا على المغرب فقدمه في التاريخ المتقدم واعتقل أبالمهاجر ونخب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد فاستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان ويقال ولاة على مقدمة جيشه وخرج في جيش كثيف ففتح حصن لميس ومدينة باغانة المطل عليها جيسل أوراس وفتح بلاد الجريد فتحا نائيا وصالح أهل قران وسار الى الزاب وتاهرت فشتت جوع البربر ومن انضم اليهم من الفريخ ثم تقدم الى المغرب الاقصى فالتحن في أهله الى ان وصل الى البحر المحيط فكان عقبية رجح الله أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاقصى وقال ابن خلدون قدم عقبية بن نافع المغرب في ولايته الثانية سنة اثنتين وستين فاضطغن على كسيلة حبيته لابي المهاجر ونكبه وتقدّم أبو المهاجر الى عقبية في اصطناعه فلم يقبل ثم زحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي فدوخه واتى ملوك البربر ومن انضم اليهم من الفريجة بالزاب وتاهرت فهزمتهم واستباحهم وأذعن له يليان أمير عمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البربر وراءه مدينة ويلي بلاد المصامدة والسوس وقال صاحب الجمان افتتح عقبية المغرب ونزل على طنجة فحاصرها واستنزل ملكها يليان الغماري وكان نصرانيا فقتل على حكمه بعد ان أعطاه أموالا جليلة ثم أراد عقبية الصحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الاندلس فقال له يليان أترك كفار البربر خلفك وترى نفسك في بحبوحة الملوك مع الفريخ ويقطع البحر بينك وبين المدد فقال عقبية وأين كفار البربر قال يبلاد السوس وهم أهل نجد وبأس قال عقبية وما دينهم قال ليس لهم دين ولا يعرفون ان الله حق وانما هم كالبهائم وكانوا على دين الجوسية يومئذ توجه عقبية نحوهم فقتل على مدينة ويلي بازاء جبل زرهون وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين سبوا وورغة وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون فافتتحها عقبية وغنم وسبى ثم توجه الى بلاد دوعة والسوس فلقيته جوع البربر فقتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا وابتعوا آثارهم الى صحراء تونسية لا يقام أحد الا هزموه ثم عطف عقبية على ساحل البحر المحيط الغربي فانتهى الى بلاد آسفي وأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لاحبابه ارفعوا أيديكم ففعلوا وقال اللهم اني لم أخرج بطرا ولا أشرا وانك لتعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذوالقرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بل شئى اللهم انما معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام فكان لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام ثم انصرف راجعا وقال ابن خلدون أيضا وصل عقبية الى جبال درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب وحاصره وبعجبل درن فهضت اليهم جوع زناتة وكانوا خالصا للمسلمين منذ اسلام مغراوة ففرجت المصامدة عن عقبية والتحن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صناجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين الجوسية ولم يذنبوا بالنصرانية فالتحن فيهم وانتهى الى تارودنت وهزم جوع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقتل راجعا وكان كسيلة الأوربي في جيش عقبية قد استصحبه في غزواته هذه وكان يستهين به ويمتهنه فأمره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانها فإراه عقبية على ان يتولاها بنفسه وانتهر فقام اليها كسيلة مغضبا وجعل كلادس يده في الشاة مسخ بلحيتها والعرب يقولون ما هذا ياربري فيقول هو أجير فيقول لهم شيخ منهم ان البربري يتوعدكم وبلغ ذلك أبالمهاجر وهو معتقل عند عقبية فبعث اليه بنهاه ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب وأنت تعدد الى رجل جبار في قومك وبارعته حديث عهد بالشرك فتستفسده وأشار عليه بان يتوثق منه وخوفه غائلته فتأون عقبية بقوله فلما قفل من غزاته هذه وانتهى الى طبننة من أرض الزاب وكسيلة

أثناء هذا كله في صحبته صرف العساكر الى القيروان أفواجاً نقة بما دقّخ من البلاء وأذل من البربر حتى بقي في قليل من الجند فلما وصل الى تهودة وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرنجة وطعمه ووافيه فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتزها وراسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر فاتبعوا أثر عقبة وأصحابه حتى اذا غشواهم بتهودة ترجل القوم وكسروا أجناسهم وفتحهم ونزل الصبر واستلمهم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصر وع واحد وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استحببه في اعتقاله كما قلنا فابلى رضى الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن **وقال ابن خلدون** * وأجدات الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء أعنى عقبة وأصحابه بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم أسمة ثم حصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة وهو في عداد المنارات ومظان البركات بل هو أشرف من ور من الاجداث في بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد متداً أحد منهم ولا نصيفه وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الانصارى ويزيد بن خاف العسبي ونفر معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قصة وبعث بهم الى القيروان ثم زحف كسيلة بعد الوقعة الى جهة القيروان اذهى دار الامارة بالمغرب يومئذ بها جمهور العرب ووجوه الاسلام قبلهم الخبر وعظم عليهم الامر فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيباً وقال يا معشر المسلمين ان أصحابي قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليكم فخالفه حنيس بن عبد الله الصنعاني لما علم أنه لا طاقة للمسلمين بما دهمهم من أمر البربر ورأى ان النجاة عن معيه من المسلمين أولى ونادى في الناس بالرحيل الى مشرفهم فاتبعوه الا قليلاً منهم ومبق زهير في أهل بيته فاضطرا الى الخروج وسار الى برقة فاقام بها مطالعاً الى المغرب ومنتظر للأمد من الخلفاء واجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجية وعظم أمره وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة أربع وستين وفتح منها بقية العرب فلقوا بزهير ولم يقم بها الا أصحاب الذراري والانتقال فاتهم كسيلة ريثبت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وقتنة الضحالك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحو ب آل لزبير فاضطرب أمر الخليفة بالمشرق واضطرب المغرب ناراً وفتت الردة في زناتة والبرانس الى ان استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب آتار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلافى أمره بلى ما ذكره

يذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم

نهم بلال بن حارث بن عاصم المزني أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أطعمه النبي صلى الله عليه وسلم العقيق كان صاحب لواء من بيعة يوم الفتح ذكره صاحب الخلاصة النقيمة فيمن دخل المغرب * ومنهم جوهدين بن يولد الاسدي أو الاسلمي ذكر صاحب الاشراف انه من جملة من دخل افريقية من أرض المغرب * ومنهم بيلة بن عمرو بن نعلبة بن أسيد الانصارى أخو أبي مسعود البدرى قال في الشجر يشهد أحدنا وشهد فتح صر وصفين مع علي وغزا افريقية مع معاوية بن حديج سنة خمس وكان فاضلاً من فقهاء الصحابة وى ابن منده ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبي عمران عن سليمان بن يسار انه سئل عن النقل الغزو فقال لم أر أحدا يعطيه غير ابن حديج نقلنا في افريقية الثلث بعد الخس ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين ناس كثير فأبى جبلة بن عمرو والانصارى أن يأخذ منه -ياً * ومنهم الحسن بن رضى الله عنهم على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب أهل الجنة ربحا التا الرسول صلى الله عليه وسلم لم أشهر من أن يعرفهما * ومنهم الحرث بن حبيب بن زخية عمرى العامرى ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة قال وقتل باقر ببيعة مع عبد بن

العباس بن عبد المطلب * ومنهم حمزة بن عمرو بن سمي روى في السير * ومنهم جابر بن عبد الله
 وموحدة بن أبي جبلة قال في الاصابة له ادراك قال ابن يونس بعثه عمر بن الخطاب الى اهل مصر
 بفقههم وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال غيره مات بافريقية * ومنهم خالد بن ثابت الجهلاني
 الفهمي قال ابن يونس شهد فتح مصر وولي بصر مصر سنة احدى وخمسين واغتره مسلمة بن مخلد
 افريقية سنة اربع وخمسين قال في الاصابة ذكرته اعتمادا على انهم كانوا بالامير في الفتوح الا
 الصحابة * ومنهم ربيعة بن عباد الديلي ذكره الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب قال مالك
 وابوه بكسر المهملة وتخفيف الموحدة على الصواب ويقال بالفتح والتشديد ذكر خليفة وابنه سعد أنه
 مات في خلافة الوليد * ومنهم مرويع بن ثابت بن السكن الانصاري ثم التجاري ولاه معاوية على
 طرابلس سنة ست وأربعين فغزا افريقية قال ابن يونس توفي ببرقة وهو أمير عليها من قبل مسلمة
 ابن مخلد سنة ست وخمسين * ومنهم مزهير بن قيس البلوي أبو شداد الا تى ذكره بعد قال ابن يونس
 يقال له حجة * ومنهم سفيان بن وهب الخولاني أبو أيمن له حجة ورواية شهيرة الوداع وفتح مصر
 وافريقية وسكن المغرب مات سنة احدى وتسعين * ومنهم ساكن بن مالك قال محمد بن الربيع ذكره
 الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب * ومنهم سلمة بن الاكوع الاسلمي الصحابي المشهور
 ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب مات بالمدينة سنة سبع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة وكان
 شجاعا راهبا سابقا يسبق الفرس شدا على قدميه * ومنهم العبادلة الاربعة رضى الله عنهم * منهم عبد الله
 ابن عباس ترجمان القرآن أشهر من أن يعرف به وهو الذي قسم غنائم افريقية يوم الفتح * ومنهم عبد الله
 ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ما من أعلام الصحابة وعبادهم وزهادهم والمتسكين بالسنة منهم رضى
 الله عنه * ومنهم عبد الله بن الزبير بن العوام الشجاع المشهور والبطل المذكور وهو أول مولود ولد في
 الاسلام بعد الهجرة وهو قاتل جريوم الفتح كما مر * ومنهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحد أجواد
 الدنيا وأبطالها ذكر ابن خلدون انه من دخل افريقية غازيا فهؤلاء اعبادلة الاربعة * ومنهم عبد الله
 ابن سعد بن أبي سرح الامير المعروف وقد تقدم ذكره * ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاصي الصحابي المشهور
 أسلم قبل أبيه وهو أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصواب أن يجعل أحد
 العبادلة الاربعة بدل ابن جعفر والله أعلم قال أبو هريرة رضى الله عنه ما كان أحدنا أكثر منى حديثا
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا يكتب عنه ابن ناجي
 فبين دخل المغرب مع ابن أبي سرح * ومنهم عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ابن عمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل بافريقية * ومنهم عبيد الله بن عمرو بن الخطاب ذكره
 في الخلاصة النقية وكان صحابيا بالمولود قتل يوم صفين مع معاوية * ومنهم أخوه عاصم بن عمرو وحجته
 بالمولود ذكره صاحب الخلاصة أيضا * ومنهم عبد الله بن نافع بن الحصين وجهه عثمان رضى الله عنه مع
 ابن أبي سرح لشدة بطشه واصابة رأيه * ومنهم عقبة بن نافع الفهري الامير المشهور فاتح المغرب
 الاقصى وهو صاحب الترجمة * ومنهم عثمان بن عوف المزني على خلاف فيه وأما عمرو بن العاصي
 رضى الله عنه فقد تقدم انه انتهى الى طرابلس ولم يصل الى افريقية * ومنهم مروان بن الحكم بن أبي
 العاصي الاموي ولد بعد الهجرة بستين ولم تحصل له رواية لانه خرج مع أبيه الى الطائف فأقام به ذكره
 صاحب الخلاصة فبين دخل المغرب * ومنهم مسعود بن الاسود البلوي وقيل العدوي قال الذهبي
 بايع تحت الشجرة بعدت في المصريين وغزا افريقية * ومنهم المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري له ولابيه
 حجة قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب مات سنة أربع وستين * ومنهم المسيب بن حزن بن أبي
 وهب المخزومي والد سعيد بن المسيب له ولابيه حجة ورواية ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب

* ومنهم المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه حجة وهما من مسلمة الفتح قال محمد بن الربيع دخل مصر لغز والغرب فيما ذكره الواقدي * ومنهم معاوية بن حديج السكوفي أحد الأمراء وقد تقدم ذكره * ومنهم معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهبي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد بآفريقية شابا في زمن عثمان رضي الله عنه * ووحكى المؤرخون * ان معاوية بن أبي سفيان أغز اسعدي بن عثمان بن عفان خراسان ومعه قنم بن العباس بن عبد المطلب فعبر سويد النهر الى سمرقند فاستشهدهم فدفنهم بها وكان أخوه الفضل بن عباس قد مات باجنادين من أرض الشام وعبد الله الترجمان مات بالطائف وعبيد الله الأصغر مات باليمن ومعبد بآفريقية فقال الناس لم ير مثل بني أم واحدة أبعد قبورا من بني العباس * ومنهم المقداد بن الأسود الكندي وليس الأسود أباه وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث وهو صغير عرف به وأما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي كان المقداد أحد السابقين شهيد بدار أو أحدوا المشاهد كلها ولم يثبت ان أحدا شهيد بدار فارس أو غزا آفريقية مع ابن أبي سرح فلما رجعوا الى مصر قال له ابن أبي سرح في دار بناها كيف ترى فقال له المقداد ان كان من مال الله فقد أفسدت وان كان من مالك فقد أسرفت فقال ابن أبي سرح لولا ان يقال أفسدت مرتين لهدمتها * ومنهم المنذر الاسلي قال ابن يونس له حجة وكان بآفريقية وقال عبد الملك ابن حبيب لم يدخل الاندلس من الصحابة الا المنذر الا فریقی وأما المشتهرون بكنيتهم * فمنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وقد قدم المدينة يوم وفاته فشهد السقيفة وبيعة أبي بكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه قال ابن كثير توفي غازيا بآفريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه * وقلت * وهلك له خمسة أولاد بمصر بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهي مشهورة * ومنهم أبو رمنة البلوي قيل اسمه رفاعة بن يثربي وقيل بالعكس له حجة ورواية قال الذهبي سكن بمصر ومات بآفريقية * ومنهم أبو زمعة البلوي قال الذهبي اسمه عبد وقيل عبيد بن أرقم بايع تحت الشجرة ونزل مصر وغزا آفريقية مع ابن حديج روى حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل من توبة مات بآفريقية ودفنت معه شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبا هو مشهور وهو صاحب المقام خارج القيروان * ومنهم أبو ضبيس البلوي قال الذهبي له حجة وقال محمد بن الربيع الجيزي دخل مصر لغز والمغرب * ومنهم أبو المبتذل خلف له حجة ونزل آفريقية وقيل أبو المنذر كذا في التجر يد وغيره ولا عن لم يحضر ناذ كرههم * أخرج ابن عبد الحكم * عن سليمان بن يسار قال غزا ونا آفريقية مع ابن حديج ومعاشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار اه رضي الله عنهم ونفعنا بهم ووحشرنا في زمرة تم آمين

✽ ذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك ✽

قال الشيخ أبو الحسن القاسمي رحمه الله في شرح الموطأ في كتاب الجهاد منه اختلف الناس في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة أي البعض عنوة والبعض صلحا على ثلاثة أقوال * الأول * وهو الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها فتحت بالسيف عنوة لانه جعل النظر في معادته الامام ولو صح ذلك لم يجز لاحد بيع شيء منها كأرض مصر لانها فتحت بالسيف * الثاني * انها فتحت صلحا صالح أهلها عليها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض * الثالث * انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها فن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله أعلم * ويحكي * ان أحد عمال المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم اخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة فقالوا له لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه يعنون الشيخ أبا جعدة فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال ليست يصلح ولا عنوة إنما أسلم أهلها عليها فقال خلصكم الرجل وأبو جعدة هذا هو دفين باب بنى مسافر أحد أبواب

بولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل كسيلة وما يتبع ذلك

لما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة كان زهير مقيما ببرقة منذ مهلك عقبة بن نافع كما مر فبعث اليه عبد الملك بالمدد وولاه حرب البربر وأمره باستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغاب عليه واحضه على الطلب بدم عقبة فراجع زهير بعلمه بكثرة الفرنج والبربر فأمدّه بالمال ووجوه العرب وفرسانهم فزحف زهير إلى المغرب سنة تسع وستين في آلاف من المقاتلة وجمع له كسيلة البرانس وسائر البربر وولقيهم بمس من نواحي القيروان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وقتل كسيلة ووجوه من معه من البربر ومن لا يحصى من عامتهم واتبعهم العرب إلى مرماجنة ثم إلى وادي ماوية وفي هذه الوقعة ذل البربر وفتت فرسانهم ورجالهم وخضعت شوكتهم واضمحلت أمر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا فلبثوا إلى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربية من بينهم واستقرت جهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة وليلي وكانت فيما بين موضع فاس ومكاسة بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر إلى أن قدم عليهم ادريس بن عبد الله رضي الله عنه فقاموا بدعوتهم على ما ذكره ان شاء الله **بولاية زهير** فإنه لما رأى ما منح الله من الظفر والنصر وساق اليه من العز والملك خشى على نفسه الفتنة وكان من العباد المحبتين فترك القيروان آمن ما كانت وارتحل إلى المشرق وقال انما جئت للجهاد في سبيل الله وأخاف على نفسي أن تميل إلى الدنيا فلما وصل إلى برقة وجد اسطول الروم على قتالهم في جوع عظيمة من قبل قبصر وبأيديهم أسرى من المسلمين فاستغاثوا به وهو في خف من أصحابه فصعد اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل وقتل معه جماعة من أتباع أصحابه ونجا الباقيون إلى دمشق فاخبروا الخليفة عبد الملك بما وقع فأسفه ذلك

بولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه قرطاجنة

لما رحل زهير بن قيس إلى المشرق واستشهد ببرقة كما قدمنا اضطربت بلاد المغرب بعده واضطربت بها نار الفتنة واقترب أمر البربر وتعدت دسلاطنتهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شوكة يومئذ الكاهنة داهيا الزناتية ثم الجرارية صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جرارة والبربر بعث عبد الملك بن مروان إلى عامله على مصر حسان بن النعمان الغساني وكان يقال له الشيخ الامين يأمره أن يخرج إلى جهاد البربر وبعث اليه بالمدد فحرف اليهم سنة تسع وستين في أربعين ألف مقاتل ولما دخل القيروان سأل الافارقة عن أعظم ملوكهم فقالوا صاحب قرطاجنة وهي المدينة العظيمة قريعة رومة وضرتها واحدى بجانب الدنيا وكان بها يومئذ من جوع الفرنج أم لا تحصى فصعد اليها حسان وافتحصها وقتل أكثر من بها ونجا منهم في المراكب إلى صقلية والاندلس ولما انصرف حسان عنها دخلها أقوام من أهل الضواحي والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم وقتلهم أشد قتال فاقتحمها عنوة وأمر بتخريبها واعفاهم عما كسروا فنواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها إلا آثار خفية تدل على ما كان بها من عجيب المنفعة واحكام العمل وبنقاضاها هرت مدينة تونس كافي القاموس ثم بلغ حسان ان البربر والفرنج قد عسكروا في جوع عظيمة ببلاد صقلية وبنزرت فصعد اليهم وهزمهم وشردتهم من خلفهم وانحاز لهم إلى باجة وبونة ورجع حسان إلى القيروان فواجه بها أياما ثم سأل عن بقية الملوك المخالفة فدلوه على الكاهنة داهيا وقومها جرارة وهم ولد جرار بن الديديت بن زانار وانا هو أبو زانار وكان لهذه الكاهنة بنون ثلاثة ورؤساء يأسه قومهم عن سلفهم وروا في حجازها فاستبدت عليهم واعتزت على قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعروفة بنيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم وقفوا عند اشارتها **بولاية** هاني بن بكور الضريدي ملك عليهم خمسًا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعًا وعشرين سنة وكان قتل

عقبه بن نافع وأصحابه في البسيط قبله جبل أوراس باغرائها بريرة الزاب عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما قتل كسيلة وانقضت جموع البربر رجعوا إلى هذه الكاهنة بجمعتهما من جبل أوراس وقد انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البستر فسار إليها حسان حتى نزل وادى ما ياتيه وزحف هي إليه فاقتتلا بالبسيط أمام جبلها قتلا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسر خالد بن يزيد العيسبي في ثمانين رجلا من وجوه العرب ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس ولحق حسان به - مل طرابلس فانقيه هناك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حيث يصله كتابه فاقام ببرقة وبني قصوره المعروفة لهذا العهد بقصور حسان ثم رجعت الكاهنة إلى مكانها من الجبل وأطلقت أمرى المسلمين سوى خالد فانها اتخذت عنده عهدا بارضا مع ولديها وصيرته أخا لهما وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين بعد هزيمة حسان ونفت العرب عن بلاد المغرب وقالت لقومها انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي فالأى أن نخرب هذه المدن والحصون ونقطع أطماع العرب عنها قال ابن خلدون **✽** وكانت المدن والضياع من طرابلس إلى طنجة طلا واحدا في قري متصلة تخربت الكاهنة ديار المغرب وعضدت أنهبها ومحت جماله وجاست بالفساد خلاله فسق ذلك على البربر واستأمنوا إلى حسان وكان عبد الملك قد بعث إليه بالمدد فأمنهم ووجد السبيل إلى تفريق أمرها ثم دس إلى خالد بن يزيد يستعلمه أمرها فاطاعه على كنه خبرها واستخف فزحف إلى المغرب سنة أربع وسبعين وبرزت إليه فواقعها وجمعها وقتلها واحتز رأسها عند البئر المعروفة بهذا العهد من جبل أوراس ثم اتقى الجبل عنوة واستلم فيه زهاء مائة ألف من البربر واستأمن إليه بأقيهم على الإسلام والطاعة وشرط عليهم حسان أن يكون معه منهم اثنا عشر ألفا لا يبقار قومه في مواطن جهاده فاجابوا وأسلموا وحسن إسلامهم وعقد دلا كبر من ولدى الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبل أوراس فقالوا قدر امتاله الطاعة وسبقنا إليها وبايعناه عليه او كان ذلك بإشارة من الكاهنة لآثارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها وانصرف حسان إلى القيروان مؤيدا منصورا وثبت ملكه واستقام أمره فدقن الدواوين وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر ثم أوعز إليه الخليفة عبد الملك باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصا على مر اسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول من بني الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ القتيا وصاحب الامام ابن القاسم بعد ان كان معاوية ابن حديج أغراض صقلية أيام ولايته على المغرب فلم يفتح الله عليه وفتحت على يد ابن الأغلب وقائده ابن الفرات كما قلنا واستمر حسان واليسا على المغرب إلى ان عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذ ذلك إليه فاستخف حسان على المغرب رجلا من جنده اسمه صالح وارتحل إلى المشرق بما جمعه من ذرير المال ورائع السبي ونفيس الذخيرة فلما انتهى إلى مصر أهدي إلى عبد الله ما ثنى جارية من بنات ملوك الفرنج والبربر فبقعه ذلك وانتزع كثيرا مما بيده ولما قدم على الخليفة بدمشق وهو يومئذ الوليد بن عبد الملك شكك إليه ما صنع به عمه عبد الله فغاطه ذلك وأنكره ثم أهدي إليه حسان من غريب النفائس التي أخفاها عن عبد الله ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعد به إلى عمله فخاف حسان أن لا يلبى لبني أمية عملا أبدا **✽** وذكر البكري **✽** ان حسان بن النعمان هذا هو فاتح تونس وقال غيره بل فاتحها زهير بن قيس الماوي ولم تتوفر الدواهي على تحقيق ذلك لانها لم تكن يومئذ قاعدة ملك وانما اعظم أمرها في دولة الحفصيين فن بعدهم والله تعالى أعلم

✽ ولولا به موسى بن نصير على المغرب وفتح الاندلس **✽**

لما ارتحل حسان بن النعمان إلى المشرق اختلفت أيدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فكثرت

الفتن ونحات أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير في إفريقية لأميرها ولم تشتمهم إلا قال المحافظ أبو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس **ع** وولي موسى بن نصير إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين وقال غيره سنة سبع وثمانين **ع** وقال ابن خلدون **ع** كان موسى بن نصير من التابعين وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً متقياً لله تعالى لم يهزم له جيش قط ولما قدم المغرب وجد أكرماً منه خالصة لا اختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في فسط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين ونحو ذلك إلى المنتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقبيل له ألا تدعون لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعي فيه غير الله عز وجل فسقوا حتى رروا **ع** وقال ابن خلدون **ع** كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى عمه عبد الله بن مروان وهو على مصر وبقال عبد العزيز بن يعقوب بن نصر إلى إفريقية وكان أبوه نصر من حرس معاوية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى أن البربر قد طمعت في البلاد فوجه البعوث في النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة ميورقة فغمم وسبا وعاد ثم بعثه إلى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك وتوجه هو إلى ناحية فتحموا وسبا وعادوا وبلغ الخمس من المغنم سبعين ألفاً من السبي **ع** وقال أبو شيبه الصدفي **ع** لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ونقل الكاتب أبو اسحق إبراهيم بن القاسم القروي المعروف بابن الرقيق أن موسى بن نصير لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك أنه صار لك من سبي سقوما مائة ألف رأس فكتب إليه الوليد ويحك إنى أظنهما من بعض كذباتك فإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة ثم خرج موسى غازياً أيضاً وتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسباسبيا عظيما وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى السوس الأدنى ثم تقدم إلى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغماري بالهدايا وأذعن للجزيرة وكان نصرانياً فاقومه عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم **ع** وقال ابن خلدون أيضاً **ع** غزا موسى بن نصير طنجة واقتنع درعة وصحراء نافيلاً وأرسل ابنه إلى السوس فاذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصامدة فأنزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد النبي قال وأترل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه قال ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اهـ ولما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاها في اثني عشر ألفاً من البربر وخلق يستبصر من العرب وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف اليوم بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة وذكر عن طارق أنه كان نائمًا وقت العبور في المركب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مر وابه فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال **ع** وقال ابن خلدون **ع** في أخبار الأندلس أن أمة القوط ملكوا جزيرة الأندلس نحو أربع مائة سنة إلى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمى ماوكمهم بجزيرة سمى ماوكم صقلية وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خطوها من زقاق البحر إلى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان وكان يدين بطاعتهم ووليتهم وموسى بن نصير أمير العرب إذ ذلك عامل بإفريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى ذلك العهد مساكراً المسلمين ببلاد المغرب الأقصى ودوخ أقطاره وأوغل في جبال طنجة حتى وصل إلى خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف

مولاه طارق بن زياد واليابطنجية وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط بالاندلس فعلمه فعملها زعموا
بأبنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقهم فغضب لذلك وأجاز لذريق فأخذ ابنته منه
وقلت يعني انه كان من عادة اكابر العجم بالاندلس ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون التنويه بهم الى
دار الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بآدابها وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا الكبر
بعضهم ببعض او تحمل صدقاتهم وتولى تجهيز اناسهم استئلا فالأبا بهم فاتفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق
على سبته وكان أهلها نصارى فبعث بأبنته له بارعة الجمال تكرم عليه الى دار لذريق فوقع عينه عليها
فأعجبته وأحبها ولم يتمالك ان استكرهها فاقضها فاحتالت حتى أعلمت أباهاسرا فاحفظه ذلك وحى
أنفه وقال ودين المسيح لا يزيدك ولا حفرن ماتحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو
السبب في فتح الاندلس مع سابق القدر ثم ان يليان عبر البحر من سبته في صبر قلب الشتاء وأصعب
الاقوات فقدم طليطلة واجتمع بالملك فانكر مجيئه في ذلك الوقت وسأله عن السبب فذكر خيرا واعتل
بان زوجته قد اشتد شوقها الى روية ابنتها وانه أحب اسعافها بطلبها وسأل الملك تمكينه منها وتجهيل
سراجه الى عمله ففعل وأحسن جائزة الجارية وتوثق منها بالكتمان وأفضل على أيها وانقلب اجمعا
وذكر رواه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستمقره لنا من الشسذ انقات التي لم تزل تطرفنا بها
فانها اثر جوارحنا ليدني يعني بذلك طيور افارهة كانت تتخذ للاصطياد فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن
بقيت لا دخلت عليك شسذ انقات ما دخل عليك مثلها قط يعرض له بما أضمره من ادخال العرب عليه
ثم لحق يليان بطارق بن زياد وهو بطنجية فكشف له عورة القوط فانتهز طارق الفرصة لوقته وأجاز البحر
سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن اميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب واحتشد معهم
من البربر زهاء عشرة آلاف وصيرهم عسكريين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به
والآخر على طريق بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وأداروا الاسوار على أنفسهم
للتحصن وبلغ الخبير لذريق فنهض اليهم بجرائم الأعاجم وأهل مله النصرانية في زهاء أربعين ألفا
فالتقوا بخص شريش فهزمه الله ونزلهم أموال أهل الكفر ورفاههم وكتب طارق الى موسى بالفتح
والغنائم فخره الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغيرانه ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق
به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ونهض من
القيروان سنة ثلاث وتسعين في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر فوافي خليج الزقاق
مابين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانقادوا تبع ويقال ان موسى لما سار
الى الاندلس عبر البحر اليها من ناحية الجبل المنسوب اليه المعروف اليوم بجبل موسى وتنكب النزول
على جبل طارق وعم الفتح وتوغل في الاندلس الى برشاونة في جهة المشرق وأر بونة في الجوف وصنم
قانس في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز
الى الشام دروب الاندلس ودر وبه ويخوض اليه ما بينهما من بلاد الأعاجم وأم النصرانية مجاهد افهم
ومستلهمهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق وعنى الخبر الى الخليفة الوليد فاشتمد قلبه بمكان
المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى تغرب بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر
الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان يرجع هو وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن
الاندلس بعد ان أنزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لسدها وجهاد عدوها وأنزله
بقرطبة فاتخذها دار امارة واحتمل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست
بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على الجمل والظهي يقال ان من حملتها ثلاثين ألف رأس
من السبي وولى على افرقيسة ابنه عبد الله واندرجت ولاية الاندلس يومئذ في ولاية المغرب فكان

صاحب القير وان ناظر افي الجميع وقدم موسى على سليمان بن عبد الملك وقدولى الخلافة بعده الوليد فخطه ونسبته وثار ت عساكر الاندلس بانه عبد العزيز فقتلوه استنبتين من ولايته باغراء الخليفة سليمان وكان خيرا فاضلا واقتنع في ولايته مدائن كثيرة وكان الذي تولى قتله حبيب بن ابي عبيدة الفهرى وكان سبب غضب سليمان على موسى انه لما توجه الى المشرق وانتهى الى مصر وصل اشراقها وقتهاهاها وبلغه الخبر بر مرض الوليد ووافاه كتابه يستحثه على القدوم ووافاه كتاب آخر من أخيه سليمان يشبطه فاسرع موسى للحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ودفع اليه مائة من الذخائر والاموال ففاظ ذلك سليمان واساء مكاناته حين أفضى الامر اليه فنسبته ونسب آل بيته أجمع وكانت وفاة موسى رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك **وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني** ارتدت البربر اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر الى الاندلس وأجاز معه كثيرا من رجال البربر رسم الجهاد فاستقر واهنالك حينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية بعد على ما نذكره

ولاية محمد بن يزيد على المغرب

لما ارتحل موسى بن نصير الى المشرق ونسبته الخليفة سليمان كما قلنا عزل ابنه عبد الله عن المغرب وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش ويقال مولى الانصار فقدم القيروان سنة سبع وتسعين وكان سليمان قد أمره باستئصال آل موسى بن نصير واصطلام نعمتهم فاتي على ذلك ثم لما قتل أهل الاندلس أميرهم عبد العزيز بن موسى ولوا عليهم أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى فوجه محمد بن يزيد الحر ابن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي واليامن قبله على الاندلس فقدمها واستقر أميرها سنتين وثمانية أشهر قالوا وكان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن السيرة قاتل الخالفين بشعور المغرب وغنم وسبا ولم يزل واليا عليه حتى مات سليمان فكانت ولايته سنتين وأشهرًا والله أعلم

ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على المغرب

لما توفي سليمان بن عبد الملك رحمه الله وولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استعمل على المغرب اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فقدم القيروان سنة مائة وكان خيرا ميرا ومخيرا واللم يزل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى تم اسلامهم على يده وبت فيهم من قتلهم في دينهم * وذكروا العرب محمد بن عليم في تاريخ افريقية ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين منهم حبان بن أبي جبلة ولما توفي عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة وبيع يزيد بن عبد الملك وجه يزيد بن أبي مسلم الثقفي واليا على المغرب على ما نذكره

ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب

هو يزيد بن أبي مسلم دينار مولى الخجاج بن يوسف الثقفي الظالم المشهور وكان يزيد هذا كاتبه وصاحب شرطته **وقال ابن خلكان** كانت فيه كفاية ونهضة قدمه الخجاج بسبها وكان من خبره ان الخجاج لما حضرته الوفاة استخلف يزيد هذا على خراج العراق فاقره الوليد بن عبد الملك واعتبط به وقال ما مثلى ومثل الخجاج وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارًا ولما مات الوليد وولى بعده أخوه سليمان عزل ابن أبي مسلم وأمر به فاحضر بين يديه في جامعة وكان رجلا قصيرا ميمًا قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد بن أبي مسلم قال نعم أصح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامر عني مدبر ولورأيتني والامر على مقبل لا استعظمت ما استصغرت ولا استجلبت ما احتقرت فقال سليمان قاتله

الله فأرابط جأشه وأعضب لسانه ودارت بينه وبين سليمان محاورات غير هذه ثم كشف عنه فلم يجد عليه خيانه فهم باستكابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الخجاج باستكاب كاتبه فقال انى كشفت عنه فلم أجد عليه خيانه يا أباحفص فقال عمر أنا أوجدك من هو وأعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هو قال ابلتس ما مس دينار اولاد درهما قط وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش برده وقال انى لا كره ان أستنصر بجيش هو قبيح لما توفى عمر رضى الله عنه وأفضت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسمعيل بن عبيد الله عن المغرب وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم فأساء السيرة قالوا ووجه عنسة بن سحيم الكلبى واليامن قبله على الاندلس فاستقام على يده أمرها ثم نار أهل المغرب بابن أبي مسلم فقتلوه سنة ثنتين ومائة اشهر من ولايته فقال الطبرى وكان سبب ذلك انه كان قد عزم ان يسير فى أهل المغرب بسيرة الخجاج فى أهل العراق فان الخجاج كان وضع الجزية على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قرهم ورسايقهم على الحالة التى كانوا عليها قبل الاسلام فلما عزم يزيد على ذلك تأمر البربر فيه واجتمعوا على قتله فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد الذى كان قبله فيما ذكره الطبرى وكان غاز يابصقلية فلما قدم بعثاه ولوه أمرهم ووقال ابن عساکر ولوا بعده اسمعيل بن عبيد الله والله أعلم ثم كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد انالم تخلع يدا من طاعة ولا تكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله ورسوله فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد انى لم أرض ما صنع ابن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك فى سنة اثنتين ومائة كما قلنا وحدث الواح بن أبي خزيمة وكان حاجب عمر بن عبد العزيز قال أمر فى عمر بن عبد العزيز يعنى فى مرض موته بانخرج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم فاخرجتهم وتركتهم فخذ على فلما مات عمر هربت الى افریقیة خوفا منه قال فيدينا أنا بافریقیة اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم واليا فاختمت فاعلم بكافى وأمر بنى فملت اليه فلما رأى قال طالما سألت الله تعالى ان يعكنى منك فقلت وأنا والله طالما سألت الله ان يعيدنى منك فقال ما عاذك الله والله لا تقتلوك ولوسا بقى فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع فاقبىهما وأمر بالوضح فاقيم عليه مكتوبا وقام السيف وراءه ثم أقيمت الصلاة فتقدم يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف ودخل على الواح من قطع كتافه وأطلقه فسبحان اللطيف الخبير

بجولانية بشر بن صفوان على المغرب

ما كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما كان منهم الى ابن أبي مسلم وما اعتذر وابه فى شأنه أقر عليهم محمد بن يزيد وأسمعيل بن عبيد الله على الخلاف المتقدم ماشاء الله ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلبى وكان واليا على مصر فقدم القير وان سنة ثلاث ومائة فهد المغرب وسكن أرجاء واستصحب بقايا آل موسى بن نصير ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجه قدمه وبيع هشام بن عبد الملك فردده هشام الى عمله من المغرب فاستقر بالقير وان واستدعى منه أهل الاندلس واليا يقوم بأمرهم وذلك بعد مقتل عنسة بن سحيم الكلبى شهيدا فى بعض غزوات القير فغزوا فى عليهم يحيى بن سلمة الكلبى فقدم الاندلس آخر سنة سبع ومائة فاصح شأنهم غزاهم بشر بن صفوان صقلية بنفسه سنة تسع ومائة فاصاب سبيا كثيرا ورجع الى القير وان منصورا فكانت منيته عقب ذلك

بجولانية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب

لما توفى بشر بن صفوان وانتهى الخبر الى الخليفة هشام بن عبد الملك ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلى وهو ابن أخى أبى الاعور السلى وقيل ابن ابنه فقدم القير وان سنة عشر ومائة ونظر فى أمر المغرب والاندلس معا وولى من قبله على الاندلس ولادة أربعة واحد بعدوا واحد وهم عثمان بن أبى نسعة

الخنعمي وحذيفة بن الاحوص القيسي والميثم بن عبيد الكلابي ومحمد بن عبد الله الاشجبي وكان
عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك الى الخليفة هشام
فقره لاربع سنين وستة أشهر من ولايته

ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب

عبيد الله هذا هو مولى بنى ساول وكان رئيسا نبيلاً وأميراً جليلاً وخطيباً مرموقاً ولاه هشام بن عبد الملك
على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يمضي اليه من مصر فاستخاف عبيد الله على مصر
ابنه أبا القاسم وسار الى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة واستعمل عمر بن
عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه اسمعيل بن عبيد الله معه على السوس
وماوراءه واستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله العافقي فكانت له في القرنجة وقائع وأصيب
جيشه في رمضان من السنة المذكورة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة ثم ولي
عبيد الله على الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري ثم بعده عقبه بن الحاج السلولي فكان محمود السيرة
وتمكن سلطان عبيد الله بالمغرب وبنى جامع الزيتونة بتونس لكن صحح صاحب المونس ان أول مختط
للجامع المذكور حسان بن النعمان وتعمه عبيد الله هذا واتخذ جهاد ارض صناعاً لانشاء المراكب البحرية
ثم بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري غازياً أرض المغرب فانتهى الى السوس الأقصى وقاتل
مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب من مغنم الذهب والفضة والسبي شيئاً كثيراً ودوخ بلاد
البربر وقتلها ورجع ثم أغزاه ثانية جزيرة صقلية فركب البحر اليها سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه
عبد الرحمن بن حبيب فنزل سرقوسة أعظم مدن صقلية وضرب على أهلها الجزية وأخذ في سائر الجزيرة
وكان عمر بن عبيد الله في هذه المدة بطنجة قد أساء السيرة في برابرة المغرب الأقصى وأراد أن يخمس من
أسلم منهم وزعم انه المني فنقرت قلوب البربر غنه وأحسوا بانهم طعمه للعرب وثقات عليهم وطأة عمال
ابن الحجاب جملة بما كانوا يباطلونهم به من الوظائف البربرية مثل ادم العسلية الالوان وأنواع طرف
المغرب فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتجابه حتى كانت الصرمة من الغنم تملك ذبحاً لاتخاذ الجلود
العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثير عظيم بذلك في أموال البربر
فاجعوا الانتقاض وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة الى صقلية فجزأهم ذلك على مرادهم
وناره يسيرة المنغري باحوار طنجة على ما ذكره وكانت بدعة الخارجية يومئذ قد سرت في البربر وتلقاها
رؤسهم عن عرب العراق الساقطين الى المغرب نزوعاً الى الاطراف داعين أعجم والامم اليها عسى أن
تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر وشجبت فيهم عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث
والاسباب في خرق حجاب الهيمنة على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومن اجتمعت لهم في سلطانهم
ولنذكر هنا أصل الخوارج وفرقتهم على الجملة ثم نعود الى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول قد تقدم لنا
في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كان من أمر التكميم وما نشأ عنه من خروج طائفة من
القراء عليه وقالوا حكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وان علياً رضي الله عنه استأصلهم بالتهروان
فقال له بعض أصحابه قد قطع الله ابرهم آخر الدهر فقال علي رضي الله عنه والذي نفسي بيده انهم لفي
أصلاب الرجال وأرحام النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد هامة لها فصدق الله قول علي وتبعته منهم
طوائف بالعراق وغيره وتكرر نحو وجههم على الخلفاء وشري داوهم وأعي داوهم وتعددت فرقهم
ومذاهبهم فقال ابن خلدون افتقرت الخوارج على أربع فرق (الأولى الازارقة) أصحاب نافع بن
الازرق الخنفي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض بعني القتل من غير سؤال عن
حال أحد وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفاراً (الثانية النجدية) ويقال لهم النجدات أصحاب

نيجة بن عامر الحنفي وهم بخلاف الازارقة في ذلك كله (الثالثة الاباضية) أصحاب عبد الله بن اباض
 التميمي ثم الصريمي وهم يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الرأى الاول
 لا يقفون عند الثاني ولا يحرمون منافقة المسلمين ولا مواريثهم وهم عندهم كل المنافقين ومن هؤلاء
 اليهسية أصحاب أبي يبهس هيصم بن جابر الضبي (الرابعة الصفرية) وهم موافقون للاباضية الا في
 القعدة يعني الذين يقعدون عن القتال معهم فان الاباضية أشد على القعدة منهم ورجعت عنهم هذه
 الآراء بعد ذلك واختلف في تسمية الصفرية فقبل نسبوا الى عبد الله بن صفار الصريمي وقيل اصفروا
 بما نكثت العباد وفي القاموس الصفرية بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوا الى عبد الله بن صفار
 ككان أو الى زياد بن الاصفر أو الى صفرة ألوانهم أو خلطوهم من الدين انتهى وقد كانت الخوارج من
 قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع وفي أصل افتراقهم مكاتبات بين
 نافع بن الازرق وأبي يبهس وعبد الله بن اباض ذكرهما المبرد في الكامل فتنظر هنالك وكانت خوارج
 المغرب اباضية وصفرية فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحجاب ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور
 والعسف انتفضوا عليه وثار ميسرة المضغرى المعروف بالظهير باحواز طنجة ومضغرة بطن من بني فاتن
 ابن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الابر وكانوا على رأى الصفرية وكان شيخهم ميسرة
 المذكور مقديما في ذلك المذهب فممل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف الى عمر بن عبيد الله بطنجة
 فقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة وولى عليها من قبله عبد الاعلى بن جريح الافريقي روى الاصل ومولى
 للعرب كان امام الصفرية في انتحال مذهبهم فقام بأمرهم مدة ثم تقدمت الى السوس فقتله عاملها
 اسمعيل بن عبيد الله وكان ميسرة لما استولى على طنجة والمغرب الاقصى قديما به البربر بالخلافة وخطبوه
 بامير المؤمنين اذ الخوارج لا يشترطون في الامام الاعظم القرشية محضين بقوله صلى الله عليه وسلم
 اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة وهو مؤول واضطرهم المغرب نار او قست
 نحلة الخارجية في جميع قبائله وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يرجع طاعتهم بعد ثم ان ابن الحجاب
 ذهب الى ميسرة خالد بن حبيب الفهرى فبينما كان قد بقي عنده من الجديس واستقدم آياه حبيب بن
 أبي عبيدة من صقلية فقدم فبينما معه من عساكر المسلمين وبعثه في اثر خالد ونهض اليهم ميسرة في جوع
 البربر فلقبهم باحواز طنجة فاقبلوا قتالا شديدا ثم تحاجروا ورجع ميسرة الى طنجة فسانت سيرته في البربر
 ونقموا عليه ما جاء به فقتلوه وولوا عليهم مكانه خالد بن حميد الزناتي **✎** قال ابن عبد الحكم **✎** هو من هتورة
 احدى بطون زناتة فقام بأمرهم واجتمع اليه البربر فزحف الى العرب وسرح اليه ابن الحجاب عساكر
 الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى مقدمتها خالد بن حبيب الفهرى فكان اللقاء على وادي شلف فانهمز
 المسلمون وقتل خالد بن حبيب وجوه من معه من العرب فسميت الواقعة وقعة الاسراف وانتقض المغرب
 على ابن الحجاب من سائر جهاته وبلغ الخبر الى أهل الاندلس فعزلوا عامله عقبة بن الحجاج السلولي وولوا
 عليهم عبد الملك بن قطن الفهرى ومرج أمر الناس وانتهى الخبر بذلك كله الى الخليفة هشام بدمشق
 فعزل ابن الحجاب عن المغرب **✎** وقال صاحب الخلاصة **✎** لما اختلفت الامور على ابن الحجاب اجتمع
 الناس وعزلوه فبلغ ذلك هشام فغضب وكتب الى ابن الحجاب بالقدوم فخرج في جمادى الاولى سنة ثلاث
 وعشرين ومائة والله أعلم

✎ ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله ✎

لما انتهى الى الخليفة هشام ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب والاندلس وخلعهم للطاعة شق ذلك
 عليه واستنصف ابن الحجاب فكتب اليه يستقدمه وولى على المغرب كلثوم بن عياض القشيري ووجه
 معه جيشا كثيرا فالتاهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جوع البلاد التي مر بها سبعون ألفا على ما قيل

ولما انتهى كلثوم الى القيروان أساء السيرة في أهلها فكتبوا الى حبيب بن أبي عبيدة وهو يومئذ بتلمسان موافق للبربر يشكون منه اليه وكان لا لعل عقبه بالمغرب وجاهة لم تكن لغيرهم فكتب اليه حبيب ينهاه ويتوعده فاعتذر كلثوم وأغضى له عليها ثم استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة وسار يوم المغرب في جموعه وعلى مقدمته ابن أخيه بلج بن بشر القشيري فرعلى طريق سببية وانتهى الى تلمسان فلقى حبيب بن أبي عبيدة فاقترلا ثم اصطلما وزحقا جميعا الى المغرب الاقصى فهضت اليهم البربر وكان اللقاء على وادي سبوا من أعمال طنجة ووقال ابن خلدون في أخبار البربر ان الخليفة هشام مولى كلثوم ابن عياض على المغرب سنة ثلاث وعشرين ومائة وسرحه في اثني عشر ألفا من أهل الشام وكتب الى ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فزحف الى افريقية ثم الى المغرب حتى بلغ وادي سبوا فبرز اليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصون فلقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من الجنود واقترقت العساكر فضى أهل الشام الى الاندلس مع بلج بن بشر ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان * وما ذكره من ان خالد بن حميد هو الذي هزم جيوش كلثوم في هذه الواقعة هو قاضي ماسبق من ان ميسرة قتل في ولاية عبيد الله بن الحجاب وجزم ابن حيان بان الذي هزم جيوش كلثوم هو ميسرة الخفيري واقصر عليه ابن خلدون في أخبار بني فاتن قال انتهت مقدمة كلثوم بن عياض الى سبوا من أعمال طنجة فلقه البربر هنالك مع ميسرة وقد خصوا عن أوساط رؤسهم وتنادوا بشعار الخارجة فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوه وكان كيدهم في لقاءهم اياه ان ملؤا الشمنان بالحجارة وربطوهافي أذنان الخيل ثم أرسلوهافي جيش العرب فكانت الحجارة تقع في شنانهم وخیل العرب تنفر حتى اختل مصافهم وتمت الهزيمة عليهم فاقترقوا وذهب بلج مع الطلائع من أهل الشام الى سبتة ورجع أهل مصر وافريقية الى القيروان وظهرت الخوارج في كل جهة واقطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى أن هلك ميسرة وقام برباسة مضغرة من بعده يحيى بن حارث منهم اه كلام ابن خلدون فاضطرب النقل في هذه الواقعة كما ترى والله أعلم بالصواب ووقال ابن حيان في ان كلثوم بن عياض لما انهزمت جيوشه بنجاح يحا الى سبتة في أهل الشام ومعه ابن أخيه بلج بن بشر بن عياض وحاصرهم البربر بها ولما اشتد حصارهم بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات وبلغوا من الجهد العناية استغاوثا باخوانهم من عرب الاندلس فتناقل عنهم صاحبها عبد الملك بن قطن لخوفه على سطاته منهم فلما شاع خبر ضررهم عند رجالات العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أرقاقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضرب به سبع مائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجندي عليه فعمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت ان بربرة الاندلس لم يبلغهم ما كان من ظهور بربرة العسود على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم بالمغرب وتقطنوا لما كانوا غافلين عنه قبل ذلك من الخلاف على العرب ومرضت منهم في سلطانهم وأصل ذلك كله النزعة الخارجية فاستفحل أمرهم بالاندلس وكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن فخاف ان يلقى منهم ما لقيه العرب بالمغرب من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى له من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموترين بسبتة فكتب الى بلج وقدمات عمه كلثوم فاسرعوا الى اجابته وكانت تلك أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعمة عليهم وشرط عليهم أن يقيموا عنده سنة واحدة حتى اذا فرغوا له من البربر انصرفوا الى مغربهم وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه وأخذ منهم الرهائن عليه ثم قدم عليهم بنيه قطن وأمية والبربر في جموع لا يحصها غير رازقها فاقترلوا قتالا صعب فيه المقام الى ان كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب باقطار الاندلس حتى القوا فاهم بالثغور وخفوا عن العيون فكرر الشاميون وقدامت آلات أيديهم من الغنائم

فأشمتت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا اليهود وطالبهم ابن قطن بالخر وج عن الاندلس
 فتعلوا عليه وذكر واصدعهم أيام انحصارهم بسبته وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فباعوه وقداموا
 على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وأغروه بقتله فأبى فنارت الهمانية وقالوا قد جيت
 امضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر ابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامه
 قد شهد وقعة الحرّة بالمدينة فجعلوا يسبونونه ويقولون له أقلت من سيوفنا يوم الحرّة ثم طالبتنا بذلك الترة
 فعمرتنا لا كل السكّاب والجلاود وجبتنا بسبته محبس الضمك حتى أمتنا جوارققتنا واه وصلبوه
 في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة وصلبوا عن عيونه خنزيراً وعن يساره كلباً واستموت بلج على
 الاندلس وكانت خطوب يطول ذكرها والله ولي العون والتوفيق

بولاية حنظلة بن صفوان على المغرب

لما سمع الخليفة هشام بجارى على كثوم وأصحابه قامت قيامته فوجه حنظلة بن صفوان السكّابى وهو
 أخو بشر بن صفوان المتقدم واليالى المغرب فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائة فوجد هواره
 وهم ولد هوار بن أوردغ بن برنس خوارج على الدولة ورئيساهم عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد
 ابن يزيد الهواري وكانا على مذهب الصغرية فلما استقر حنظلة بالقيروان لم يلبث الا يسيراً حتى زحف
 اليه عكاشة وعبد الواحد في هواره ومن تبعهم من البربر فخرج اليهم حنظلة والتقوا على القرن من
 ظاهر القيروان فهزمهم بعد قتال صعب واستلمهم وقتل عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيراً وما جرى اليه
 عكاشة في رفته وبرأس عبد الواحد سجد شكرًا لله تعالى على ما منحه من الفتح وأمر به عكاشة فقتل
 وأحصيت القتلى في ذلك اليوم فكانوا مائة وثمانين ألفاً وكتب حنظلة بذلك الى الخليفة هشام وسمعاها
 الليث بن سعد فقال ما غزوه كنت أحب أن أشهدا بعد غزوه بدر أحب الي من غزوة القرن والاصنام
 ثم وجه حنظلة أبا الخطار حسام بن ضرار السكّابى واليامن قبله على الاندلس فركب اليها البحر من
 تونس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الاندلس واستقام أمرهم ما حينئذ من الدهر ثم نزل عليه
 الصميل بن حاتم السكّابى وخلعه في خـبر طويل ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال الى ان طرقت
 الخلل الخلافة بالشرق وخفت صوتها ما حدث في بني أمية من قننة الوليد الفاسق وما كان من أمر
 الشيعة والخوارج مع مروان الحمار آخر خلفائهم وأفضى الامر الى الادالة منهم بيني العباس فجاز
 عبد الرحمن بن حبيب الفهري من الاندلس الى المغرب وغلب حنظلة عليه سنة ست وعشرين ومائة
 على ما ذكره

بذكر صالح بن طريف البرغواطى المتنبى ومخرفته

وفي هذا التاريخ كان ظهور صالح بن طريف البرغواطى الذى ادعى النبوة بتامه من بلاد المغرب
 الاقصى على ساحل البحر المحيط فيما بين سلا وآسفي وبرغواطية بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون
 وكان أبوه طريف يكنى أبا صبيح وكان من قواد ميسرة الخضير القائم بدعوة الصغرية ولما انقرض أمر
 ميسرة بقي طريف قائماً بأمر برغواطية بتامه ما يقال انه تنبأ أيضاً وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولى
 مكانه ابنه صالح هذا وقد كان شهد مع أبيه حروب ميسرة يقول ابن خلدون وكان من أهل العلم والخير
 ثم انسح من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التى كانوا عليها من بعده وهى معروفة في
 كتب المؤرخين وقال في القرطاس كان الضلال الذى شرع لهم أنهم يقرّون بنبوته وانهم يصومون
 شهر رجب ويأكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات جسابا لليل وخسابا النهار وان الاضحية
 واجبة على كل شخص في الحادى والعشرين من المحرم وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين
 وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنبه الا من حرام وصلاتهم ايماء لا يسجد فيها الكنهم يسجدون في آخر ركعة

خمس سجدة ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم ان تفسيره بسم الله وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشئ من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يظهره من ذنبه إلا السيف وان الدينة تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدباجة مكروه أكلها وقدوتهم في الاوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح ديبكا أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم على سبيل التبرك فكان يصبق في أكتفهم فيلحسونه ويحمله الى امرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرآنا يقرؤنه في صلواتهم ويتأونه في مساجدهم وزعم انه نزل عليه وانه وحى من الله تعالى اليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم عاونون سورة سمها لهم باسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هرون وسورة بني اسرائيل وسورة الاسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الخجل وسورة الحجر وسورة هاروت وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البركري عن زمور بن صالح الواقدي منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المستطاسي قال وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة وقد قيل ان ظهوره كان لا أول الهجرة وانه انحل ذلك عند اوحا كما لما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح ثم زعم انه المهدي الاكبر الذي يخرج في آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلى خلفه وان اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الجهمي عالم وفي العبراني روييل وفي البربري وارباومعناه الذي ليس بعده نبي ثم خرج الى المشرق بعد ان ملكهم سبعاوآر بعين سنة وبعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا ضلالتهم من بعده الى أواسط المائة الخامسة وكان للدول فيهم ملاحم الى ان جاءت دولة المرابطين فحوأثر بدعتهم وسنعيد القول فيهم بإسبط من هذا عند الوصول اليها ان شاء الله

الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم

كان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه واليا على المغرب كما مر وهو الذي اقتح الاقصى منه ولما استشهد بالزاب بقي بنوه به فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهله لما كان أبيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرمى الامارة فكان ما منح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحيفته فينالوا بذلك شرفا خاصا زيادة على شرف القرشيين وعز الفهرية فكان يكون لهم الشرف في بعض الاحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم وقد تقدم لنا في أخبار موسى ابن نصير انه استعمل ابنه عبد العزيز على الاندلس فنار عليه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وقتله بأغراء سليمان بن عبد الملك وتقدم أيضا ما كان منه الى كلثوم بن عياض عند قدومه القيروان من التوعد حتى أدى ذلك الى مقاتلتها ولما قتل حبيب هذا في وقعة كلثوم المتقدمة كان ابنه عبد الرحمن ابن حبيب صاحب الترجمة في جلة أصحاب بلج الناجين الى سبتة ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهري وصلبوه كما مر فارقهم عبد الرحمن هذا الماصنعوا بان عمه وعزم على الطالب بدمه فاجتمع اليه نحو مائة ألف من عرب الاندلس وبربرها وعمد الى بلج فقتله في خبر طويل ثم حاول عبد الرحمن التغلب على الاندلس فلما قدم أبو الخطار واليا عليهما من قبل حنظلة بن صفوان أيس منها وركب البحر الى المغرب فاحتل بتونس في جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وقد توفي هشام وولي الخلافة بعده الوليد بن

يزيد الفاسق فدعا عبد الرحمن أهل تونس الى نفسه فأجابوه وبلغ ذلك حنظلة صاحب القيروان فذكره
قتال المسلمين وسفك دماهم فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه انتهز
الفرصة وأوقفهم في الحد يد وأقبل بهم الى القيروان فبينما اجتمع اليه وأرسل الى أوليائهم يحذرهم قتاله
ويقول ان رميتم ولو بحجر قتلتم من في يدي فأجبهوا عنه ضناباً شرافهم عن القتل وعلم بذلك حنظلة
فارتحل الى المشرق سنة سبع وعشرين ومائة ودخل عبد الرحمن القيروان فتمكن منها واستولى على
المغرب وهو أول متغلب عليه قالوا ولما ولي مروان بن محمد المعروف بالجارخلة بعث اليه بعهدده وكان
أمر البربر يومئذ قد تفاقم وداء الخراجية قد أعضل ورؤسها قد نبغت في كل جهة فانتقضوا من أطراف
البقاع وتواثبوا على الأمر بكل مكان داعين الى بدعتهم وتولى كبر ذلك منهم صنهاجة فانهم التفوا على
كبيرهم ثابت الصنهاجي وتغلبوا على باجة وثارت هوارية بطرابلس ملتفين على رئيسهم عبد الجبار
والخارث وغير هؤلاء وكانوا على مذهب الإباضية فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج
يدعوهم الى السلم وعظم الخطب فزحف اليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين ومائة فظفر
بالصنهاجي والحواري وقتلها ما قتل جوعهما ثم زحف الى عروبة بن الوليد الصغري وكان قد ثارت بتونس
فقتله واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من افرريقية ثم زحف سنة خمس وثلاثين ومائة الى جوع
من البربر كانوا قد تجمعوا بناوحي تلمسان فظفر بهم وقتل جمعهم ورجع ثم أغزاجيشاني البحر الى اصقلية
وآخر الى سردانية فاتخذوا في أم الفرج حتى أذعنوا للجزيرة ودوخ عبد الرحمن أرض المغرب وأذل
المعاندن الى ان كان ما ذكره **﴿**وأما أهل الاندلس **﴾** فانهم كانوا قد خلعوا أبا الخطاب ولوا عليهم ثوابه
ابن سلامة الجذامي **﴿**وقال ابن بشكوال **﴾** لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب فكتب اليه
بعهدده وذلك سنة سبع وعشرين ومائة فضبط البلاد واستقر والياسنتين وأصبحها ثم هلك وولى
أهل الاندلس عليهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو ابن صاحب الترجمة **﴿**وذكر الرازي **﴾** أن
مولده كان بالقيروان وأنه لما استولى أبوه على المغرب خرج يوسف هذا مغاضباً له لأمراقتضى ذلك فقدم
الاندلس واستوطنها وسادها فأقامه أهلها والياس عليهم بعد أميرهم ثوابه وقد مكثوا فوضى أربعة أشهر
وكان اجتماعهم عليه بإشارة الصميل بن حاتم السكلابي فاستبدت يوسف بالاندلس وضبطها الى ان دخل
عليه عبد الرحمن بن معاوية الأموي المعروف بالداخل فانتزعها منه وأورثها ابنه كاسباً **﴿**ولما استقر
قدم الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذهبوا في كل وجه أقلت
عبد الرحمن بن معاوية هذا وقصد المغرب فأجتاز بالقيروان وبها عبد الرحمن بن حبيب صاحب الترجمة
فارتاب به وعزم على قتله فنجب الاموي الى الاندلس وكان من أمره ما كان **﴿**وذكر ابن حبان **﴾** أن
عبد الرحمن بن معاوية الأموي سار حتى أتى افرريقية فنزلها وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية وكان
عند صاحبها عبد الرحمن بن حبيب يهودي حدثاني قد صحب مسلمة بن عبد الملك فكان يتكهن له ويخبره
بتغلب القرشي وما ملكه الاندلس ويرثها عقبه من بعده وان اسمه عبد الرحمن وهو ذو صفيرتين ومن
بيت الملك فاتخذ الفهري صفيرتين أرسلهما وجاء أن تناله الرواية فلما جئنا اليه بعهدد الرحمن الأموي
ورأى صفيرتيه قال لليهودي هو هذا وأنا قاتله فقال له اليهودي ان قتله فسا هويه وان غلبت عليه فانه
لهو ونقل فل بنى أمية على ابن حبيب فطرد كثير منهم خوفاً على ملكه ثم تجنى على ابنه بن الوليد بن يزيد
كانا قد استجارا به فقتلها وأخذ ما لا كان مع اسمعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخته
فتزوجها غلباً ما وطب عبد الرحمن الداخل فاختفى كذا ابن حبان **﴿**وعند ابن خلدون **﴾** ان الأخت
المذكورة تزوجها عبد الرحمن من أخيه الياس بن حبيب ولما قتل ابن عمها امتعضت لذلك وأغرقت
زوجها واستفسدته على أخيه حتى قتله كما ذكر وذلك انه لما انتظم أمر الدولة العباسية بالمشرق

و بوج السفاح ثم المنصور بعده كتب الى عبد الرحمن بن حبيب بدعوه الى الطاعة والبيعة فاجابه ودعاه
 وبعث اليه بهدية فيها براة وكلاب وذهب قليل وذكر ان افر ببيعة اليوم اسلامية وقد انقطع السبي
 فغضب المنصور وكتب اليه يتوعده وبعث اليه مع ذلك بخمسة الامارة فترجع عبد الرحمن بيده من الطاعة
 ومزق الخلع على المنبر فوجد أخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاول عليه ودخل وجوه الجند
 في القتل به واعادة الدعوة للخليفة المنصور وماله على ذلك أخوه عبد الوارث بن حبيب وأحسن
 عبد الرحمن منهم ما بالشرقا من الياس باسيرا الى تونس فاطهر الامثال ثم جاء ليودعه ومعه عبد الوارث
 وكان عبد الرحمن مر بضا فدخل عليه وقتله على فراشه آخر سنة سبع وثلاثين ومائة لعشر سنين وسبعة
 أشهر من تغلبه على المغرب

استيلاء الياس بن حبيب على المغرب

لما قتل الياس باخيه عبد الرحمن معتدا عليه بخلعه طاعة الخليفة فرأى ابنه حبيب بن عبد الرحمن الى تونس
 بعد ان طلبوه وضبطوا أبواب القصر لئلا يخذوه فلم يظفروا به وكان عمه عمران بن حبيب والي بتونس من
 قبيل أييه فلققه وتم الامر لالياس واستولى على القيروان ثم زحف اليه عمران وحبيب فين اجتمع
 اليهما وخرج الياس للقائم فالتقوا واقتتلا وامليا ثم اصطلموا على أن يكون لحبيب قنصة وقسطيلة
 وسائر بلاد الجريد ولعمران تونس وسطفورة والجزيرة والياس القيروان وسائر افر ببيعة والمغرب وتم
 هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة وسار حبيب الى عملة من بلاد الجريد وارحل الياس مع أخيه عمران
 الى تونس ولما وصل اليها غدر الياس بعمران وقتله وقتل جماعة من الاشراف معه وقيل غربه الى
 الاندلس وعاد هو الى القيروان فبعث بطاعته الى أبي جعفر المنصور مع قاضي افر ببيعة عبد الرحمن بن
 زياد بن أنعم وصفاله أمر المغرب وثقل عليه مكان حبيب فاحتال عليه حتى أركبه البحر الى الاندلس
 وأركب معه أخاه عبد الوارث فردهم قاصف من الرجح الى طبرقة وكتبوا بخبرهم الى الياس فليج في
 طردهم وتسامعت موالي عبد الرحمن وشيعته بان مولاهم قنصار عوا اليه وأنزلوا من السفين والتفوا
 عليه وزحفوا به الى تونس فلكوها وخرج الياس لقتالهم فخالفوه الى القيروان وملكوها عليه وقتعوا
 السجون فرجع الياس لقتالهم وقد فرأ أكثر من معه الى حبيب ولما تراء الجمعان حول القيروان برز
 حبيب فنادى يا علم تقتل أولياءنا وصنائعنا وهم جنتنا فسلم للبراز فأينا غلب ملك فصاح الجيوشان
 بتصويب رأيه فبرزوا وتضار باحتي عجب الناس من صبرهما ثم قتل حبيب الياس ودخل القيروان فلكها
 آخر سنة ثمان وثلاثين ومائة فكانت ولاية الياس نحو سنة ونصف وفي هذه السنة استولى عبد الرحمن
 ابن معاوية الاموي على جزيرة الاندلس انتزعها من يدها يوسف بن عبد الرحمن الفهري وهو أخو
 حبيب المذكور آنفا قال ابن حبان كان تغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك
 بقرطبة يوم الاضحى لعشر خاؤون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة واستقام أمره بالاندلس وبنى
 المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه ووفد عليه جماعة من
 أهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور العباسي ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها الملك
 العظيم لبني مروان وخرجت الاندلس من يومئذ عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة بالمشرق
 والله غالب على أمره

استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتنة حاصم بن جميل المتنبئ ومقتله

لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس وتمكن من القيروان طلب عمه عبد الوارث لئلا يشاركه في دم
 أييه كما أمر ففر عبد الوارث الى ورجومة احدى بطون نفراو بن لوى من البرابرة بالشرق فقتل على كبيرهم
 حاصم بن جميل وكان كاهن يدعى النبوة فاجاره ثم نهض اليهم حبيب فاقعوا به وهزموه الى قابس

واستعمل أمر عاصم وشايحه على شأنه من رجالات نفرأوة عبد الملك بن أبي الجعد الورنجومي ويزيد بن
سكوم الوهاصي وكانا على رأي الاباضية وانضمت اليهم سائر نفرأوة واشتدت شوكتهم وكان قيامهم أولاً
بدعوة الخليفة المنصور ولما بقي أهل القيروان فوضى بسبب فرار أميرهم الى قابس كتب من بهامن
العرب الى عاصم هذا يدعونه للقدوم عليهم والقيام بأمرهم بشرط الدعاء للمنصور فأقروا قائلهم فهزمهم
ودخل القيروان عنوة واستباح أهلها وخرّب مساجدها وأهانهم سار الى حبيب بقابس بعد ان
استخلف على القيروان ومن بقي بهامن نفرأوة عبد الملك بن أبي الجعد فقاتل حبيبا وهزمه فلقى حبيب
بجبل أورابن وأجاره أهله ثم زحف اليهم عاصم فهزموه وقتلوه واستلمهوا جماعة من أصحابه وقام بأمر
ورنجومة والقيروان من بعده عبد الملك بن أبي الجعد وأهل القيروان أثناء هذا كله في غاية المذلة
والهوان مع البربر ثم زحف حبيب الى القيروان فبرز اليه عبد الملك وهزم حبيبا وقتله في المحرم سنة
أربعين ومائة فكانت ولايته نحو ثلاث سنين وانقرض بمقتله أمر آل عقبه من المغرب وابقاء الله وحده

استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب

لما قتل عبد الملك بن أبي الجعد الورنجومي حبيب بن عبد الرحمن الفهري رجوع في جوع البربر الى القيروان
فلجأوا وأمر أمرهم وورنجومة واستطالوا على أهل القيروان وقتلوا من بهامن قريش وسائر العرب حيث
وجدوا وعاملوهم معاملة المكاسيين لآل ادريس واستحلوا من الحرمات ما لم يستحلها عاصم بن جميل
قبلهم حتى لقد ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على أهل القيروان واقترقوا في النواحي فرارا
بانفسهم وشاع خبرهم في الأقاليم فحينئذ قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من رجالات
العرب وكان على رأي الاباضية باحواز طرابلس من ذكر الفعل وورنجومة ومغيرا عليهم حسب ما ذكر

استيلاء عبد الأعلى بن السمح على المغرب وظهور الصغرية من آل مدرار المكاسيين وبنواؤهم مدينة سجلماسة

كان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من وجوه العرب وكان على رأي الاباضية كما قلنا ولما
بلغه ما ارتكبته وورنجومة من أهل القيروان امتنع لذلك وقام محتسبا عليهم وشايحه على ذلك
برابرة طرابلس وتولى كبر ذلك هوارة منهم وهوارة احدى بطون أوربغة من البرانس فاجتمعوا
اليه وقتلهم الى طرابلس فلجأوا ثم زحف الى القيروان سنة احدى وأربعين ومائة فخرج اليه
عبد الملك بن أبي الجعد في جوعه فانخزل عنه أهل القيروان لانهم من عسقه وعسف قومه فانهم
وقتل واستولى أبو الخطاب على القيروان وأخضع في جوع عبد الملك من وورنجومة وسائر نفرأوة ثم تولى
على القيروان عبد الرحمن بن رسم الفارسي وهو من أبناء رسم أمير الفرس يوم القادسية كان عبد الرحمن
هذامن موالى العرب ومن رؤس هذه البدعة فاستخلفه أبو الخطاب على القيروان ورجع هو الى
طرابلس للقاء العساكر القادمة من جهة الخليفة المنصور على ما ذكره ولما حصل هذا الاضطراب
بالمغرب اجتمعت الصغرية من مكاسة بناحية المغرب الاقصى فنقضوا طاعة العرب ولواعيهم عيسى
ابن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة من
الهجرة ودخل سائر مكاسة من أهل تلك الناحية في دينهم وواقطعوا سجلماسة وأعمالها عن نظر
الولاية بالقيروان ومن هذا الاجتماع نشأت دولة بني مدرار مولد سجلماسة فان صغرية مكاسة
لما بايعوا عيسى بن يزيد أقام أميراً عليهم نحو خمس عشرة سنة ثم سقطوا أمرته ونقموا عليه ببعض
أحواله فعمدوا اليه وأوثقوه كئفاً ووضعوه على قننة جبل الى ان هلك سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا
بعده على كبيرهم أبي القاسم بن سمكوا بن واسول المكاسي الصغري كان أبوه سمكوا من جملة العلم ارتحل
الى المدينة فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس قاله غريب بن حميد القرطبي في تاريخه وكان

ولاية عمر بن حفص هزار مر د على المغرب

لم يبلغ الخليفة المنصور مقتل الاغلب بن سالم وجه مكانه عمر بن حفص من ولد قبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب بن أبي صفرة فقدم القيروان في خمسمائة فارس سنة احدى وخمسين ومائة فاستقامت أموره ثلاث سنين ثم خرج الى طنبنة لادارة السور عليها واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى فتار البربر بافريقية لما علموا من بعد الحامية عنها وغلبوا على من كان بها وزحفوا الى القيروان فخرج اليهم حبيب فهزموه وقتلوه ونار البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أباحاتم يعقوب بن ليبيد المغيلي مولى كندة وتسامعت به خوارج المغرب فانتقضوا من كل ناحية ونبت رؤس الفتنة من كل وجه وعادت هيف الى أديانها وكانت هذه الفتنة هي زبدة الفتن التي منحضتها الخوارج بالمغرب من لدن ميسرة الخفير الى الآن فانهم زحفوا الى عمر بن حفص وهو بطنبنة من أرض الزاب في اثني عشر ألف عسكر فكان منهم أبوقرة اليفرى في أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت في خمسة عشر ألفا من الاباضية والمسور بن هاني الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية أيضا وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجى في ألفين من صنهاجة الصفرية وجرير بن مسعود المدبوني فيمن تبعه من مديونة وانضم اليهم غير هؤلاء من خوارج هوار وزنانة ممن لا يحصى كثرة ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص عمل الخليفة في ايقاع الخلاف بينهم ودافعهم بالاموال وأرسل الى أبي قرة على يد ابنه أبي نوران يعطيه أربعين ألفا لانه أربعة آلاف على ان يرتحل عنه فقبل وارتحل بقومه وانفض البربر عن طنبنة ثم سار أبو حاتم يعقوب بن ليبيد الى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة ولما اشتد الحصار على أهل القيروان خرج عمر بن حفص من طنبنة يريد أباحاتم والاباضية الذين معه وبلغ أباحاتم وأصحابه وهم محاصرون القيروان مسير عمر بن حفص اليهم فسار واللقائه قال هو من الاريس الى تونس ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعد للحصار وشخصها بالاقوات والرجال وأتبعه أبو حاتم والبربر وأوقرة معهم في قومه وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفا الخليل منهم خمسة وثمانون ألفا والباقي رجالة وأحاطوا بالقيروان وعمر بن حفص داخلها واطال الحصار ثم بلغه الخبر ان المنصور وجه لاستنقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبى فانف من ذلك وقال لا خير في الحياة بعد ان يقال يزيد أخرجه من الحصار انما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب وخرج عرققاتل حتى قتل أواسط حجة سنة أربع وخمسين ومائة وكان عمر هذا بطرابلس محيا يقب هزار مر وهو لفظ فارسي معناه ألف رجل ثمولى الناس عليهم أخاه لامة حميد بن صخر وانقضى الحصار وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها وخرج أكثر الجنود الى طنبنة ودخل أبو حاتم القيروان فاستولى عليها ويقال ان ابن صخر وادعه على ما أحب والله تعالى أعلم

ولاية يزيد بن حاتم على المغرب

لم يبلغ المنصور انتفاض افريقية على عمر بن حفص وحصاره بطنبنة أو لاثم بالقيروان ثانيا ببعث اليه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألفا وبلغ خبره عمر بن حفص فعمله ذلك على الاستماتة كما تقدم وبلغ أباحاتم وهو بالقيروان مسير يزيد بن حاتم اليه فخرج للقائه فلقبه يزيد بن حاتم بنواحي طرابلس واقتنوا وقتا لا شديدا فانهم البربر وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفا من أصحابه وتبعهم يزيد بالقتل طلبا بدم عمر بن حفص ثم ارتحل الى القيروان فدخلها يوم الاثنين لعشر مضت من جادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائة فهدا ورتب أسواقها وأفرد كل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبي حاتم فلقق بكامة فبعث يزيد في طلبه المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتل جماعة ممن معه وهرب الباقيون في كل ناحية ونجى هو الى الاندلس وبعث يزيد المخارق أيضا على الزاب فنزل طنبنة وأثنى في البربر وأوقع

بهم وقائع عظيمة وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ انتقضوا على عمر بن حفص الى انقضائهم اثلاثمائة وخمساوسبعين حربا قاله ابن خلدون ثم انتقضت ورجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا اسمه أبو زرجونة فسرح اليهم يزيد بن حاتم من عشيرته يزيد بن مجزأة المهلبى فهزموه واستأذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبينة في الزحف الى ورجومة فأذنه وأمدّه بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرتهم أيضا فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل وانتقضت فغزوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود بن يزيد فاستأصلهم قتلا أيضا فركدت ریح الخوارج من البر حينئذ وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال * قال ابن خلدون * لم يزل أمر الخوارج بالمغرب يعنى أيام يزيد هذا فى تناقض الى ان اضمحلت ديانتهم وافتقرت جماعتهم وبقيت آثار خلتهم فى اعقاب البربر الذين دانوا بها فى صدر الاسلام فى بلاد زنا تبا الصحراء منها أترباق لهذا العهد وكذلك فى جبال طرابلس أترباق من تلك النحلة والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء واستمر يزيد بن حاتم ضابطا لامر افر بيقية والمغرب الى ان توفى بها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة فى خلافة هر بن الرشيد العباسى فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وولى الناس عليهم ابنه داود الى ان كان ما نذ كره وكان يزيد رجه الله من السماء الامجاد والفضلاء الامجاد وكل بنى المهلب كذلك وبهم ضرب المثل أبو محمد الحريرى فى المقامات اذ قال وصار الادب أعلق بى من الهوى بينى عذرة والشجاعة بآل أبى صغرة وقال الشاعر الجاسى

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان فى الزمن المحل

فما زال بى معروفهم وافتقارهم * وبرّهم حتى حسبتهم أهلى

فأما يزيد بن هذيل هذال من بينهم فخاله فى الشجاعة وجوده الرأى كرايت وأمال الجود والسخاء فهو وفيهما المثل السائر كان ربيعة بن ثابت الرقى الشاعر مدح يزيد بن أسيد بالتصغير السلبى وهو وال على أرمينية فقصر فى حقه ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ فى الاحسان اليه فقال ربيعة من قصيدة

لشتان ما بين اليزيدى فى الندى * يزيد سليم والاعتر بن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى * فى الازدلال موال غير مسالم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

* ولا يقرح بن حاتم على المغرب *

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه روح واليا على فلسطين وكان أسن من يزيد استقدمه وعزاه فى أخيه وولاه على المغرب فقدم القير وان منتصف سنة احدى وسبعين ومائة وكان يزيد قبله قد أذل الخوارج ومهد البلاد كما قلنا فكانت أرض المغرب ساكنة أيام روح ورغب فى مواعده عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فوادعه * قال ابن خلدون * وفى أيام روح انخفضت شوكة البربر واستكانوا القلب وطاعوا اللذين فضر الاسلام بجرانه وألقت الدولة المضرية على البربر بكلها اه كلام ابن خلدون * وفى أيام روح أيضا اجتاز الامام ادريس بن عبد الله ببلاد مصر وافر بيقية ناجيا من وقعة فح التي كانت بكة لآل العباس على آل على بن أبى طالب رضى الله عنهم ودخل مدينة وليلى من المغرب الاقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة كما سياتى ان شاء الله * قال ابن خلدون * كان روح بن حاتم من الكرماء الاجواد ولى خمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والمهادى والرشيد ويقال انه لم يتفق مثل هذا الا لابي موسى الاشعري رضى الله عنه فانه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الاربعة رضى الله عنهم قال وكان روح واليا على السند وولاه عليها المهدي بن المنصور فلما مات أخوه يزيد بالقير وان ودفن بباب سلم قال أهل افر بيقية ما بعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فانفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل افر بيقية أول رجب

سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى أن توفي بها الاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة
 أربع وسبعين ومائة ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد فحجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد
 وجهما الله (ثم ولي المغرب) من قبل الرشيد حبيب بن نصر المهلبى ثم عزله سنة سبع وسبعين ومائة * وولى
 على المغرب الفضل بن روح بن حاتم وقتله عبد الله بن الجار ودمته نصف سنة ثمان وسبعين ومائة
 وانقرضت باقر اضه دولة آل المهلب من المغرب * ثم ولي الرشيد على المغرب هرثة بن أعين فبنى القصر
 الكبير بالمستير وبنى السور على طرابلس من جهة البحر ولما رأى هرثة ما بالمغرب من كثرة الثوار
 والخلاف استعفى الرشيد من ولايتها فاعفاه لستين ونصف من ولايته * ثم ولي الرشيد على افرريقية محمد
 ابن مقاتل العبي وكان رضيعه فاضطر بت عليه افرريقية وبلغ الرشيد ذلك وطلب أهل افرريقية من
 ابراهيم بن الاغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب الى الرشيد في الولاية عليهم فكتب الى الرشيد
 في ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر الى افرريقية اعانة للولاية بها وعلى أن
 يحمل هو من افرريقية الى الخليفة أربعة آلاف وبلغ الرشيد غناؤه وكفايته فاستشار فيه أصحابه فأشار
 هرثة بن أعين بولايته فكتب له بالعهد على افرريقية منتصف أربع وعشرين ومائة فقام ابراهيم بالامر
 وضبط البلاد فسكنت واستراحت من الفتن وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بجماعته
 وأورث بافرريقية ملكا بنيه من بعده وفي هذه المدة انقسم المغرب الى ثلاث ممالك فكان بنو الاغلب
 بافرريقية والقيروان وبنو خزراغرايون بالمغرب الاوسط وتلسان وبنو ادريس بالمغرب الاقصى
 وقبل ان نقر ذلك الكلام عليه نذكر فضلا نشير فيه الى مذاهب أهل المغرب ونحلهم على الجملة والله الموفق

القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا وما يتبع ذلك

قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله من ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة وانه لم تستمقر كلة
 الاسلام فيهم الا لعهد موسى بن نصير وبعد فتحه الاندلس ثم كسل اسلامهم على يد اسمعيل بن عبيد الله
 ابن أبي المهاجر وتقدم ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل
 المغرب في دينهم فكان المغاربة في صدر الاسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الامة واعتقادهم
 وهو المذهب الحق الى ان حدثت فيهم بدعة الخارجية لاول المائة الثانية من الهجرة تزعم اليهم بها
 بعض أهل النفاق من خوارج العراق وبنو هان فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها لديهم بسبب
 ما كانوا يعانونه من نقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها حسبما تقدمت الاشارة اليه فلقتهم
 أهل البدع ان الخليفة لا تشترط فيها القرشية بل ولا العربية وان كل من كان أتقى لله كان أحق بها
 ولو عبد اجسبا على ظاهر الحديث ودسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم وأر وهم
 ما هم عليه من التصلب في دينهم فظهر للبربر يادى الرأى ان تعمقهم ذلك انما هو أثر من آثار الخشية لله
 والخوف منه وان ذلك هو عين التقوى المأمور بها سرعا وغاب عنهم ان الدين يسر كما قال صلى الله عليه
 وسلم وان ملة الاسلام عرفت من بين الملل بالحنيفية السمحة لذلك والله تعالى يقول ما جعل عليكم في
 الدين من حرج ومن أمعن نظره في نصوص الشريعة من الكتاب والسنة علم يقينا ان طريق النجاة
 انما هي سلوك الوسط وان كلاما من التعمق والانهلال ضلال والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وان هذا
 صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقد فرجع من الامة
 المقتدى بهم كالمغزى الى في الاحياء وغيره ان الحمود في أمور الديانات كلها انما هو سلوك الوسط بين
 الافراط والتفريط وبه يتم مراد الله من خلقه وكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا ما بحث طوبى
 نفيس وقد مرنا اليه بهذه النبذة اليسيرة والتوفيق بيد الله وقد رسمت هذه البدعة الخارجية في
 البربر زمانا طويلا الى ان اضحلت في أواخر المائة الثانية وما بعد دها ومع ذلك فقد بقيت منها آثار

في أعقابهم من أصحاب الأطراف كما ذكره ابن خلدون والناقد بصير ولما ظهر الخلفاء من بني العباس
 المغرب من هذه النزعة الشيطانية أخذ أهلها بعدها مذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك
 المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالشرق والناس على قدم امامهم **هـ** قال عياض في المدارك **هـ** ظهر
 مذهب أبي حنيفة بأفريقية ظهورا كثيرا الى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء الى
 ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس وبالأندلس **و** كذلك ظهر بالأندلس أيضا مذهب عبد الرحمن
 الاوزاعي من أهل الشام واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة
 وغيره الى مذهب الامام مالك بن أنس الذي هو مذهب السلف من أهل الحجاز فقال ابن خلدون في
 ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة ما نصه كان مذهب أبي حنيفة ورضي
 الله عنه بأفريقية أظهر المذاهب فعمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك
 رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن **هـ** قلت **هـ**
 كان المعز هذا أو أسلافه من صنهاجة بأفريقية على مذاهب الرفضة من الشيعة أخذوه عن خلفائهم
 العبيديين أيام استيلائهم على المغرب في صدر المائة الرابعة وجاؤا الناس عليه وامتحنوهم وطارت
 بدعتهم في أقطار المغرب كله فلما أفضى الامر الى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من أفريقية
 ودعا لعلي بن العباس وجعل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وامام دار الهجرة هذا والمعروف
 ان مذهب مالك ظهر أولا بالأندلس ثم انتقل منها الى المغرب الأقصى أيام الادارة وكذلك ظهر بأفريقية
 ظهورا يينا قبل وجود المعز بكثير بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن
 القرات وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون وغيرهما من أئمة المغاربة نعم لما ظهرت دولة
 الشيعة بأفريقية حاولوا محوه فلم يتيسر لهم ذلك وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة
 عظيمة منهم ابن أبي زيد القاسمي وأبو عمران الفاسي وطبقتهما ولم يزل الامر على ذلك الى ان نصره المعز
 المذكور جزاه الله خيرا قالوا وكان ظهوره بالأندلس على يد الفقيه زيد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون
 فهو أول من أدخله الأندلس وكانوا قبل ذلك يتفقون على مذهب الاوزاعي امام أهل الشام لما كان
 الدولة الاموية منهم فلما ظهر مالك رضي الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه بأقطار الارض
 رحل اليه جماعة من أهل الأندلس والمغرب كان من آمنلهم وأسبقهم شبطون المذكور وقرعوس بن
 العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل فلما رجعوا وصفوا
 من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالأندلس فانتشر يومئذ علمه ورأيها
 وكان رائدا لجماعة في ذلك هو شبطون كما قلنا وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب اتي به مكة لامتنقا
 فأخذه عنه يحيى بن يحيى اللبثي ثم رحل به كذلك الى مالك فقرأه عليه وعاذ الى الأندلس فتم ما كان قد
 بقي من شهرة المذهب المالكي **هـ** قال ابن خزم **هـ** مذهبنا انتشر افي بدء امرها بالياسة والسلطان
 مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاء من قبله من أقصى المشرق
 الى أقصى عمل أفريقية ومذهب مالك عندنا بالأندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول
 القول في القضاء وكان لا يلي قاض في أقطار الأندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بما يحبه ومن كان
 على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم على ان يحيى لم يبل قضاء قط
 ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالة عندهم ودعايها الى قبول رأيهم **هـ** **هـ** ورأيت **هـ** في بعض
 التأليف في سبب ظهور مذهب مالك بالأندلس والمغرب ان حاج المغرب والأندلس قدموا على مالك
 رضي الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقيل له انه يأكل الشعير
 ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله فقال مالك اميت الله بن حرمنا عتله فندم عليه بنو العباس هذه

المقالة وكان ذلك سبب توصلهم الى ضربه في مسئلة الاكراه كاهوم مشهور وبلغت مقالته صاحب
الاندلس فسر بها وجمع الناس على مذهبه فانتشر في اقطار المغرب من يومئذ والله أعلم * وبما يناسب
هنا ما نقله المؤرخون ان ابا عبد الله محمد بن خير بن الاندلسي الاصل القسري واني الدار ورحل الى المشرق
في صدر المائة الرابعة فأخذ عن علمائه وقرائه وعاد الى افرريقية بقراءة نافع بن أبي نعم وكان الغالب
عليهم القراءة بحرف حمزة فاشاع حرف نافع من يومئذ في اقطار المغرب بعد ان كان لا يقرأ به الا الخواص
واستمر الحال على ذلك الى اليوم فهذا حال أهل المغرب في الفروع وأما حالهم في الاصول والاعتقادات
فبعد ان طهرهم الله تعالى من زغرة الخارجية أو الازفضية ثانياً قاموا على مذهب أهل السنة
والجماعة مقلدين للمجهور من السلف رضي الله عنهم في الايمان بالمشابه وعدم التعرض له بالتأويل
مع التنزيه عن الظاهر وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها والله در القائل

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المراقب
وتركب للتسليم سمعنا فانها * لتسلم دين المرء خير المراكب

واستمر الحال على ذلك مدة الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل
الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخرى أصحابه من الجزم بعقيدة
السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة وتخريج على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها
وضروب بلاغاتها مما وافق عليه النقل والشرع ويسلم العقل والطبع ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب
ودعا الناس الى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسمى أتباعه الموحدين
تعريضاً بان من خالف طريقته ليس بوحود وجعل ذلك ذريعة الى الانتزاع على ملك المغرب حسبما اتفق
عليه مفضل بعد ان شاء الله لكنه ما أتى بطريقته الا في بعض الاشياء خالصة بل من جهابذة من الخارجية
والشيعية حسبما يعلم ذلك بامعان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده ومن ذلك الوقت
أقبل علماء المغرب على تعاطي مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفاً الى الآن وان كان قد ظهر
بالمغرب قبل ابن تومرت فظهوراً والله أعلم * وقد كان * عبد المؤمن بن علي وبنوه من بعده قد منعوا
الناس من التقليد في الفروع وحلوا الامتة على أخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على
طريقة الاجتهاد المطلق وحرقوا شيئاً كثيراً من كتب الفروع الحديثة التصنيف ووقع ذلك من بعض
علماء عصرهم موقع الاستحسان منهم الامام الحافظ أبو بكر بن العربي فقد ذكر في كتاب القواصم
والعواصم له ما يشعرب بذلك قال بعد ذكره ما وقع بالمغرب من الفتن ما نصه عطفنا عن ان القول الى
مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى لما كثرت البدع وذهب العلماء وتعاطت المبتدعة من نصب الفقهاء
وتعلقت أطماع الجهال به فقالوا به فساد الزمان ونفوذ وعد الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله اتخذ الناس
رؤساجها لا فسادوا فاستأوا فاقبوا بغير علم فضاوا واضلوا وبقيت الحال هكذا اغتات العلوم الا عند آحاد الناس
واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل وذلك بقدره الله تعالى وجعل الخلف منهم يتبع السلف
حتى آلت الحال الى أن لا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه ويقال قد قال في هذه المسئلة أهل قرطبة
وأهل طليطكة وأهل طايطة وصار الصبي اذا عقل وسلكوا به أم مثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى
ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطأ ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ثم يتموه الى باحكام ابن سهل ثم يقال
قال فلان الطليطلي وفلان الجريطي وابن مغيث لا أعان الله تراه فيرجع القهقري ولا يزال يعيش الى ورا
ولولان الله تعالى مر بطائفة تفرقت في ديار العلم وجاءت بلباب منه كالعاضى أبي الوليد الباجي وأبي محمد

الاصميلي فرسوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة وعطر وأنفاس الامة الذفرة لكان الدين قد ذهب
ولكن تدارك البارئ تعالى بقدرته ضرر هؤلاء بنفع هؤلاء وبما سكنت الحال قديلا والحمد لله اه والله
تعالى ولي التوفيق

﴿تتمة مهمة﴾

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرهما منذ أعمار متطاولة لاسيما في المائة العاشرة وما بعد هابدة قبيحة وهي
اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ممن يشار اليه بالولاية
والخصوصية ويخوضونه بمن يد المحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتعريف اليه قدر انما على غيره من
الشيوخ بحيث يرسم في خيال جهلهم ان كل المشايخ أو جهلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى ويقولون نحن
أتباع سيدي فلان ونخدم الدار الفلانية لا يحولون عن ذلك ولا يزلون خلفا عن سلف وينادون باسمه
ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم اليه معتقدين أن التعريف اليه نافع والانحراف عنه قبيح
صار مع ان النافع والضار هو الله وحده واذا ذكر لهم شيخ آخر أو دعوا اليه حاصوا حصة جحر الوحش
من غير تبصر في أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا فصار الامر عصيا وصارت الامة بذلك طرائق
قددا في كل بلاد أقرية عدّة طوائف وهذا الم يكن معروفا في سالف الامة الذين هم القدوة لمن بعدهم
وغرض الشارع انما هو في الاجتماع وتعام الالفة واتحاد الوجهة وقد قال تعالى لاهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية وقد ذم قوم افرقوا دينهم وكانوا شيعا وانما الشأن في أهل الخصوصية
والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط بحيث يحبهم الله وفي الله ويستشفع بهم الى الله
ويسأله تعالى أن يكرمهم بما كرمهم به من الخير والهدى والدين ولحبهم حب التشريع لاحب التسبيح
وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرحم بالغييب فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم
عند الله وذلك محبوب عنا واذا نزلت به حاجة فليقرع في قضائها الى مولاه الذي خلقه ورزقه مستشفعا
اليه بنبيه الذي هداه للايمان على يده ثم بنحو الامة الذين هم آباؤنا في الدين فان المطاوب من العبد
أن يصرف وجهته وقصده في جميع أمورهِ ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها الا منه ولا يتشكل فيها
الا عليه قاطعا للنظر عن كل ما سواه اللهم الاعلى سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا هذا هو التوحيد الذي
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم واليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنا بئس ما جاء به ان هذا هو القمص
الحق وما من اله الا الله الآية ثم استرسل هؤلاء الطعام في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات
معاملة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة فاشتت من طست وطار وطبل
ومضى مار وغناء ورقص وخبط بالرجل وخص ورجعوا أضافوا الى ذلك نارا أو غير هابسة تعاونه على سبيل
الكرامة بزعمهم ويستغفرون في ذلك الزمن الطويل حتى يحضى الوقت والوقتان من أوقات الصلوات
وداعى القلاح ينادى على رؤسهم وهم في حيرتهم يعمهون لا يرفعون به رأسا ولا يرون بما هم فيه من
الضلال بأسا بل يعتقدون ان ما هم فيه من أفضل القرب الى الله تعالى عن جهالاتهم علوا كبيرا
ولا يجدي في هذه الجماع الشيطانية غالبا الا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل عن لا يحسن الفاتحة فضلا عن
غيرها مع ترك الصلاة طول عمره أو من في معناه من معتوه ناقص العقل والدين فآأ حوج هؤلاء
الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم واللبس المقيم وأعظم من هذا كله انهم يفعلون
تلك الحضرة غالبا في المساجد فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنار
وغير ذلك ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة فيكرأينها من عود ورياب ومضى مار على أخفش الهيات في
محاريب الصلوات ويؤمن بدعهم الشنيعة محمدا كاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل
الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمننا

وسوق الذبايح اليها على هبشة الهدى واتخاذ الموسم كل عام وهو ذوا أمثاله لم يشمرع الا في حق الكعبة
ثم يقع في ذلك الموسم ولا سيما موسم البادية من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات
متبرجات شأن أهل الاباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ماتصم عنه الاذان ولا منكر ولا مغير
ولا تمتعض للدين لابل للحسب فاما الدين عند هؤلاء فلا دين فان الله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين
وعغلة أهله عنه ويالله وبالله المسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين
والانسانية جلة فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور البهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا والدينهم
ومروءتهم ويؤمن جهالاتهم القظيعة يجمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم كالقسم
والاستعطاف وغيرها فاذا أقسموا قالوا بحق الله وحق سيدي فلان واذا عزموا على أحد قالوا دخلت
عليك بالله وسيدي فلان واذا سأوا قالوا من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطفون اسم العبد على
اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام قدحظر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله الى
غيره وهذا هو صريح التبرك ويؤمن مناكرهم الجديرة بالتغيير يجمعهم كل سنة للوقوف يوم
عرفة بصرح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ويسمون ذلك حج المسكين فانظر الى هذه
الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة ويؤمن اختراعاتهم بتسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا أخذنا من اسم
حضرة الله تعالى في اصطلاح الائمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم
فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم
يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال أخذنا من الحال التي تعترى السالك
الى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول وهذا العمر الله من أفتح الضلالات وأشنع
الجهالات الى غير هذا بما أغنى فيه العيان عن الخبر وعرفه الخاص والعام في حالي الورد والصدر وأسنا
تذكر على أولياء الله وأهل الخصوصية منهم أو على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الائمة
المقتدى بهم منهم وانما شرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الامر من باب ولا أخذوه عن أربابها وانما حالهم
ما رأيت وعلت وهذه نقشة مصدور صاحبها عند المنتصف معذور فنسأل الله العظيم المولى الكريم أن
يحركهم من له القدرة والتصرف الى حسم هذه الضلالات وقطعها عسى أن يرتجنا بنا ويحبر كسرنا
ويكتب عدونا ونحن واجعدنا بيننا وسنة نبينا ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بآبائهم وانما أراد الله
بقوم سواء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال * وقد آن أن نفرذ الكلام على المغرب الاقصى عند
ما استولى عليه المولى ادريس بن عبد الله وبنوه من بعده واقطعوه عن نظر الخلفاء بالشرق وصبروه
ملكه مستقلة اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدمت الاشارة اليه مقدمين لذلك ما يجب
تقديمه من الاشارة الى امر الخلافة وتنازع أهل الصدر الاول في استحقاقها ومن هو أولى بها ثم نتخلص
منه الى المقصود بالذات والله الموفق

والخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى وذكر السبب في أوليتها

اعلم انه قد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد
الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين * وفيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر في قريش
ما بقي منهم اثنان وغير ذلك قال الحافظ ابن حجر * لو فقد قرشي فكأن في ثم رجل من بني اسمعيل ثم جمعي
على ماني التهذيب أو جرهمي على ماني التمة ثم رجل من بني اسحق وأن يكون شجاعا ليغزو بنفسه ويعالج
الحيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بان يكون مسلما مكافرا عادلا

ذكر المجتهد اذ ارأى وسمع وبصر ونطق وتعتقد الامامة بيده أهل الحبل والعقد من العلماء ووجوه
 الناس المتيسر اجتماعهم وباستخلاف الامام من يعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون
 خليفة بعد موته وباستيلاء متقلب على الامامة ولو غير أهل لها كصبي وامرأة ان قهر الناس بشوكنه
 وجنده وذلك لينتظم أمر المسلمين اه تم تقول قد تقدم لنا أمر الخلفاء الاربعة رضی الله عنهم بعد
 النبي صلى الله عليه وسلم وان السلف أطبقوا على ان ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة
 وتقدمنا ايضا ما كان من علي ومعاوية رضی الله عنهم ما وان ما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلبا
 للحق وان الصواب كان مع علي رضی الله عنه والسكل مأجور ثم لما قتل علي رضی الله عنه بايع أهل
 العراق ابنه الحسن رضی الله عنه وزحف اليه معاوية في أهل الشام ورأى الحسن ما في حقن دماء
 المسلمين وجمع كلمتهم من الثواب عند الله والكرامة ليدية فاختر الاخرى على الدنيا وقدم الاحب
 على العاجل وسلم الامر الى معاوية على شروط معروفة وأصلح الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين
 كما قال جده صلى الله عليه وسلم وحاز معاوية الخلافة وصفته وتوارثه بنو أمية من بعده بعد
 مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لهم يطول جلبها وكان السواد الاعظم من المسلمين
 يرون ان بني هاشم أحق بالامر من بني أمية لان بني هاشم هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعقبرته
 الاقربون وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
 فهم أحق بحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهذا الرأي صواب غير ان ذلك ليس بطريق
 الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الاحتمية والاولوية اذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر
 بطون قريش والا فنفردت به الشروط وجب المصير اليه وكان شيعة علي بن أبي طالب رضی الله عنه
 يوجبون الخلافة لبينه دون من عداهم ويزعمون ان ذلك كان بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم على
 رضی الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ومذهب هؤلاء الشيعة في كيفية
 سوق الخلافة في عقب علي رضی الله عنه متعددة لا حاجة لنا بذكرها وكان بنو علي رضی الله عنه في
 الصدر الاول كثير ما يثورون في النواحي شرقا وغربا بالبين حقهم في الخلافة منازلين فيها بنو أمية
 أولا ثم لبني العباس من بعدهم ثانيا واوجبهم في ذلك معروف وجلبه بطول الى ان كان منهم عبد الله بن
 الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضی الله عنهم وكان من سادة أهل البيت يومئذ
 وكان له عدة اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية وابراهيم ويحيى وسليمان وادريس وغيرهم ولما
 صار أمر بني أمية الى الاختلال أيام مروان الحمار آخر خلفائهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا
 فبين يقدمونه للخلافة فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية فبايعوه بالبايع والبايع وسلموا له
 الامر باجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك
 قبل ان تنتقل الخلافة الى بني العباس فبايع للنفس الزكية فبين بايع له من أهل البيت واجموا على ذلك
 لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم **وقال ابن خلدون** ولذا كان مالك وأبو حنيفة رجما لله
 يحتجان له حين خرج بالجزيرة ويريان ان امامته أصح من امامة أبي جعفر المنصور لان عقاد هذه البيعة أولا
 وكان أبو حنيفة يقول بفضلها ويحتج لحقه فتأدت الى الامامين المنحة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور
 حتى ضرب مالك رضی الله عنه على القتيابي طلاق المكروه وحبس أبو حنيفة رضی الله عنه على القضاء
 ولما انقرضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الامر الى أبي جعفر المنصور منهم سعي عنده
 بالبيت وان محمد بن عبد الله يروم الخروج عليه وان دعائه قد ظهر وانجراسان فأمر المنصور عامه
 على المدينة رباح بن عثمان المري بحبس عبد الله بن حسن ومن اليه من آل الحسن بن علي بن أبي طالب
 فحبسه في جماعة من بنيها واخوته وبني عمه **وقال ابن خلدون** في خمسة وأربعين من أكابرهم وقد

المنصور والمدينة في حجة جهات فاساتهم معه الى العراق وحبسهم بقصر ابن هبيرة من ظاهر الكوفة حتى
 هلكوا في حبسهم وجدا المنصور في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه ابراهيم لكونهما تغيبا
 فلم يجبا في جملة من حبس من عشرتهم * ثم لما كانت سنة خمس وأربعين ومائة وأربعين هجرت محمد بن عبد الله
 الطلب وأعيته عليه المذهب ظهر بالمدينة المنورة ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واستفتى أهل المدينة
 الامام مالك بن أنس رضي الله عنه في الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا في أعناقنا بيعة للمنصور فقال انما يا بعتهم
 مكرهين فتسارع الناس الى محمد وأجابوا دعوتيه ولزم الامام مالك بيته وخطب محمد بن عبد الله على منبر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المنصور بما نقمه عليه ووعده الناس واستنصر بهم وتسمى بالمهدي
 ولم يتخلف عن بيعته من وجوه الناس الا القليل وبلغ المنصور خبر محمد بن عبد الله وما كان منه بالمدينة
 فأشفق من ذلك غاية الاشفاق وكتب الى محمد كتاب أمان ويعدده الجليل ان هوراجع الطاعة فأجابته محمد
 بعدم قبول ذلك منه ودارت بينهما مكاتبات ومحاورات في الافضلية واستحقاق الخلافة وقد ذكر
 مكاتبتهم ما البرد في كامله وابن خلدون في تاريخه وآخر الامر أن المنصور بعث لحرب محمد المهدي ابن عمه
 عيسى بن موسى العباسي فاستعد المهدي للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الاحزاب وقدمت جيوش العباسيين ونزلوا على المدينة وخرج اليهم محمد بن عبد الله فيمن بايعه
 واقتتل الناس قتالا شديدا وأبلى محمد المهدي في ذلك اليوم بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد
 القتال وعان مخايل الاختلال انصرف فاعتسل وتحنط وجعل بين الظهر والعصر ومضى فاحرق الديوان
 الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء الى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه
 جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد الى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه الا نحو الثلاثمائة
 فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط ركبته وطعنه حميد
 ابن قسطنطين في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به الى المنصور وكان مقتل محمد المهدي
 رجه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه ولحق
 ابنه علي بن محمد بالسند الى ان هلك هناك واختفى ابنه الاخو عبد الله الاشراف الى ان هلك أيضا في خبر
 طويل ثم خرج ابراهيم بن عبد الله أخو المهدي المذكور بالبصرة عقب ذلك فبعث اليه المنصور وعيسى
 بن موسى المذكور اتفاقا له آخري القعدة من السنة فانهزم ابراهيم وقتل رجه الله بعد أن بايعه
 أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي ابن أبي جعفر
 المنصور خرج بالمدينة الحسين بالتصغير ابن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط
 ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم ادريس ويحيى وسليمان بنو
 عبد الله بن الحسن المثنى وهما أخو محمد النفس الزكية فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه
 وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عميد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال
 فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة نبيه للرضى من آل محمد وكانوا
 يكونون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون
 أياما ثم خرجوا الى مكة يوم السبت لست بقين من ذي القعدة فالتهمى الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة
 من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فنهزم سليمان بن أبي جعفر المنصور
 ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم اليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع
 الحسين المذكور يوم التروية الثامن من ذي الحجة فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه
 وأحضره أمام بني العباس وهو مضر وب علي قفاه وجهته ثم جمعت رؤس أصحابه فكانت مائة ونيفا
 وكان فيهار أس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه

وكان مقتلهم بموضع يقال له فمخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا وفي ذلك يقول بعض شعراء ذلك العصر فلا يكن على الحسين بعولة وعلى الحسن وعلى ابن عاتكة الذي * واروه ليس له كفن تركوا بفتح غمدوة * في غير منزلة الوطن

في أبيات والحسن الذي ذكره في هذه الأبيات هو الحسن بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وكان أسير في ذلك اليوم فضربت عنقه صبيرا وابن عاتكة الذي ذكره هو عبد الله ابن اسحق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ثم حمل رأس الحسين ومعه باقي الرأس الى الهادي فانكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

و قد نحول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى *

قد تقدم لنا ان يحيى وادريس ابني عبد الله حضر الواقعة فمخ مع الحسين بن علي المذكور آنفا * فاما يحيى فانه فر من الواقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكتبه اليه الفضل وبذل له الامان وما يختاره فاجابه يحيى بن عبد الله الى ذلك وطلب من الرشيد وان يكون بخطه ويشهد فيه الا كما فعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد فامر الرشيد واعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن * واما ادريس فانه فر من الواقعة المذكورة ولحق بمصر وعلي بر يدها يومئذ ووضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن ادريس واتاه الى الموضع الذي كان مستخفيا به ولم ير شيئا اخلص له من ان يجله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه راشد قتل بدينه وليلى سنة ثنتين وسبعين ومائة وجم ابومثد اسحق بن محمد بن عبد الحميد امير اورب من البربر البرانس فاجاره وكرمه وجمع البر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وانتهى الخبر الى الرشيد بما فعله ووضح في شأن ادريس فقتله وصلبه * وقال ابن ابي زرع في كتاب القرطاس ان ادريس بن عبد الله لما قتلت عشيرته بفتح فرب نفسه مستترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل الى مصر ومعه مولاه اسمه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ بني العباس هو علي بن سليمان الهاشمي فبينما ادريس وراشد عشيان في شوارع مصر اذ مر ايدار حسنة البناء فوقفا يتأملانها واذ بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال ما الذي تنظرانه من هذه الدار فقال راشد اعجبنا حسن بناهما قال واظنكم كما غري بين ليسا من هذه البلاد فقال راشد جعلت فداك ان الامر كما ذكرت قال فن أي الاقاليم انما قال من الحجاز قال فن أي بلاده قال من مكة قال واخا لك ما من شيعة الحسينيين القاربن من وقعة فمخ فهما بالانكار ثم توسمافه الخير فقال راشد ياسيدي أرى لك صورة حسنة وقد توسمت قبلك الخير أريت ان أخبرناك من نحن اكننت تستر علينا قال نعم ورب السكينة وأبذل الجهد في صلاح حالنا كما فقال راشد هذا ادريس بن عبد الله بن حسن وانا مولاه راشد فررت به خوفا عليه من القتل ونحن فاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمش نفوسك فاني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرهم فانتما من الآمنين ثم أدخلهما منزله وبالغ في الاحسان اليهما فانصل خبرهما بعلي بن سليمان صاحب مصر فبعث الى الرجل الذي هما عنده فقال له انه قد رفع الى خبر الرجلين اللذين عندك وان امير المؤمنين قد كتب الى في طلب الحسينيين والبحث عنهم وقد بث عيونهم على الطرقات وجعل الرصاد على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وحاله واني أكره ان أتعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الامان فاذهب اليهما واولعهم ما بعثنا الى وأمرهما بالخروج من عملي وقد أجلبتم ما نلنا فاسار الرجل فاشترى راحلتين لادريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى وصنع زادا يبلغهما الى افر بنية وقال راشد اخرج أنت مع الرفقة

على الجادة وأخرج أنا وادريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق وموعداً مدينة بركة فخرج راشد مع الرفقة في زى التجار وخرج ادريس مع المصري فسلنا البرية حتى وصلنا إلى بركة وأقام بها حتى لحق بهم راشد ثم جدد المصري لها زاداً ودعها وانصرف وسار ادريس وراشد يجتازان السبى حتى وصلنا إلى القبر وروان فأقاما بهامدة ثم خرجا إلى المغرب الأقصى وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين والنصيحة لآل البيت فعمد إلى ادريس حين خرجا من القبر وروان فالبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة كذلك وصيره كالمستخدم له بأمره وبينها كل ذلك خوفاً عليه وحياطة له ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فأرأينا بها أياً ما نمر ارتحلاً نحو بلاد طنجة فسار حتى عبر وادى ملوية ودخل بلاد السوس الأدنى وتقدمنا إلى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الأقصى وأم مدنها فأقاما بها أياماً فسالهم جدد ادريس بها مراده فخرج مع مولاه راشد حتى انتهى إلى مدينة ويلي قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل يقال إنها السماء اليوم بقصر فرعون فقتل بها ادريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوربي فأقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ في إكرامه وبره فعرفه ادريس بنفسه وأفضى إليه بسرّه فوافق على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول ادريس المغرب ونزوله على ابن عبد الحميد مدينة ويلي غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة

بجويعة الامام ادريس بن عبد الله رضى الله عنه

لما استقر ادريس بن عبد الله بمدينة ويلي عند كبيرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب ادريس وقرباته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرّر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه فقالوا الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجوارحه وهو سيدنا ونحن العبيد فآثر يد مناقال تبايعونه قالوا ما مننا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينة ويلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاعتدائه في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى وأكثرها عدداً وتلتها في نصرة ادريس والقيام بأمره مغيلة وصدينة وهما معان ولدتا من ريت بن ضري ولما بويع ادريس رحمه الله خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس لا تمدن الاعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكاسة وعمارة وكافة البربر بالمغرب الأقصى فبايعوه أيضاً ودخلوا في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به من أخوته سليمان بن عبد الله وتزل بارض زناتة من تلمسان ونواحيها كذا عند ابن خلدون في أخبار الأدارسة والذي عنده في أخبار بني العباس وكذا عند أبي الفداء ان سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخرج رأسه مع رؤس القتل والله أعلم

بغزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الأقصى وفتحها إياها

ثم ان ادريس بن عبد الله رضى الله عنه اتخذ جيشاً كثيراً من وجوه زناتة وأوربة ووصفها جهة وهوارة وغيرهم وخرج غازي بلاد تامساناً ثم زحف إلى بلاد نادا لفتح معاقله وحصونها وكان أكثر أهل هذه البلاد لازوا على دين اليهودية والنصرانية واتمالا لسلامها قليل فأسلم جميعهم على يده وقفل إلى مدينة ويلي مؤيداً منصوراً فدخلها وأخوذ الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة فأقام بها شهر محرم فآخ سنة ثلاث وسبعين ريثما استراح الناس ثم خرج برسم غز ومن كان بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين الجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقي منهم بقية متمكنون في المعقل والجبال والحصون المنيعه

فلما نزل ادريس رجه الله يجاهدهم في حصونهم ويستنزهم من معاقلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعا
وكرها ومن ابي الاسلام منهم اباده قتلا وسبيا وكانت البلاد التي غزاها في هذه المرة حصون فندلاوة
وحصون مدونته وبولولة وقلاع غنياته وبلاد فازر ثم عاد الى مدينة ويلي فدخلها في النصف من جمادى
الآخرة من السنة المذكورة

✽ غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط وفتح مدينة تلمسان ✽

لما قفل ادريس رضى الله عنه من غزو بلاد المغرب الاقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة اقام بوليلي بقية
جمادى الآخرة ونصف رجب التالى لطار يثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو
مدينة تلمسان ومن بهان قبائل مغراوة وبني يفرن فانتهى اليها وتزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد
ابن خرم من ولد صولات المغراوى مستأمنا ومبايعاله فأمنه ادريس وقبل بيعته ودخل مدينة تلمسان
فأمن أهلها ثم آمن سائر زناتة وبني مسجد تلمسان وأتقنه وأمر بجمع مل منبر نصبه فيه وكتب عليه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم
وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة ✽ قال ابن خلدون ✽ واسم ادريس مخطوط في صفحة المنبر
لهذا العهد اه ثم رجع ادريس رجه الله الى مدينة ويلي فدخلها مؤيدا منصورا

✽ وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك ✽

لما حصل لادريس رجه الله ما حصل من التمكن والظهور واتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون
الرشيد العباسى وبلغه ان ادريس قد استقام له أمر المغرب وانه قد استفحل أمره وكثرت جنوده وقد فتح
مدينة تلمسان وبني مسجدها وانه عازم على غزوا فرقية نخاف الرشيد عاقبة ذلك وانه ان لم يتدارك أمره
الآن ربح ما عجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل ادريس خصوصا ومحبة الناس في آل البيت عموما
فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال ان الرجل قد فتح تلمسان وهي باب
افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار وقد همت ان أبعث اليه جيشا ثم فكرت في بعد الشقة
وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحيى الراى يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه برجل داهية يحتال عليه
ويغتاله وتستريح منه فأعجب الرشيد ذلك فوقع اختياره على رجل من موالى المهدي والرشيد واسم
الرجل سليمان بن جريو ويعرف بالشمخ فاحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ووعدته على قتل ادريس الرفعة
والمنزلة العالية عند الرشيد وزوده مالا وطرفا يستعين بها على أمره وأحسبه الرشيد كتابا منه الى واليه على
افريقية ابراهيم بن الاغلب كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه ان الاغلب لم يكن واليا على
افريقية في هذا التاريخ وانما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق فوصل الشمخ الى افرريقية
بكتاب الرشيد فاجازه الى المغرب وقدم الشمخ على ادريس بن عبد الله مظهر التزوع اليه فيمن تزع اليه
من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا الدعوة الطالبية فاختمه ادريس رجه الله
وحلى بعيته وعظمت منزلته لديه وكان الشمخ مملثا من الادب والظرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل
فكان اذا جلس الامام ادريس الى رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشمخ فذكر فضل أهل
البيت وعظيم بركتهم على الامة وقرر ذلك ويحجج لامامة ادريس وانه الامام الحق دون غيره فكان ذلك
يجب ادريس ويقع منه الموقع فاستولى الشمخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل الامعة وكان
راشدا كالثا لادريس ملازمه ايضا فلما ينفر دعه لانه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء
آل البيت يومئذ وكان الشمخ يترصده الغرة من راشد ويتربص الفرصة في ادريس الى ان غاب راشد ذات
يوم في بعض حاجاته فدخل الشمخ على ادريس فجلس بين يديه على العادة وتحدثا مليا ولما لم ير الشمخ
راشدا بالحضرة انتهت الفرصة في ادريس فقيل انه كانت مع الشمخ قارورة من طيب مسموم فآثر جها

وقال لا دريس هذا طيب كنت استعجبته معي وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام اولي به مني وذلك من بعض ما يجب له على ثم وضع القارورة بين يديه فشكره ادريس وتناول القارورة ففحقها واشتم ما فيها فقصع السهم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشى عليه وقام الشماخ المحين كأنه يريد حاجة الانسان فخرج وأتى منزله فركب فرسه عتيقا كان قد أعد له لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق وافتقد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشى عليه لا يتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل ان الشماخ سمه في سنون والسنون بوزن صبور ما يستاك به وكان ادريس يشتكي وجع الاسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في غيب أهده اليه في غير ابانه والله أعلم * ولما اتصل خبر ادريس بولاه راشد أقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحرك شفثيه لا يبين كلاما فاشرف على الموت فجلس عند رأسه مشعرا لا يدرى ما دهاه واستمر ادريس على حاله تلك الى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الاخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر بان الشماخ قد قتل على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلحقه راشد وادى ما لويه عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعض اماكنه وشجحه في رأسه شحجا ونجى الشماخ بجزء الذقن وأعيى فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه ويقال ان الشماخ رى به ذلك يتعداد وهو مقطوع اليد ولما رجع راشد الى منزله أخذ في تجهيز الامام رضى الله عنه وصلى عليه ودفنه بعين رابطة عند باب وليمي لتبرك الناس بتبرته رحمه الله ورضي عنه

﴿أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله﴾

قالوا ان الامام ادريس لما توفي لم يترك ولدا الا جملا من أمة له بربرية اسمها ككزة فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم ان ادريس لم يترك ولدا الا جملا من أمة ككزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكر أحسنارت ربيته حتى اذ بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسك بدعوة آل البيت وتبرك بذيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرت لا نفسم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصلينا وتقتضى بيننا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على انما ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وملكك فمكروهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بامر البربر تلك المدة ولما تمت الجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بابيه ادريس فاخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يميت فسماه راشد ادريس ونشأ الصبي نشأة حسنة الى ان كان من أمره ما نذكره

﴿الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله﴾

كانت ولادة ادريس بن ادريس بن عبد الله يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه وقام بامره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه في الدين والعريسة ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعته على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودرب على ركوب الخيل والرى بالسهم وغير ذلك من مكائيد الحرب فلم يعرض له من العمر مقدار احدى عشرة سنة الا وقد اظلمت عجاجل وترشح للامر واستحق لان يبايع فبايعه البربر وأتوه صفقتهم عن طاعة منهم واخلص ﴿قال ابن خلدون﴾ بايع البربر ادريس الا صغر جلاله رضى يبعثهم فصيلا الى ان شب فبايعوه بجامع مدينة وليمي سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشرة سنة وكان ابراهيم

ابن الاغلب صاحب افريقية قدس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشد امولاه سنة ست
 وثمانين ومائة وجلبوا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ولم يزل عا
 ذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بامرهم وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وفي القرطاس
 ان مقتل راشد كان في السنة التي يبيع فيها ادريس بن ادريس قال وكانت بيعة ادريس يوم الجمعة عر
 ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشد بعشرين يوما وادريس يوم ثمان احسدى عشر
 سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قتل
 راشد يقول ابراهيم بن الاغلب في بعض ما كتب به الى الرشيد يعرفه بنصحه وكال خدمته
 ألم ترني بالكيد أرديت راشد * وانى باخرى لابن ادريس را صد
 تناوله عزي على بعد داره * بمحمومة يحطى بها من يكايده
 ففاه أخوعك بمقتل راشد * وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

يريد باخرى عك محمد بن مقاتل العكي والى افريقية فانه لما حاول ابن الاغلب قتل راشد وتم له ذلك كتب
 العكي الى الرشيد يعلمه انه هو الذى فعل ذلك فكتب صاحب البريد الى الرشيد بحقيقة الامر وان ابن
 الاغلب هو الفاعل لذلك والتمولى له فثبت عند الرشيد كذب العكي وصدق ابن الاغلب فعزل الرشيد
 العكي عن افريقية وولى ابن الاغلب عليها وانما كان قبل ذلك عام الالعكي على بعض كورها هكذا حكى
 صاحب القرطاس هذا الخبر وفيه ان عزل العكي عن افريقية وتولية ابن الاغلب عليها كان في سنة أربع
 وثمانين قبل وفاة راشد بستين أو ارباع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكري والبرنسي ان راشد المبعث
 حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب وان ادريس لما تم له من العمر احدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله
 ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فاخذاه راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع
 الاول من السنة المذكورة فصعد ادريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين
 به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله
 المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته
 الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أيها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذى
 يضاعف فيه للمحسن الاجر وعلى السىء الوزر ونحن والحمد لله على قصد فلاتمدوا الاعناق الى غيرنا فان
 الذى تطالبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته
 فحجب الناس من فصاحته وقوة جاشه على صغر سنه ثم نزل فتسارع الناس الى بيعته وازدحوا عليه
 يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له
 البيعة وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد والله أعلم

وفود العرب على ادريس بن ادريس رجه الله

لما استقام أمر المغرب لادريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت
 عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر ببيعة سنة ثمان وثمانين يصل
 الوفود ويبذل الاموال ويستميل الرؤساء والاقبال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه
 وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملتين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسة ائمة فارس
 من قيس والازد ومدج ويحصب والصدف وغيرهم فسر ادريس بوفاة منهم وأجرل صلتهم وأدنى منزلتهم
 وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم وأنس بقرهم فانه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب
 الازدى المعروف بالمجوم من ضربة ضربها في بعض حروبهم وسمنته على الخرطوم وكان عمير من فرسان
 العرب وسادتها ولا يبيده مصعب ما تثر بافريقية والاندلس ومواقف في غزوالفرنج واستتضى منهم

عاهرين محمد بن سعيد القيسي وكان من أهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنه ما كثيرا وكان قد خرج الى الأندلس برسم الجهاد ثم أجاز الى العدو فقدمها على ادريس فبين وقد عليه من العرب فاستقضاه واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثرت الناس لديه وضافتهم مدينة وليلي وانتهى الى ابن الاغلب ما عليه أمر ادريس من الاستئصال فأرهب عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على ادريس فكان منهم هلول بن عبد الواحد المضيغرى من خاصة ادريس ومن أركان دولته فكانت له ابن الاغلب واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد وانحرف عن ادريس واعتزله في قومه فصالحه ادريس وكتب اليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه وكان فيما كتب به ادريس الى هلول المذكور قوله **أهل لول قد حملت نفسك خطة * تبدلت منها ضلة برشاد**
أضلك ابراهيم مع بعد داره * فأصحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بكبر ابن أغلب * وقدمارعى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا * ومناك ابراهيم شوك قتاد
ثم أحس ادريس من اسحق بن محمد الاوربي بانحراف عنه وموالاة لابن الاغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة وصفاله المغرب وتمكن سلطانه به والله غالب على أمره

﴿بناء مدينة فاس﴾

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس رجع الله وضافتهم مدينة وليلي أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته فاخط بسنده مدينة سماه لي الجوف وشرع في بنائها فبنى بهضامن الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور والدور وحمل ما حول ذلك من الخيام والزرع والقاهها في نهر سبوا فكف ادريس عن البناء واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعين فيهما قد عزم عليه فانهى الى نهر سبوا حيث هي اليوم حجة حولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولاجل الحمة التي هناك والحمة كافي القاموس كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به فمزم ادريس على أن يبني هناك مدينة وشرع في حفر الاساس وعمل الجيار وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبوا ما يأتي به من المدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضرر العظيم للناس فكف عن البناء ورجع الى وليلي ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعين في المدينة التي عزم عليها فسار عمير في جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع والترب والمياه حتى انتهى الى خص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر فتوضأ وصلى الظهر وهو وجماعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى ان ييسر عليه مطلبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود اليهم فنسبت العين اليه من يومئذ ودعيت عين عمير الى الآن وعمير هذا هو جد بني المجرم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في خص سايس حتى انتهى الى العيون التي ينبع منها وادى فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصرا ورأى مياهها تطرد في فسيح من الارض وحول العيون شعرا من شجر الطرفاء والطنخس والعرعار والكخن وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر الى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبوا فأعجبه فاحمد مع مسيل الوادي حتى انتهى الى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فاذا ما بين الجبلين غيضة ممتدة الأشجار مطردة العيون والانهار وفي جانب منها خيام من شعريسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخير وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش وكان بنو يرغش على دين الجوسمية وكان بيت

نارهم بالموضع المعروف بشيوبة وكان البعض منهم على دين اليهودية والبعض على دين النصرانية
 وكان بنو الخير يتزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش يتزلون بعدوة الاندلس وكانوا قداما يفترون عن
 القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديانهم فرجع سيرالى ادريس وأعلمه بما رأى من الغيضة
 وساكتيهما ووقع عليه اختياره فيها فجاء ادريس لينظر الى البقعة فالى بنى الخير وبنى يرغش يقتتلون
 فأصلح بينهم وأسلموا على يده واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفعت لهم الثمن وأشهد
 عليهم بذلك على يد كاتبه أبى الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى ثم ضرب أبنته بكر واره وشرع فى بناء
 المدينة فاخط عدوة الاندلس غرة ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة وفى سنة ثلاث بعدها احتط
 عدوة القرويين وبنى مساكنها وانتقل اليها وقد كان أول أدار السور على عدوة الاندلس وبنى بها
 الجامع المعروف بجامع الاشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل نائبا الى عدوة القرويين كما قلنا وتزل
 بالموضع المعروف بالقرمدة وضرب فيه قيطونه وأخذ فى بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا
 ثم شرع فى بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنى
 القيسارية الى جانب المسجد الجامع وأدار الاسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعا
 أو اغترسه قبل تمام السور فهو له قبضى الناس من ذلك شيئا كثيرا واغترسوا ودفعت عليه جماعة من الفرس
 من أرض العراق فاتزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة اليوم بعين علون وكان علون عبد الأسود
 يأوى الى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحامى الناس غيضته وتناذروها فأعلم ادريس
 رجه الله بشأنه فبعث فى طلبه خيالا قبضوا عليه و جاؤا به اليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على
 العين فأضيفت اليه العين من يومئذ وقيل عين علون ثم أدار ادريس السور على عدوة القرويين وكانت
 من لدن باب السلسلة الى غدير الجوزاء قال عبد الملك الوراق كانت مدينة فاس فى القديم بلدين لكل
 بلد منهما سور يحيط به وأبواب تحتص به والنهر فاصل بينهما ماوسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين
 لتزول العرب الواقدين من القبروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الاخرى عدوة الاندلس
 لتزول العرب الواقدين من الاندلس بها وكانوا جماعة فقيل لاهل بيت وكان الحكم بن
 هشام الاموى صاحب الاندلس صدرت منه لاقول امارته هبات أوجبت قيام جماعة من أهل الوريح
 عليه وكان فيهم يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فخلعوا
 الحكم وباعوا بعض قرابته وكانوا بارض الغربى من قرطبة فقالتهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه
 ثم أظفروه اللهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفر الباقون منهم فملقوا
 بفاس المغرب الاقصى وبلاسكندرية من أرض مصر فأما الللاحقون بفاس فاتزلهم ادريس رجه الله
 بعدوة الاندلس فأضيفت اليهم وأما الللاحقون بلاسكندرية فثاروايم ابعدين فرحف اليهم عبد الله
 ابن طاهر الخزاعى صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقالتهم ونفاهم الى جزيرة اقر بطش فلم
 يزالوا الى ان ملكها الفرغ من أيديهم بعد مدة ووذكر ابن غالب فى تاريخه بان الامام ادريس لما
 فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه فى آخر الخطبة
 فقال اللهم انك تعلم انى ما أردت بيناء هذه المدينة مباحة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وانما
 أردت أن تعبدىها ويطلبى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه
 وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعظم عليه وأكفهم مؤنة أعدائهم وادرر عليهم
 الارزاق وانعم عليهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شى قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت
 الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات وومن محاسن فاس ان نهرها يشقها بنصفين وتتشعب جدا وله
 فى دورها وجامعاتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها وقد جعل أقدارها وأزبالها

الى غير ذلك من عيون الماء التي تتبع بداخلها وتتبع من بيوتها تجاوز الحصر كثيرة وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل ابن النحوي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق * وسا كنوك ليهنم بمارزقوا
هذانسيمك أم روح راحتنا * وماؤك السلسل الصافي أم الورق
أرض تغلها الانهار داخلها * حتى المجالس والاسواق والطرق
وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله المغيلي يتشوق الى فاس وكان يلي خطة القضاء بمدينة آز مور
يا فاس حيا الله أرضك من ترى * وسعة الك من صوب الغمام المسبل
يا حنة الدنيا التي أربت على * حص عنظرها الهبي الاجبل
غرف على غرف ويجري تحتها * ماء أذمن الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قدزخرقت * بجداول كالإيم أو كالمصبل
وبجامع القروين شرف ذكره * أنس بذكراه بهيج تامل
وبمخنة زمن المصيف محاسن * فغ العشي الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الحصة الحسنة * واكرعهم اعني فديتك وانهل

✽ غزو ادريس بن ادريس المغربي واستيلاؤه عليهما ✽

لما فرغ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها ساجدة واستوطنها بحاشيته وأر باب دولته واتخذها دار ملكه أقامهم الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج غازيا ببلاد المصامدة فأنتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اعجمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فأقامهم الى سنة تسع وتسعين ومائة فخرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بق هناك على دين الخارجية من البربر فسارت حتى غاب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرا ✽ قال أبو عمرو وان عبد الملك الوراق ✽ دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك مکتوب يا فيه هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة اه وقد تقدم لنا ما يخالف هذا والله أعلم وأقام ادريس بمدينة تلمسان وأحوالها يدبر أمرها ويصلح أحوالها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس ✽ قال داود بن القاسم الاوربي ✽ شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمع انزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال قال فقلناهم قتالنا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ويكر في هذا الجانب الاخر مرة ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار ثم رجع الى رأيته فوق بابائهم والناس يعاتلون بين يديه فطقت أنامله وأديم النظر اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فأعجبني ما رأيت من ثباته وقوة جاشه فالتفت نحوى وقال يا داود مالي أراك تديم النظر الى قلت أيج الامام انه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم في غيرك قال وما هي قلت أولاهما أراه من ثبات قلبك وطلاقة وجهك عند لقاء العدو قال ذلك ببركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وورائه من أين اعلى بن أبي طالب قلت وأراك تبصق بصا فاجت معا وأنا اطلب قليل الريق في في فلا أجد له قال يا داود ذلك لقوة جاشي واجتماع لي عند الحرب وعدم ريقك لطيش عقلك واقتراق لبك قلت وأنا أيضا أتعب من كثرة تقلبك في سربك وقله قرارك عليه قال ذلك مني رجع الى القتال وصرامة فيه فلا تظن رعبا وأنشأ يقول

أليس أبونا هاشم شذأزه * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلست اخل الحرب حتى تملنا * ولا نتشكى ما يؤول من النصب

﴿ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ انتظمت لادريس بن ادريس كلمة البربر وزيانة ومحى دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالكائد واسه تفساد الاواياء حتى قتله لوارا شدد امولاه وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وعجز الاغلبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة ودافعوا خلفه بنى العباس بالماذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واستمر بدار ملكه من فاس ساكنا وادعاه مقمدا اريكته مجتمعا ثم رته الى ان توفاه الله تاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منه ﴿ وقال البرنسي ﴾ انه توفي بمدينة وليلى ودفن الى جنب ابيه وكان سبب وفاته انه اكل عنبا فشرق بجمبة منه فمات لطينه وخلف من الولد اثني عشر ذكرا اولهم محمد وعبد الله وعيسى وادريس وأحمد وجمفر ويحيى والقاسم وعمر وعلي وداود وجزرة كذا في القرطاس وزاد ابن خزم الحसन والحسين وولي الامر منهم بعده محمد وهو اكبرهم

﴿ الخبر عن دولة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

لما توفي ادريس بن ادريس رحمه الله قام بالامر بعده ابنه محمد بعده منه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين اخوته وذلك باشارة جدته كثره أم ادريس فاخص القاسم منها بطخعة وستة وقصر مصمودة وقنعة حجر النسر وتطوان وما انضم الى ذلك من القبائل والبلاد واخص عمر منها بتيكساس وترعة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واخص داود ببلاد هوارة وتسول ونازا وما بين ذلك من قبائل مكاسة وغيانة واخص يحيى باصيلا والعرايش والبصرة وبلاد ورغة وما الى ذلك واخص عيسى بسلا وشالة وآزمور وتامسنا وما انضم الى ذلك من القبائل واخص جزرة بمدينة وليلى وأعمالها واخص أحمد بمدينة مكاسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فزاز واخص عبد الله باغمات وبلد نفيس وجبال المسامدة وبلاد مطه والسوس الاقصى وأبقى الآخري في كفالته وكفالة جدتهم كثره لصغرهم وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبد الله فان ادريس بن ادريس لما غزا تلمسان وأقام بها ثلاث سنين كما سبق ودوخ بلاد زانة واسه توسقت له طاعتهم عقد عليها بنى عمه سليمان بن عبد الله فلما توفي ادريس واقتسم بنوه أعمال المغرب كانت تلمسان في سهم عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستمرت بايديهم الى ان تلاشى أمرهم بدخول العبيديين عليهم قاله ابن خلدون وأقام محمد بن ادريس بدار ملكه من فاس مقمدا اريكته واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأتموا سبلها وحسنت سيرتهم في ذلك الى ان كان ما ذكره

﴿ حدوث الفتنة بين بني ادريس ﴾

ثم خرج على محمد بن ادريس أخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور ونبذ طاعته وطلب الامر لنفسه فكتب محمد الى أخيه القاسم صاحب طخعة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك فكتب محمد الى أخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فامتنع من ذلك واخص الى عيسى في قبائل البربر وأمه محمد بألف فارس من زيانة فأوقع عمر به عيسى وهزموه وطرده عن عمله وكتب الى الامير محمد بد بالفتح فذكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالسير الى قتال القاسم الذي عصى أمره أولا

فرحف عمر الى القاسم وتزل عليه بظاهر طنجة نخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على ما بيده من البلاد فصار الى بق البصرى كله في عمل عمر من تكديس اسوار بلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الى وى ثم ينطف الى اصيلا والعرايش ثم الى سلا ثم آزمور وبلاد تامسانا وهذا ساحل البحر المحيط وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجدا بساحل البحر قرب اصيلا بموضع يعرف بتاهارت على ضفة النهر هناك وأعرض عن الدنيا وأقام بعبد الله الى ان مات رجه الله واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طوبته لآخيه محمد الامير الى ان توفى عمر بموضع يعرف بنفج الفرس من بلاد صنهاجة في دولة آخيه محمد سنة عشرين ومائتين فحمل الى فاس ووصل الى عليه الامير محمد ودفن مع آبيه وعمر هذا هو جد الاشراف الموحدين المسالكين للاندلس بعد نبى أمية وعقد الامير محمد على عمه لولده على بن عمر الى ان كان من امره ما ذكره وأما عيسى فيقال انه توفى بآيت عتاب وله بها ذرية والله أعلم

وفاة محمد بن ادريس رحمه الله

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة آخيه عمر سبعة أشهر وتوفى بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين ودفن بشرقي جامعها مع آبيه وأخيه بعد ان عهد بالامر لابنه على بن محمد المعروف بمجيدرة على ماسياتي

الخبر عن دولة على بن محمد بن ادريس

لما توفى محمد بن ادريس بايع الناس لابنه على بن محمد بعد منه اليه وبلقب على هذا بمجيدرة على لقب على ابن أبي طاب برضى الله عنه وهو جد الاشراف العلميين أهل جبل العلم ومنهم المشيشيون أولادهم ولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه والوازاميون أولادهم ولانا عبد الله الشريف وينتهى نسب هؤلاء الى المولى علي بن مشيش أخى المولى عبد السلام بن مشيش وكان سنن على حيدرة يوم بيع تمسح سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالته وطاعته وكانت أيامه خيرا أيام وقال ابن ازرع ظهر لعلى هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة آبيه وجدته في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة الى ان توفى في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالامر لآخيه يحيى بن محمد على ماسياتي

الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس

وقال ابن خلدون قام يحيى بن محمد بن ادريس بالامر وامتد سلطاناه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران فاس وبنيت بها الحمامات والفسادق للتجار وبنيت خارجها الارياض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية وقال ابن ازرع قصد اليها الناس من الاندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب

بناء مسجد القرويين بفاس

وقال ابن ازرع كان موضع مسجد القرويين أرضا يضاء لرجل من هوارة كان والده قد حازها أيام بناء فاس ولما قدم وفد القيروان على ادريس الاصغر حسبما تقدم كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهرى وتكنى أم البنين فنزلت في أهل بيته بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها

واخوتها فاورثت منهم ما لاجسيميا وكان من حلال فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت لها نية
 صالحة فعمرت على بناء مسجد تجدوا به عند الله فاشترت البقعة من ربها وشرعت في حفر أساس المسجد
 وبناء جدرانها وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكثبان
 وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنها التزمت أن تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة
 دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فخفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد
 والحجر الكثبان وتبني به وأنبتت بها بئر يستقي منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله تحريا منها
 أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى
 قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صامخة من يوم شرع في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت
 مساحة المسجد يوم بني أربع بلاطات ومخناص غيرا وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت
 طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرا و بنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التي على
 رأس العترة اليوم واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت دولة الأدارسة وجاءت دولة ترنانة من
 بعدهم وأداروا السور على العدو وبين معا القرويين والاندلس وزادوا في مسجدهم ما زيادة كثيرة
 فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الاندلس
 وذلك صدر المائة الرابعة ثم لما استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس على فاس وبلاد
 العدو استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفرني فاستأذن الناصر في
 اصلاح مسجد القرويين وزيادة فيه فآذنه وبعث إليه جمال من خمس الغنائم فزاد فيه زيادة بينة
 وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة الموجودة الآن وكتب على بابها في مربعة بالخص
 واللازور وهذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله وفقه ابتغاه ثواب الله وجزيل احسانه وابتدأ
 العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وفتح من بنائها في
 شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعلا المنارة سيف الامام ادريس بن
 ادريس تبركبه وذلك ان بعض حفدة ادريس رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن
 يحوزه لنفسه فقال لهم الامير أحمد بن أبي بكر هل لكم ان تبيعوني هذا السيف قالوا وما
 تصنع به قال أجهله في أعلى المنارة فقالوا اما أذرت هذا فنحن نهبه لك مجانا فوهبه له فركبه في أعلى
 المنارة وكانت مبنية من الحجر المنجور وفيها نقب يعشش فيها الطير من الحمام والزرزور وغيرها ويتأذى
 المسجد والنامس بها واستمر الحال على ذلك إلى ان كانت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أيام السلطان يوسف
 ابن يعقوب بن عبد الحق المريني فاستأذن القاضي أبو عبد الله ابن أبي المصبر السلطان يوسف المذكور
 في تلييس المنارة وتبييضها فآذنه فلبسها وبيضها ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ~~وقال~~
 ابن خلدون ثم أوسع في خطة المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس وأعد له السقاية
 والسلسلة بباب الحفاه ثم أوسع في خطته على بن يوسف اللنوني ثم ملوك الموحد بن وبني مرين واستمرت
 العمارة به وانصرفت همهم إلى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسب ما هو
 مذکور في تواريخ المغرب اه وفي أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين
 قام رجل مؤذن بناحية تلسان يدعى النبوة وتناول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الغفوة
 وكان من بعض شرائه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار وتنظيف الابطين والاستحذاء وأخذ الزينة
 ويقول لانبيير نطق الله فامر أمير تلسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسي هنسين إلى
 الاندلس فشاغها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث إليه ملك الاندلس فاستتابه
 فلم يتب فقته وصلبه وهو يقول أقتلون رجلا ان يقول ربي الله

الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس

لما توفي يحيى بن محمد الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الامر من بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس فأساء السيرة وكثر عيتمته في الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكار وثابت العامة عليه وتولى كبر ذلك عهد الرجن بن أبي سهل الجذامي وكانت زوجته يحيى المذكور وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل أشارت عليه بالاختفاء بعد وفاة اندلس ريثما تسكن الفتنة فتوارى بها فمات من ايلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار واستولى عبد الرحمن بن أبي سهل على فاس وقام بامرها فكتب عاتكة بنت علي الى أميها تامله بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمعهم في بيته وجاء الى فاس فاستولى عليه وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعده هذا تارة يكون في عقب عمر بن ادريس صاحب الريف وتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد على ما ذكره

الخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس

لما دخل علي بن عمر مدينة فاس واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطبه على جميع منابر المغرب واستقام له الامر الى ان ثار عليه عبد الرزاق الفهري وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بلد بالاندلس فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها فبجعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيثانة وغيرهم فبني قلعة منسعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده قال ابن أبي زرع وهو باقية بتلك الناحية حتى الآن ثم زحف الى قرية صغرى ونفذ خلفها وبايعه كافة البربر الصغرى فزحف بهم الى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كل الظفر في آخرها لعبد الرزاق فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه الى بلاد اوربة فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع منه أهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما ذكره

الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس

لما فرغ علي بن عمر عن فاس واستولى عبد الرزاق الصغرى على عدوة الاندلس بعث أهل فاس الى يحيى بن القاسم بن ادريس ويعرف يحيى هذا بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ويحيى العوام هذا هو جد الاشراف الجوطيين بفاس فانهم أولاد يحيى الجوطي ابن محمد بن يحيى العوام وانما قيل له الجوطي نسبة الى جوطه بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على نهر سبوا بالعدوة الجنوبية منه نزلها يحيى ابن محمد فنسب اليها وقبره معروف بها الى الآن ولما استقل يحيى بن القاسم بالامر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجته من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل الاندلس الرضيين ورض قرطبة واستعمل يحيى بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو رضى أيضا فلم يزل واليا على عدوة الاندلس الى ان توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله ابن ثعلبة المعروف بعمود الى ان توفي أيضا فاستعمل الامير يحيى مكانه ولده محارب بن عمود بن ثعلبة وخرج الامير يحيى بن القاسم الى قتال الصغرية فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل أميرا على

فاس وأعمالها الى ان اغتاله الربيعة بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت في أيام هؤلاء الامراء
 أحداث نذكرها في سنة ثلاث وخسين ومائتين كان بلاد العدو والاندلس قحط شديد نصبت
 منه المياه واستمر الى سنة ستين وفي سنة أربع وخسين كسف القوم مركبه من أول الليل حتى أصبح
 ولم ينجل وفي سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الاندلس والمغرب وافريقية ومصر
 والحجاز حتى رحل الناس عن مكة الى الشام ولم يبق بها الا نفر يسير مع سدة الكعبة ثم كان بالمغرب
 والاندلس وباعظم مع غلاء في الاسعار وعدمت الاقوات فهلك خلق كثير وفي سنة ست وستين
 ومائتين كانت بالسماء جرة شديدة من أول الليل الى آخره لم يعدها قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع
 بقين من صفر من السنة المذكورة وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من
 شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلتها قدمت منها العصور وانحطت منها الصخور من الجبال وفرت
 الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الارض وتساقطت السقوف والبيوتان وفرت الطيور
 عن أوكارها وماجت في السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الاندلس سهاها
 وجبالها وجميع بلاد العدو من تلمسان الى طنجة ومن البحر الى اقصى المغرب الاثم الممت فيها
 أحد لطفان الله تعالى بخلقهم وفي سنة ست وسبعين ومائتين طبقت القننة جميع آفاق الاندلس
 والمغرب وافريقية وفي سنة خمس وعشرين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي عمّت جميع بلاد
 الاندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه
 من الخلق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا
 يدفنون من غير غسل ولا صلاة والامر لله وحده

الخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس

لما قتل يحيى العوام في التاريخ المتقدم في الامر من بعده يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس فبايحه
 هل عدوني فاس وخطب له بمواؤمته ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان
 يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسي أعلاهم قدورا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزرهم
 فضلا وأوسعهم ملكا وكان فقيها حافظا الحديث ذا فصاحة وبيان بطال شجاعا حازما ذا اصلاح ودين
 وورع قال ابن خلدون لم يبلغ أحد من الادارسة مباغته في الدولة والسلطان الى ان طماعا على ملكه
 عباب العبيدين القاطنين بافريقية فاغرقه

استيلاء العبيدين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدم قائدهم مصالة بن حبوس الى فاس

قد قدمنا عند ذكر ولاية المغرب ان ابراهيم بن الاغلب كان آخرهم وانه أورت بافريقية ملكا لبنينه فاستمرت
 دولتهم الى أواخر المائة الثالثة وانقرضت على يد أبي عبد الله المحتسب داعية العبيدين من الشيعة فان
 المحتسب حج في بعض السنين واجتمع بكنة بمحاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ووعدهم بظهور
 المهدي من آل البيت على يدهم ويكون لهم به الملك والسلطان فتبعوه على رأيه وصحبهم الى بلادهم ورأس
 فيهم رياسة دينية وقررت لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتسكروا به ثم باعوا مولا عبيد الله المهدي أول
 خلفاء العبيدين فاستولى على افريقية في خبر طويل ثم سمعتمته الى عمك المغرب الاقصى فاغراه قائده
 مصالة بن حبوس المكاسي صاحب تاهرت والمغرب الاوسط فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة
 خمس وثلاثمائة وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمداقته في جوع العرب والبربر والموالي
 والتقوا بقرب مكاسة فانزمت يحيى وعاد مفاولا الى فاس ثم تقدم مصالة الى فاس وحاصرها الى ان صالحه

يحيى على مال يوديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانفذ بيعة
الى المهدي وأبقى عليه مصالة في سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية
المكاسي على ماسوي ذلك من بلاد المغرب وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد تازاو وكان كبير مكاسة
بالمغرب الأقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقتل معه في
جميع حروب المغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاسا وعمالها فانه تركها لأمير
يحيى كما قلنا وصار المغرب الأقصى في ملكه العبيدين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فكان موسى
ابن أبي العافية بعد ذهاب مصالة كلها أراد الظهور بالمغرب والاستبداد به فخره يحيى بن ادريس بحسبه
ونسبه وفضله ودينه فقطع به كلها كان يريد فاس فقام على قلب موسى منه جل ثقيل فلما قدم مصالة المغرب
في كرتة الثانية وذلك سنة تسع وثلاثمائة سعى موسى بن أبي العافية عنده يحيى بن ادريس حتى أوغر
صدره عليه فلما قرب مصالة من فاس خرج اليه يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته
فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقا على جمل ثم عذب
بأنواع العذاب حتى استصفي أمواله وذخائره ثم نفاه الى نواحي أصيلا وقد ساءت حاله وانقض جمعه فاقام
عند بني عمه ببلاد الريف مدة فاعطوه مالا ووصاوه بما يقيم به أوده ويسمعه ين به على أمره فلم يرض ذلك
وارتحل عنهم يريد افرريقية فعرض له موسى بن أبي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة آلكاي
قريبا من عشرين سنة ثم أطلقه بعد ذلك قالوا وكان أبوه ادريس بن عمر قد دعا عليه أن يعينه الله جائعا
غريبا فاستجيب له فيه فخرج يحيى من سجن ابن أبي العافية الى افرريقية وهو في فقر وذلة فبلغ سوء الحال
منه كل مبلغ فوصل الى المهديته على تلك الحال فوافقها فقتله يحيى بن محمد بن كيداد اليفريزي وحصاره
ايها فاجتباها فاعمرها سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة رحمه الله

بعود المغرب الأقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس

لما قبض مصالة على يحيى بن ادريس واستصفي أمواله كما قلنا استعمل على فاس ربحان السكاسي وعاد الى
القيروان فاقام ربحان عاملا على فاس وأحوارها نحو ثلاثة أشهر ونار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن
ادريس المعروف بالحجام وعرف بذلك لانه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن ادريس حرب فحمل
الحسن على فاس من أصحاب عمه فطعن في موضع المحاجم ثم فعل ذلك بشان وثالث لا يطعنهم الا في موضع
المحاجم فقال عمه أحمد ان ابن أخي الحجام فازمه ذلك اللقب وفي ذلك يقول بعضهم

وسميت حجاما ولست بحاجم * ولكن لطن في مكان المحاجم

وكانت ثورة الحجام على ربحان سنة عشر وثلاثمائة أتى الى فاس في جمع من شيعته وأزواره وكان مقدما
شجاعا فدخلها على حين غفلة من أهلها فاستولى عليها وقتل ربحان وقبيل نفاه عنها واجتمع الناس على
بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب وملك عدة مدن من مثل مدينة لوانة وصفرون ومدين
ومدائن مكاسة والبصرة واستقام له الامر بالمغرب الى ان كان منه مع موسى بن أبي العافية ما ذكره

بمخروج الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي العافية

بوقال في القرطاس في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة خرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي
العافية فالتقى معه بمخص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازاو فوقع الحجام بابن أبي
العافية وقعة عظيمة لم يقع في دولة الادارسة مثلها قتل فيها من عسكر ابن أبي العافية نحو ألفين وثلاثمائة
من جلتهم ابنه مهال بن موسى بن أبي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو السبع مائة ثم كانت العافية
لموسى على الحجام فانقض عسكر الحجام وعاد مغلولا الى فاس فقبض الحجام ودخل فاس وحده وترك عسكره
خارج المدينة فتدبره عامله عليها حامد بن حمدان الهمداني ويقال الاوربي من قري افرريقية دخل عليه

لميل في داره فقتله وأخذته اليه وأغلق المدينة في وجه الجند وطير الى موسى بن أبي العافية يستدعيه الى فاس وكان ما نذكره

✽ الخبر عن دولة آل أبي العافية المكاسبين الناصحة لدولة آل ادريس بفاس وأعمالها ✽

كان موسى بن أبي العافية متمسكاً في هذه المدة بدعوة العبيديين من الشيعة فلما قبض حامد بن جردان على الحسن الخجامة واستدعى ابن أبي العافية بادر نحوه فدخل عدوة القرويين واستولى عليها ثم قاتل أهل عدوة الاندلس حتى ملكها فلما ملك المدينتين معاطالب حامد بن جردان باحضار الحسن الخجامة وقال أقتله بولدي منهل وكان حامد قد ندم على فعلته تلك فدافع موسى وسوقه وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت ولما حجت الليل خالف حامد الى الحسن ففك عنه قيده وأرسله فقتل الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه فتصامل حتى انتهى الى عدوة الاندلس فاخفى بها الى ان مات لمضي ثلاث من سقطته رحمه الله وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وأراد ابن أبي العافية قتل حامد بن جردان لعدم كينته اياه من الخجامة ففر الى المهديّة وكانت دولة الحسن الخجامة بفاس نحو سنتين وانقرضت دولة آل ادريس من فاس وأعمالها وتداول المغرب الاقصى العبيديون أصحاب افرقيقة والمر وايون أصحاب الاندلس مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء وتجدت للدارسة دولة أخرى ببلاد اريف نذ كرها عن قريب ان شاء الله وصفت فاس وأعمالها لابن أبي العافية وملك معها كثيراً من أعمال المغرب وبابيعته القبائل والأشياخ وهو في ذلك كله متمسك بدعوة الشيعة كما قلنا فكان كالنائب عنهم بالمغرب والله غالب على أمره

✽ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر الزنسر ✽

لما استولى موسى بن أبي العافية على فاس والمغرب شعر اطرد الادارسة عنه فاخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم من شالة وأصيلا وغيرهما من البلاد التي كانت في أيديهم ولجؤا بجمعهم الى قلعة حجر الزنسر مغلوبين على ملكهم مطرودين عن دار عزهم التي أسسها سلفهم وكانت قلعة حجر الزنسر حصنا منيعا بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس شامخا في عنان السحاب فنزل عليهم موسى بن أبي العافية وشد عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع ديارهم فعذله على ذلك أكار دولته وقالوا له أتريد أن تقطع ديار أهل البيت من المغرب وتخليه منهم هذا شي لا نوافقك عليه ولا نتركك له فاستحيى عند ذلك وارتحل عنهم الى فاس وخلف على حصارهم قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس بينهم من التصرف وكان ذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة

✽ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان وأعمالها ✽

لما ارتحل موسى بن أبي العافية عن حجر الزنسر سار الى فاس فاقام بها أياما وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الأزدي وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله وولى مكانه طول بن أبي يزيد فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبي العافية واستعمل موسى على المغرب الاقصى ولده مدين بن موسى بن أبي العافية وأنزله بعدوة القرويين ثم نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فلما كها وأعمالها وكانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الأكبر وفر الحسن الى مدينة مائلة من جزائر ماوية وبني هناك حصنا وتحصن به ثم زحف ابن أبي العافية الى مدينة نكور فلما كها أيضا وحاصر الحسن في حصنه مدة ثم عقده سلا على حصنه وكان ذلك في شعبان سنة عشرين وثلاثمائة ثم عاد الى فاس وقد دقخ البلاد والاقطار وانتظم المغربان الاقصى والاوسط في ملكه

﴿ انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان ومانشأ عن ذلك ﴾

كان عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس قد سمي له أمل في التملك على المغرب الاقصى لما بلغه من تراجع امر بني ادريس به واشراف دولتهم على الحرم فلك سبته من يديني عصام القاعين بما بالدعوة الادريسية ولما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب خاطبه الناصر في القيام بدعوته ووعده الجليل على ذلك وأتاه من بين يديه ومن خلفه حتى أجابه الى مراده ونقض طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فأتصل الخبر بعبيد الله المهدي صاحب افريقية فسرّح اليه قائده حميد بن بصليت المكاسي صاحب تاهرت في عشرة آلاف فارس وهو ابن أخي مصالة بن حبوس المتقدم الذكر فالتقى حميد وموسى بن فخص مسون فكانت بينهم حرب سجال ثم ان حميد ايدت موسى ليلة فضرب في عسكره فانهمز موسى وأصحابه ومضى الى عين اسحاق من بلاد تسول فمحصن بها وتقدم حميد الى فاس فلما اشار فها فرغها من مدين بن موسى ولحق بابيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان الحمداني وكان في جلاته ثم عاد الى افريقية وقد قضى أربه من المغرب وكان ذلك سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ولما اتصل ببني ادريس المحصورين بجبل النسر خبرهم موسى بن أبي العافية وفرأ ابنه عن فاس وولاية حامد بن حمدان عليها قويت نفوسهم وتظاهروا على أبي الفخ التسولي فنزلوا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى الفضاء بعد ان حصارهم بالقلعة المذكورة أربع سنين

﴿ ثورة أحمد بن بكر الجذامي بدعوة مروان بن بفس ومانشأ عن ذلك ﴾

وأقام حامد بن حمدان والباعلي فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقتل حامد بن حمدان وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبي العافية فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة واستولى على المغرب وعادت الدعوة به الى بني مروان ولما اتصل الخبر بصاحب افريقية أبي القاسم بن عبيد الله المهدي المتولي بعد أبيه سرّح قائده ميسور الخصى الى المغرب فقدمه ميسور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وخام ابن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحسن آل الكاي وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها أياما الى ان خرج اليه أحمد بن بكر مبايعا وقدم بين يديه هدية نفيسة ومال جليلا فقبض ميسور الهدية والمال ثم قبض على أحمد بن بكر وقيده وبعث به الى المهديية ولما نذر أهل فاس بغيره امتنعوا عليه وأغلقوا أبوابهم ودونه وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصروهم ميسور سبعة أشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا في السلم فصالهم على ان اعطوه ستمائة آلاف دينار وأنطا عا ولبدو اوقر بالمال وأثاما وكتبوا يبيعهم الى أبي القاسم الشيعي وكتبوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم فقبل ميسور ذلك منهم وأقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي وار تحل عنهم واستمر حسن عاملا على فاس الى ان قدم أحمد بن بكر من المهديية مطلقا مكرما فتحلى له عن ما كان بيده وذلك في سنة احدى وأربعين وثلاثمائة فكانت ولاية حسن بن القاسم على فاس ثمان عشرة سنة قاله في القرطاس ﴿ وقال ابن خلدون ﴾ ان أحمد بن بكر الجذامي قدم من افريقية سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فسار الى فاس وأقام بها متمكرا الى ان وب بعاملها حسن بن قاسم اللواتي فتحلى له عن العمل والله أعلم

﴿ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية ﴾

لما صالح ميسور أهل فاس نهض الى حرب ابن أبي العافية فدارت بينهم حرب وكان الظهور في آخرها لميسور وأسر البوري بن موسى بن أبي العافية وغرّبه الى المهديية وطرده موسى عن أعمال المغرب الى نواحي ملبوية ووطاط وماوراءهما من بلاد الصحراء ثم قفل القير وان ﴿ وقال ابن أبي زرع في كتاب

القرطاس بن أبي ادريس نولوا معظم الحروب التي دارت بين ميسور وابن أبي العافية وانهم قاتلوا ابن أبي العافية حتى فرأما هم إلى الصحراء قال وتلك الأديرة أكثر ما كان بيد ابن أبي العافية فأعين بدعوة الشيعة فلم يزل ابن أبي العافية شريدا في الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده وذلك من مدينة آكر سيف إلى مدينة نكورا إلى أن قتل بعض بلاد ملوية وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وقيل أنه قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قاله البرنسي اه كلام ابن أبي زرع ﴿وقال ابن خلدون﴾ ان موسى ابن أبي العافية رجع من الصحراء إلى أعماله بالمغرب فلما كان في طريقه إلى عدوة الأندلس أبو يوسف بن محارب الأزدي قال وهو الذي مدن عدوة الأندلس وكانت حصونا ثم زحف إلى تلمسان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فاستولى عليها قال واستعمل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الأقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزومك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط وبنو دعوة الأموية في أعمالها والله أعلم

﴿بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب﴾

قال ابن أبي زرع لما هلك موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه إبراهيم إلى أن توفي سنة خمس وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبد الله ويقال عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية إلى أن توفي سنة ستين وثلاثمائة فولى عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقضت دولة آل أبي العافية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (وذكر بعض المؤرخين لا يأمهم) انه لما توفي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للثورة فكانت بينه وبينهم حروب إلى أن غلب عليه يوسف بن ناشف فقتله واستأصل شافة ذرية موسى بن أبي العافية بالمغرب وكانت دولتهم مائة وأربعين سنة من سنة خمس وثلاثمائة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة اه ولكن دولتهم بفاس انتهت إلى قدم ميسور الخصي كما هو وبقية رياستهم بالأطراف إلى دولة الممنونين والله أعلم وكان في هذه المدة من الأحداث ما نذكره ﴿وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين ومائتين كسفت الشمس كسوفاً كلياً وكان ذلك بعد صلاة العصر فغاب القرص كله وظهرت النجوم وأذن أكثر الناس بالمساجد للمغرب ثم تجلت مضئنة بعد ذلك ومكنت مقدار ثلث ساعة ثم غربت ﴿وفي سنة ثلاث وثلاثمائة﴾ كان بافريقية والمغرب والأندلس فتن كثيرة ومجاعة عظيمة أشبهت مجاعة سنة ستين ومائتين ثم وقع الموت في الناس حتى هجزوا عن دفن موتاهم ﴿وفي سنة خمس وثلاثمائة﴾ أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق تاهرت قاعدة زناتة وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكاسة من بلاد جوف الأندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار ﴿وفي سنة سبع وثلاثمائة﴾ كان بافريقية والمغرب والأندلس رخاء مفروط وطاعون ووباء كثير وفيها كانت الريح السوداء الشديدة الهبوب التي قلعت الأشجار وهدمت الدور بفاس فتاب الناس ولزموا المساجد وارتدوا عن كثير من الفواحش ﴿وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة﴾ ظهر حاميم المتنبئ بجبال غمارة ﴿وقال ابن خلدون﴾ كانت غمارة غريقة في الجهالة والبعث عن الشرائع بسبب البداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتبأ فيهم من قبيلة يقال لها محكسة حاميم بن من الله يكنى أبا محمد ويكنى أبوه من الله أبا يخلف وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان واجتمع إليه كثير من غمارة وأقربا وبنوته وشرع لهم شرائع وعبادات وضح لهم قرآنا كان يتلوهم عليهم بلسانه فمات لهم صلاتان في كل يوم واحدة عند طلوع الشمس والأخرى عند غروبها ثلاث ركعات في كل صلاة ويهجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ومن قرأهم الذي كانوا يقرؤنه بعد تليلهم باللون به بلسانهم خفي من الذنوب يامن خفي النظر ينظر في الدنيا أخرجني من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر ثم يقول في ركوعه آمنت بحاميم وبأبيه أبي يخلف من الله وآمن رأسي وعقلي وما يكنه صدرى وما أحاط به دى ولى وآمنت بتالية حمسة حاميم

أخت أبي يخلف من الله ثم بسجد وكانت نالية هذه امرأة كاهنة ساحرة وكان حاميم يلقب المغفري
 وكانت أخته دوا كاهنة ساحرة أيضا وكانوا يسمنغوثون بها في الحروب والقحوط وفرض عليهم صوم
 الاثنين وصوم الخميس الى الظهر وصوم الجمعة وصوم عشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ومن
 أفطر في يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثور ومن أفطر في يوم الاثنين فكفارته أن
 يتصدق بثورين وفرض عليهم في الزكاة العشر من كل شيء وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من
 الجنابة وأحل لهم أكل الاتي من الخنزير وقال انما حرم قرآن محمد الخنزير الذكروا أمر أن لا يؤكل
 الحوت الا بذكاة وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان فبعث اليه عبد الرحمن الناصر
 صاحب الاندلس عسكرا فالتقوا بقصر مضمومة من أحواز طنجة فقتلوه وقتلوا أتباعه وصلبوا شاوله
 بالقصر المذكور وبعثوا برأسه الى الناصر بقرطبة ورجع من بقي من أتباعه الى الاسلام وذلك سنة
 خمس عشرة وثلاثمائة **﴿** قال ابن خلدون **﴾** وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل في غارة
﴿ وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة **﴾** ظهر ببلاد المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام ير الناس فيها شمسا
 وكان الشخص لا يرى من الارض فيه الاموضع قدميه قتاب الناس وأخر جوا الصدقات فكشف الله
 عنهم ما بهم وسميت سنة الغمام **﴿** وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة **﴾** نزل برد عظيم الواحد منه وزن رطلا
 وأكثر قتل الطير والوحش والهائم وكثيرا من الناس وكسر الاشجار وأفسد الثمار وكان ذلك باثر قط
 شديد وغلاء عام **﴿** وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة **﴾** نزل أيضا برد كثير لم يعهد مثله كثره قتل المواشي
 وأفسد الثمار وجاءت السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب وكان بهار عود قاصفة وبروق خاطفة
 ودام ذلك أياما واستيق الناس واستخروا في هذه السنة وفيها أيضا كانت ريح شديدة هدمت المباني **﴿** وفي
 سنة أربع وأربعين وثلاثمائة **﴾** كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس هلك فيه أكثر الخلق وفي هذه
 السنة كان الشيخ أبو سعيد المصري المعروف بابي سلهامة موجودا وهو من كبار صلحاء المغرب وقبره
 شهر قرب مخرج الحضرة على ساحل البحر وعليه قبعة عجبية الصنعة محكمة العمل بالنقش والاصباغ
 الزليج الملون **﴿** قال أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن **﴾** كان علي وأسن قبر الشيخ أبي سلهامة
 لوح مذهب مكتوب عليه هذه القبور الثلاثة التي أخفى الله تعالى فيها قبر الشيخ أبي سعيد المكنى بابي
 سلهامة وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة قال أبو عبد الله المذكور ثم ان النصراني نزول امرأة
 هناك فاقتلوا اللوح وذهبوا به قال وكان النيف الزائد على الاربعين مسمى في اللوح ولكني أنسيت به
 ومع ذلك فهو لا يزيد على السبع والله تعالى أعلم

﴿ الخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاد الريف ﴾

هذه الدولة التي كانت للادارسة ببلاد الريف لم تكن لهم على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت لهم
 أولا بفاس والمغرب انما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب امامن الشيعة أصحاب افريقية
 وامامن الروانيين أصحاب الاندلس كما استتف عليه واعلم ان اقد قدما ان بني ادريس كانوا قد قسموا
 أعمال المغرب بعد وفاة أبيهم ادريس رحمه الله وذلك بإشارة جدتهم كزوجة وان بلاد الريف منها كانت
 في سهم عمر بن ادريس وانه قاتل أخويه عيسى والقاسم وأضاف أعمالهما الى عمله فبقيت بلاد الريف
 بيد بني عمر بن ادريس يتوارثونها خلفا عن سلف فلما انقرضت دولة آل ادريس بقاسم على يد موسى
 ابن أبي العافية انحاز والي بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقاعة حجر النمر كما سبق ولما قدم
 ميسور الخصى من افريقية وأجلي موسى بن أبي العافية الى الصحراء أقام بنو ادريس برغمهم يتداولون
 رياسته تحت نظر الشيعة تارة وتحت نظر الروانيين أخرى الى ان انقرضت دولتهم وذهبت رياستهم

من المغرب بالحاكية والله غالب على أمره

✽ الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس ✽

لما فرم موسى بن أبي العافية أمام القائد ميسور إلى الصحراء صارت الرياسة في المغرب بعده لابني محمد بن القاسم بن ادريس وهما القاسم الملقب بكنون وشقيقه ابراهيم وهما معاً أخوان للحسن الحجام الذي تقدم ذكره فاجتمع بنو ادريس وبايعوا القاسم المذكور فلك أكثر بلاد المغرب الا فاسا فإنه لم يملكها وكان سكناه بقاعة حجر النسر واستمر على امارته مقيماً الدعوة الشيعية الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فولى بعده ابنه أبو العيش

✽ الخبر عن دولة أبي العيش أحمد بن القاسم كنون ✽

كان أبو العيش ههنا فقيهاً ورعاً حافظاً للسير عارفاً بالخبار المألوكة وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر شجاعاً جواداً وكان يعرف في بني ادريس بأحمد الفاضل وكان مأثلاً إلى بني مروان ولما ولى بعد أبيه قطع دعوة العبيديين في جميع عمله وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله وبايع أبو العيش كافة أهل المغرب إلى سجد لاسمته وكان السواد الاعظم من أهل المغرب الاقصى لهم محبة في جانب آل ادريس وابتار لهم لا ينفون بهم بدلا مهموا جدوا إلى ذلك سيديلا

✽ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها ✽

لما بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر وخطب له اقترح عليه أن ينزل له عن طنجة ليضيفها إلى سبته التي كان استولى عليها من قبل فامتنع أبو العيش من ذلك فبعث اليه الناصر بالاسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقة له بحربه أجابه إلى ما سأله ونزل له عن طنجة وبقى أبو العيش مع اخوته وبني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وأصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وكانت قواد الناصر وجيوشه تميز من الاندلس إلى العدو يعاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم والناصر عمدان عجز منهم برجاله مقولان ضعف عماله حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر وخطب له على منابره من تاهرت إلى طنجة ما عدا سجد لاسمته فإنه قام به في ذلك الوقت من امداد البربر وبايع الناصر أهل فاس فيمن بايعه من بلاد العدو فولى عليهم محمد بن الخبير المغراوي وكان من أبسط ملوك زناتة يدا وأعظمهم شأنا وأحسنهم إلى ملوك بني أمية انجاشا وأخلصهم طوية وكان لبني يفرن ومغراوة من زناتة ولاية الامويين وتشيح لهم وذلك بولاية عثمان ابن عفان رضي الله عنه لجدتهم صولات بن وزمار المغراوي الذي وقد عليه وأسلم على يده كما سبق في أخبار الفتح والله أعلم فسرت تلك الولاية في عقب زناتة الامويين عموما كما كان له حاجة من البربر ولاية آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقام محمد بن الخبير والياعلى مدينتي فاس نحو سنة وارتحل عنها إلى الاندلس برسم الجهاد واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتي وهو الذي بنى صومعة مسجد القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كما سبق وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فولى الناصر على مدينة طنجة وأحوارها يعلى بن محمد اليفرنى فترها في قبائل يفرن وأمضى أمره ونهيه فيها

✽ هجرة أبي العيش إلى الاندلس بقصد الجهاد ✽

لم رأى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو هانت عليه رياسته فكتب إليه بقرطبة يستأذنه في
الجهاد فأذن له وأمر أن يبني له في كل منزل ينزله قصر وذلك من الجزيرة الخضراء إلى الثغر وأن يجرى له
فيها ألف دينار في كل يوم ضيافته ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب ما يقوم بالقصر فلم يزل على
ذلك حتى وصل إلى الثغر فكانت منازل من الجزيرة إلى الثغر ثلاثين منزلاً ومات أبو العيش رحمه الله
شهيداً في جهاد الفرغ سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

الخبر عن دولة الحسن بن كنون

لما خرج أبو العيش إلى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وهو القاسم بن
محمد بن القاسم بن ادريس وهو آخر ملوك الأدارسة بالمغرب ولم يزل موالياً للمروانيين متمسكاً بدعوتهم
إلى أن كان ما ذكره

بوقدم القائد جوهر الشيعي من إفريقية إلى المغرب واستيلائه عليه

لما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله معد بن اسمعيل العبيدي غلبه الناصر على بلاد العدو
وأن جمع من بهامن قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بني أمية عظيم الأمر عليه
وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومي المعروف بالسكاتب في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف
فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذلها ويستتزل من بهامن
الثوار ويشدوطأته عليهم فخرج جوهر من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يوم بلاد المغرب
فاتصل خبره ببعلي بن محمد اليفرني صاحب طنجة وخليفة الناصر على بلاد العدو فحشد قبائل زناتة
ونفض إلى القائد جوهر فكان اللقاء على تاهرت فالتحمت الحرب بين الفريقين فانزع القائد جوهر
الأموال وبذلها في قواد كتامة فضمنوا له قتل أمير زناتة بعلي بن محمد فلما اشتد القتال صممت عصابة
من قواد كتامة وأنجدها ووقصدها إلى بعلي بن محمد فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا بها إلى جوهر فبذل لهم مالا
جليلاً بشارة عليه وبعث بالرأس إلى مولاه المعز فطيف به بالقيروان **ب**وذكر ابن خلدون **ب** أن بعلي بن
محمد باد إلى لقاء جوهر عند قدمه وأدعنه له وباعه فأظهر جوهر القبول ثم دس إليه من اغتاله وتفرق
بنو يفرن وزناتة بعدمقتل أميرهم وبعدهم مدة التأم ملكهم على ولده يدوان بعلي بن محمد اليفرني ثم تقدم
جوهر إلى سجلماسة وكان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله وقد تقدم لنا
أنه ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه وكتب عليها فتدست عزة الله وكانت سكوته
تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الطيب وكان سنيماً إلى المذهب فدخالف سلفه في مذهب الصفرية
فنزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ثم اقتحمها عنوة بالسيف وأفلت الشاكر ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة
فدخل سجلماسة متنكراً فعرف وقبض عليه وأتى به إلى جوهر فاوثقه في الحديد وساقه أسيراً بين يديه
حتى نزل على فاس بعد أن أفضى جأه الصفرية ورجلها بالسيف وكان نزوله على فاس سنة تسع وأربعين
وثلاثمائة فخاصرها وأدار بها القتال من كل جهة قريبا من نصف شهر ثم اقتحمها عنوة بالسيف على يد
زيري بن مناد الصنهاجي فانه تسمم أسوارها ليلاً ودخلها فقتلها خلقاً كثيراً وقبض على أميرها أحمد بن
أبي بكر الزناتي الذي ولاه الناصر عليها ونهب المدينة وقتل جاتها وشيوخها وسب أهلها وهدم أسوارها
وكان الحادث بها عظيماً وكان دخول جوهر إياها خصومة يوم الخميس الموافق عشرين من رمضان سنة تسع
وأربعين وثلاثمائة ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء المرانيين ويسبي ويفتح البلاد والمعقل
وخافته البربر وقرت أمامه قبائلها فانفسد الأمر في المغرب الأقصى ثلاثين شهراً وانتهى إلى البحر المحيط

وصادم من ممكة وجعله في قلال الماء وأرسله الى مولاه المعز ثم انصرف راجعا بعد ان دقخ البلاد او أنخن فيها
 وقتل جاتم واقطع دعوة المروانين منها ووردها الى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر المغرب وانتهى
 القائد جوهر الى المهديّة دار المعز لدين الله وقد جعل معه أحد بن أبي بكر اليفرنى أمير فاس وخمسة عشر
 رجلا من أشياخها وجعل أيضا محمد بن أبي الفتح أمير بمجلماسة ودخل بهم أسارى بين يديه في أقطاص
 من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤسهم قلائس من لبد مسستظيلة منبثة بالقرون فطيف بهم
 في بلاد إفريقية وأسواق القيروان ثم ردوا الى المهديّة وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها

﴿تقدم بلديكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيعي من إفريقية الى المغرب﴾

كان الامير الحسن بن كنون قديبايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب فلما انصرف
 جوهر الى إفريقية واخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة تكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى
 المروانين فمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكيم المستنصر خوفا منهم لاجبة فيهم لقب بلاده
 من بلادهم وأقام على ذلك الى ان قدم الامير بلديكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من إفريقية الى المغرب
 لاخذ ثار أبيه فقتل زناته واساتصلهم وملك المغرب باسره وقطع أيضا مناه دعوة الامويين وقتل
 أولياءهم وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للعزم معد بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله فكان أول
 من سارع الى بيعته ونصرته وقاتل أولياء المروانين معه الحسن بن كنون صاحب مدينة البصرة
 وكشف وجهه في ذلك وأعمل فيه جهده فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك فلما انصرف
 بلديكين بن زيري الى إفريقية بعث الحكيم المستنصر صاحب الأندلس قائده محمد بن القاسم بن طماس
 في جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون فاجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة في عدد كثير وعدة
 كاملة وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فزحف الحسن الى قتاله في قبائل البربر
 فكان اللقاء باحواز طنجة بموضع يعرف بقصص بنى مصرخ فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها محمد
 ابن القاسم قائد الحكيم المستنصر وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها
 وكتبوا الى الحكيم يستغيثون به فبعث اليهم صاحب حروبه غالب مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة
 والنجدة والدهاء وأعطاه الحكيم أموالا جارية وجيوشا كثيرة وعددا وافرة وأمره بقتال آل ادريس
 واستنزاهم من معاقلمهم وقال له عندوداعه يا غالب سر مسير من لا اذن له في الرجوع الا حيا منصورا
 أو ميتا معذورا ولا تشح بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس

﴿تقدم غالب الاموى الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الأندلس﴾

ثم خرج غالب من قرطبة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فاتصل خبر تقدمه بالحسن بن كنون
 فخاف منه وأخلى مدينة البصرة وجعل منها حرمه وأمواله وذخائره الى قلعة حجر النسر القرية من سبتة
 واتخذها مقلا يتحصن بها وأجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة فلقبه الحسن
 ابن كنون هناك في جوع البربر وقتله أياما وسرب غالب الاموال الى رؤساء البربر الذين مع الحسن
 ابن كنون ووعدهم ومناهم فانفضوا عن الحسن حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله فلما رأى ذلك سار
 الى حجر النسر فتحصن به واتبعه غالب فحاصره به ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المواد وأمدّه
 الحكيم بعرب الدولة الذين بالاندلس ورجال الثغور فوصل المدد الى غالب غرة المحرم سنة ثلاث وستين
 وثلاثمائة فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله
 وينزل اليه فيسير معه الى قرطبة فيكون بها فاجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه فنزل الحسن باهله وماله
 ورجاله وأسلم الحصن الى غالب فذكاه واستنزل غالب جميع العلويين الذين بارض العدو من معاقلمهم
 وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالعدو رؤسا منهم وسار الى مدينة فاس فذكها واستعمل عليها محمد

ابن أبي علي بن قشوش بعدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة بعدوة والاندلس فلم تزل فاس بيد بني أمية
 إلى أن غلب عليها زيري بن عطية المغربي وانصرف غالب إلى الأندلس وساق معه الحسن بن كنون
 وجميع ما نزل الأدارسة وقد وطأ جميع بلاد المغرب وفرق العمال في فواحيه وقطع دعوة بني عبيد
 من جميع آفاقه وورد الدعوة إلى الأموية فخرجهم غالب من فاس آخر رمضان سنة ثلاث وستين
 وثلاثمائة ووصل إلى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخصراء وكتب إلى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه
 بقدمه وبعين قدمه من العلوين فلما وصل كتابه إلى الحكم أمر الناس بالخروج إلى لقاءهم وركب
 هو في جمع عظيم من وجوه دولته فلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوماً مشهوراً وذلك أول يوم من المحرم
 سنة أربع وستين وثلاثمائة وسلم الحسن بن كنون على الحكم فأقبل عليه وعفا عنه ووفى له بعهدته وأوسع له
 ولرجاله في العطاء وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة وخلع عليهم الخلع الرفيعة وأثبت جميع أهله ورجاله
 في ديوان العطاء وكانوا سبعة مائة رجل أنجاد يعدون بسبعة آلاف وأسكنه قرطبة وأقام الحسن وعشيرته
 في كتف الحكم في أمن وطمأنينة إلى أن كان ما ذكره

حدث النفرة بين الحكم والحسن والسبب في ذلك

لما استقر الحسن بن كنون وعشيرته بقرطبة تحت كتف الحكم المستنصر بالله الأموي على ما وصفناه
 استمر الحال على ذلك إلى سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان للحسن قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحرم
 ظفريها في بعض سواحلها من بلاد العدو أيام ملكها فسواها منشورة يتوسدها ويرتفع بها فبلغ أمير
 المؤمنين الحكم خبرها فسأله جملها إليه وضمها إلى ذخائره على أن له حكمه مسطفاً تمتع الحسن
 من ذلك وأبى أن يسلمها إليه فكتبه عليها وسأله جميع أموره وسلبه القطعة أيضاً فبقيت في خزنة
 الأمويين إلى أن غلب ابن جود الأدرسي على ملك الأندلس ودخل قرطبة واستقر بالقصر منها فالتقى
 تلك العنبرة لازالت قائمة العين قد عقبها الأيام حتى صارت إلى أيدي العلوية أربابها ولما نكب الحكم
 الحسن أمر بانخراجه واخراج عشيرته من قرطبة واجلائهم إلى المشرق فركبوا البحر من المرية إلى تونس
 سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان قصد الحكم بتغيريهم التخفيف منهم والراحة من نفقاتهم مع ما كان
 قومه يعدونه عليهم فسار الحسن بن كنون وعشيرته إلى مصر فنزلوا بها على خليفة الشيعة وهو العزيز
 بالله زيار بن المعز العبيدي وكان العبيديون قد ملكوا مصر يومئذ فوعدوا كرمهم ووعدهم بالصلوة
 العزيز زيار على الأدارسة وبالغ في إكرامهم ووعدهم بالصلوة والاحذ بناره ممن غلبه على ملك سلفه

عود الحسن بن كنون إلى المغرب وما كان من أمره إلى مقتله وانقراض دولته

لما استقر الحسن بن كنون بجزيرة عند العزيز زيار أقام عنده مدة طويلة إلى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين
 وثلاثمائة في أيام هشام المؤيد بالله الأموي فكتب زيار للحسن بعهدته على المغرب وأمر عامه له على
 إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يقويه بالجيش فسار الحسن إلى بلنسية فاعطاه عسكراً
 يشتمل على ثلاثة آلاف فارس فاقصمهم بين بلاد المغرب فسارعت إليه قبائل البربر بالطاعة فشرع
 في اظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر المعروف بعسكارة في جيش كنيف وقلده أمر المغرب
 والوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكارة في جيش كنيف وقلده أمر المغرب
 وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كنون فنفذ لوجهه وركب البحر إلى سبتة وخرج إلى حرب الحسن
 فحاط به وحاصره أياماً ثم أجاز المنصور بن أبي عامر ولده عبد الملك في أثر الوزير أبي الحكم في جيش كنيف
 بمذاهبه فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط في يده ولم يجد حيلة فطلب الأمان على نفسه على أن يسير إلى
 الأندلس كمثل حالته الأولى فاعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به وكتب إلى ابن عمه المنصور يخبره

بذلك فامر بتجميعه الى قرطبة موكل به فبعث به اليه ولما انتهى انظر الى المنصور بقدم الحسن لم يحض
 أمان ابن عمه وانفذ اليه من قسسه في طريقه وانه برأسه ودفن شلوه بمكان مقتله وذلك في جمادى الاولى
 سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم وانقرضت دولتهم وتفرقت
 الادارسة في قبائل المغرب ولا ذوا بالاخفاء الى ان خلعو الاشارة ذلك النسب الشريف واستحالت صبغتهم
 منه الى البداوة واستمر الحال الى ان أشرفت دولة بني أمية بالاندلس على الانقراض وكان بالاندلس
 رجلا من آل ادريس دخلوها في جملة البربر الذين كانوا هناك وهم على والقاسم ابن جود بن ميمون
 ابن أجد بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ذكرا في الشجاعة والاقدام ثم تفرقت بهم الاحوال
 الى ان ورثوا خلافة الاندلس من يد الامويين بها في خبر طويل ولما قتل الحسن بن كعون هبت ريح
 عاصف احتملت رداءه فلم يوجد بعد قالوا وكان الحسن هذا فظا غليظا قاسي القلب كان اذا نظف بعد
 أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعة سمى سمى بحجر النمر في هوى منها الى الارض مدة
 البصر يدفع الرجل بحسبة تمد اليه فلا يصل الى الارض الا وقد تقطع وقال ابن ابي زرع كان مدة ملك
 الادارسة بالمغرب من يوم يوج ادريس بن عبد الله وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين
 وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كعون وذلك في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مائة
 سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا وكان عملهم بالمغرب من السوسن الاقصى الى مدينة وهران
 وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة وكانوا يكابدون دولتين عظيمتين دولة العبيديين بافريقية ودولة
 بني أمية بالاندلس وكانوا يراجون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عن اضعف سلطانهم وقلة ما لهم
 فكان سلطانهم اذا امتد قوى ينتهي الى مدينة تلمسان واذا اضطرب الحال عليهم وضعوا الاجواز
 سلطانهم البصرة وأصميا ولا حرج النسر الى ان انقضت أيامهم وانقرضت مدتهم والبقاء لله وحده وكان
 في هذه المدة من الاحداث انه في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كانت ريح شديدة قلع اشجار
 وهدمت الديار وقتلت الرجال (وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب منها ظهر في البحر شهاب ناقب
 ما نزل كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وأشبهت تلك الليلة ليلة القدر وقارب ضوءها ضوء النهار
 (وفي هذا الشهر أيضا) كسف النيران فحسف القمر ليلة أربع عشرة منه وطلعت الشمس كاسفة في اليوم
 الثامن والعشرين منه (وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة كان الجراد بالمغرب (وفي سنة اثنتين
 وستين بعدها) دخل مغراوة المغرب وملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوى وفيها
 توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسمعيل وهو أول من أدخل مدونة مخنون مدينة
 فاس وذكر الرشاطى ان وفاته كانت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ولعله أصح (وفي سنة سبع وسبعين
 وثلاثمائة عم الجراد بلاد المغرب كلها (وفي سنة ثمان وسبعين بعدها كان الفيض الذي فاضت منه
 جميع اودية المغرب (وفي سنة تسع وسبعين بعدها كانت الريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر
 فاعقت وباء عظيما وأمر ايضا كثيرة (وفي سنة ثمان وثلاثمائة تدارك الله عباده وكان الرخاء المفرط
 بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتره لكثرة وكان الافلاحون وأصحاب الحرث يتركونه قائما في
 محافلهم لا يحصدونه لخصه

الخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبنى يفرن بفاس والمغرب

ينبغي أن نقدم هنا كلاما يكون كالتوطئة لاخبار هذه الدولة المغراوية فنقول ان هذه الدولة لم يكن لها
 استقلال بالمغرب وفاس وانما كانت رياستها تحت نظر الامويين بالاندلس ثم ان مغراوة وبنى يفرن
 قبيلتان من أعيان قبائل زناتة وكان مغراوو يفرن أخوين شقيقين وهما ابنا صليتين بن مسرى بن زاكيا

ابن ورسيم بن الديديت بن زانا وهو أبو زناتة وقد تقدم لنا في أخبار الفتح ان الصحابة رضي الله عنهم
 أسروا صولات بن وزمار كبيره مغراوة لذلك العهد وبعثوا به الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فاسلم على يده
 وولاه على قومه وقيل ان صولات هاجر الى عثمان رضي الله عنه طائعا من غير أسرفا كرمه وولاه فكان
 بيت صولات بسبب هذه المزية نبيا في قومه مغراوة وسائر زناتة ولما مات صولات ورث رياسته
 من بعده ابنه حفص بن صولات ثم من بعده خزر بن حفص بن صولات ثم ابنه محمد بن خزر وهو الذي
 غزاه ادريس بن عبد الله بمدينة تلمسان وانقاد له وأجاب دعوته ودخل ادريس معه تلمسان وأصلح شأنها
 وبني مسجد ها حسيما تدم الخبير عن ذلك مستوفي ثم لم تزل ذرية محمد بن خزر هذا تتوارث رياسته سلفهم
 من بعدهم الى ان كان منهم في صدر المائة الرابعة أربعة اخوة وهم محمد بن خزر وعبد الله بن خزر وعبد
 ابن خزر وقليل بن خزر وكلهم رئيس شريف في قومه ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بافر يقية والمر وانين
 بالاندلس بطول ذكرها مع انها ليست من موضوعنا وما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحف بالبيكين
 ابن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب افريقية بعد العبيديين الى المغرب الأقصى وأناخ على مدينتي فاس
 وقتل عاملها محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة
 الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكاسي وأجفلت ملوك زناتة من بني خزر المغراويين وبني محمد
 ابن صالح اليفرنيين أمامه وانجاز واجمعا الى سنة وعبر محمد بن الخير من آل خزر البحر الى المنصور بن أبي
 عامر صريخا فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء ثم المصم بنفسه ووقفه مد لمصر بن علي
 ابن جدون على حرب بلبيكين الصنهاجي وأجازة البحر وأمدته بمائة رجل من المال فاجتمعت اليه ملوك
 زناتة وضمروا مصافهم بساحة سبتة وجاء بلبيكين الصنهاجي حتى صعد جبال تطوان وتسم هضابها أو اطل
 على عساكر زناتة وأهل الاندلس بساحة سبتة فرأى ما لا قبل له به ويقال انه لما علم ذلك قال هذه
 أفقى فغرت الينا فهاها وكتر ارجاعا على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكانها حامية أهل الاندلس
 وبها يومئذ عمارة عظيمة فهدمها ثم صعد الى برغواطة ببلاد تامسان فجاهدهم وقتل منهم عيسى بن أبي
 الانصار واستولى على المغرب أجمع ومحي دعوة بني أمية من فواحيه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعين
 وثلاثمائة وقدم الحسن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك سلفه انضم اليه يدوان يعلى
 ابن محمد بن صالح اليفرني في قومه وشايه على مراده وسرح المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس اليه
 ابن عمه أبا الحكم الملقب بعسكلاجة وانضم اليه آل خزر المغراويون وهم محمد بن الخير الاصغر وخزرون
 ابن قلغل بن خزر ومقاتل وزيري ابتاعه بن عبد الله بن خزر وانضم اليهم سائر مغراوة وظاهر وا
 أبا الحكم عسكلاجة على شأنه في حصار الحسن بن كنون حتى طالب الامان لنفسه حسبا استوفينا خبره
 أنقام تقدم عسكلاجة الى فاس فدخلها واستولى على عدوة الاندلس سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
 وخطب بها النبي أمية وبق محمد بن عامر المكاسي عامل الشيعة بعدوة القرويين الى سنة ست وسبعين
 وثلاثمائة فأتى أبو يماش فدخل عدوة القرويين بالسيف وقبض على محمد بن عامر المكاسي فقتله
 وخطب بها النبي أمية أيضا هكذا في القرطاس ويوقال ابن خلدون ان المنصور بن أبي عامر عهده على
 المغرب بعد انصراف عسكلاجة عنه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وأطلق يده في الاموال
 والرجال وأرسله اليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما ما اتل وزيري
 ابتاعه لحسن انحياتهم الى المر وانين وصدق طاعتهم لهم واغراه بيدوان يعلى اليفرني للتمريضه في
 الطاعة وقيامه مع الحسن بن كنون ففخذ الوزير حسن بن عبد الودود لعمله ونزل بفاس وضبط المغرب
 أحسن ضبط واجتمعت عليه مغراوة ثم هلك مقاتل بن عظمة سنة ثمان وسبعين ورث رياسته على يادة
 قومه أخوه زيري بن عظمة وحسنت حبيته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملة له ثم ان المنصور

ابن أبي عامر استدعى زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوعد عليه وأحسن المنصور اليه ورفع منزلته ثم عاد إلى المغرب وأمره بقتال يدو بن يعلى اليعربى فاجتمع عليه هو والوزير ابن عبد الودود فقاتلوه فانتصر عليهم يدو بن يعلى وقتل الوزير ابن عبد الودود ثم عقد المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية من بعده على المغرب وفاس وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة هذا ملخص ما عند ابن خلدون في هذا الخبر ثم حكى بعده ما يخالفه مما نذكره مبسوطا عن قريب وتوقف في أهمها الصواب والله أعلم

❦ الخبر عن دولة زيري بن عطية المغراوي بفاس والمغرب ❦

هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي وعبد الله المذكور هو أحد الأخوة الأربعة من بني خزر ❦ قال في القرطاس ❦ ملك على زناتة سنة ثمان وستين وثلاثمائة فقام في المغرب بدعوة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبي عامر وذلك بعد انقراض دولة الأدارسة منه وبنى أبي العافية المكاسيين فغلب زيري أولا على جميع بوادي المغرب ثم ملك مدينتي فاس بعد عسكلاجة وأبي يباش دخلها سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فاستوطنها وصيرها دار ملكه واستقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه وهو في ذلك متمسك بدعوة بني مروان أصحاب الأندلس والله غالب على أمره

❦ حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك ❦

كان أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير إفريقية وظهير الدولة العبيدية وخلع دعوة الشيعة ومال إلى دعوة المرانيين وغلب على المهديّة وتونس وشلشال وتلسان ووهران وشاف وكتسير من بلاد الزاب وخطب للويّد وحاجبه المنصور ابن أبي عامر وبعث ببيعتة اليهم وذلك في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلما وصلت بيعتة إلى المنصور بن أبي عامر بعث إليه بهده على ما يده من البلاد وجمدية وخلع وباربعين ألف دينار فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ثم خلعهم وعاد إلى العبيديين فبلغ ذلك المنصور فغاضه وكتب إلى زيري بن عطية بهده على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها فصار اليه زيري بن عطية من فاس في جيوش لا تحصى من قبائل زناتة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فلما زيري بن عطية تلسان وسائر أعمال أبي البهار فانبسط سلطانته بالمغرب من السوس الأقصى إلى الزاب وكتب بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها ما تنافس من عتاق الخيل وخمسون جلامهرياً سابقة وألف درقة من جلود اللط وأجال كتيرة من قسي الزان وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصخرارية كاللطي وغيره وألف جمل من التمر الجيد في جنسه وأجال كتيرة من ثياب الصوف الرقيقة فسر بها المنصور وكافأه عليها وكتب له بتجديده هده على المغرب وذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وأقام زيري بن عطية بفاس وأسكن قبيلاً بأنحائها بالقرب منها في قياطينهم ودفع بني يفرن عن فاس وأحوالها إلى فواحي سلا فاستولوا عليها كما سيأتي

❦ وفادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالأندلس ❦

لما كانت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية أن يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المعز بن زيري وأمره بسكني تلسان واستخلف على عدوة الأندلس من فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويين منها على بن محمد بن أبي علي بن قشوش وولى قضاء المدينتين الفقيه الفاضل أبا محمد قاسم بن عامر الأزدي وسار إلى الأندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جلتها طائر فصيح يتكلم بالعريسة والبربرية ودابة من دواب المسك ومهارة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسنان عظيمات في فقه بين من حديدوشئ كثير من الثمر في غاية الكبر

الواحدة منه تشبه الخيارة عظما وجل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور ولقدومه احتفالا عظيما وبرز الخاصة والعامّة للقائه وأنزله بقصر جمع فر الحاجب وتوسع له في الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأفاض عليه أموالا جسيمة وخلعها نفيسة وعجل بسراجه الى عمله بعد ان جدّده على عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه فعبر البحر واحتل بمدينة طنجة فلما استقر بها وضع يده على رأسه وقال الا ان علمت انك في فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به ولقد خاطبه به بعض رجاله فنهاه عن ذلك وقال وز ير من يالكع لا والله الا امير بن امير واعجبها لابن أبي عامر ومخرقته لان نسمع بالمعدي خير من أن تراه والله لو كان بالاندلس رجل ماتر كة على حاله وان له منالي وما وبغت مقالته المنصور فصمّ عليها أذنه وزاد في اصطناعه الى ان كان ما نذكره

❦ استيلاء يدو بن يعلى اليفرنى على فاس ومقتله ❦

تقدم لنا ان بني يفرن من أعيان قبائل زناتة وكان يدو ابن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى قد قام بامر بني يفرن بعد مقتل أبيه يعلى بن محمد حين قتله جوهر الكاتب قائد الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فملك يدو كثيرا من بوادي المغرب واتصلت رياسته الى هذا التاريخ وتقدم لنا ان مغراوة دفعوا بني يفرن الى سلا وأحوازها فاستولوا عليها وكان الامير يدو بن يعلى مضاهما لزي بن عطية في الحسب والفضل والمال ولما استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية للوفادة المتقدمة أراد ان يفعل يدو بن يعلى مثل ذلك وكان قصده ان يكره به لانه كان لا يطمئن اليه اطمئنان زيري بن عطية فأساء يدو بن يعلى اجابة المنصور وقال متى عهد المنصور حجر الوحش تنقاد للباطرة فاقصر عنه المنصور وكانت بين زيري و يدو بن يعلى منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب فكان يدو بن يعلى اذا غلب على زيري دخل مدينة فاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيري أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما مباحالا وسميت الرعية بفاس كثيرة تعاقبهم عليها ثم لما سافر زيري بن عطية الى الاندلس انتهر يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف الى فاس ودخل منها عدوة الاندلس بالسيف في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقا كثيرا من مغراوة فلما نزل زيري بن عطية بطنجة اتصل به خبر يدو بن يعلى واستيلاؤه على فاس فاسرع السير نحوه حتى نزل فريمان فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيري واقطم عليه فاسا عنوة فقتله ومثله به وبعث برأسه الى المنصور بن أبي عامر بقرطبة وذلك سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

❦ بناء مدينة وجدة ❦

لما قتل زيري بن عطية يدو بن يعلى صفاه أمر المغرب ولم يبق له به منازع وهابته الملوك وبقى الامر مستقيما بينه وبين المنصور في الظاهر فسمت هتمته الى بناء مدينة تكون خاصة به بقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيّد أسوارها وأحكم قصبها وركب أبوابها وسكنها بأهلها وحشمه ونقل اليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وتغرا اللعمالين المغرب الاقصى والاوسط وكان اختطاطه اياها في شهر رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولم يزل زيري بن عطية في علو سلطان وارتفاع شان الى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ثم حدث ما نذكره

❦ حدوث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك ❦

ثم فسد ما بين المنصور وبين زيري بن عطية وانصل بالمنصور ان زيري يتنقصه ويعرض في شأنه ويجره على المؤيد ويتكلم فيه بالتعجب فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجرب به عليه في كل سنة ومضى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه فغرم زيري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقصر على ذكر

هشام المؤيد وطرد عماله من المغرب وألجأهم الى سبتة فانفذ اليه المنصور بن أبي عامر مولاه واخفا
الفتى في جيش عظيم وأمدّه بالجاهة من سائر الطبقات وأزاح عنهم وأفاض عليهم الاموال للنفقات
وأنواع السلاح والاكسى فعبروا البحر واستقر عدينة طنجة فانضم اليه بعض قبائل البربر من غمارة
وصنهاجة وغيرهم ويايعوه على قتال زيري بن عطية ومن معه من قبائل زناتة فافاض عليهم المطلاع
والاموال ثم أمدّه المنصور بمن كان معه بالاندلس من ملوك البربر النازعين عن زيري بن عطية اليه
فتكاملت جيوشه وخرج بهم ووضح من طنجة يوم فاسا فاقبل خبره زيري بن عطية فخرج اليه من فاس
في عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادي زادات فكانت بينهما حرب وبهد العهد بعثها مائة من ثلاثة أشهر
الى ان انهزم ووضح وقتل أكثر جيشه وفر واضح الى طنجة فدخلها منهزما وكتب الى المنصور يطلب منه
المدد ووقال ابن خلدون ان واخفاحين برز من طنجة وزحف اليه زيري بن عطية توافقا ثلاثة أشهر
ثم تناول واضح أصيلا ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينه وبين زيري ثم نيت واضح معسكر زيري
بنواحي أصيلا وهم غازون فوقع بهم وخرج المنصور من قرطبة فوصل الى الجزيرة الخضراء ثم أجاز ابنه
عبد الملك المظفر بجميع عسكر الاندلس وقوادها حتى بقي المنصور وحده وأمره بحرب زيري بن عطية
فركب المظفر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة واتصل بحمبر المظفر بن زيري بن عطية فخافه وأخذ في
الاستعداد للاقائه وكتب الى جميع قبائل زناتة يستصرخهم فأتته الوفود من بلاد ملوية وتلمسان
والزاب وسائر بوادي زناتة فقبض بهم الى قتال عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبرز عبد الملك من
طنجة ومعه واضح الفتى في جيوش لا تحصى والتقى الجمعان بوادي منى من أحواز طنجة فكانت بينهم
حرب أعظم من الاولى ودام القتال بينهم يوما الى الليل وكان في عسكر زيري بن عطية غلام أسود اسمه
سلام كان زيري قد قتل أحاه فوجد القرصة اليه فانهزها وضربه بسكين في عنقه ثلاث ضربات فاشواه
أى لم يصب مقتله ومرا السود يشد نحو المظفر وبشره بقتل زيري فاستكذبه ثم سقط اليه الخبر الصحيح
بان زيري قد أئبت فشد عليهم عبد الملك وهم في حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم واستمرت الهزيمة
على زيري وأصحابه وأخذ فيهم عبد الملك بالقتل وماله زيري بأسرها واحتوى على جميع ما فيها من
المال والسلاح والكرع والابل والعدة فاستولى من ذلك على ما لا يأخذه الحصر ومضى زيري على
وجهه حتى انتهى الى موضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مكاسة فعسكر به واجتمع اليه الفيل من
قومه وعزم على الرجوع لئلا يجزء المظفر فاتصل الخبر بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس
وقدم عليهم واخفا الفتى ونهضوا الى زيري بن عطية فحضره في محلته لئلا بمضيق الحية وهم آمنون
فاوقعوا بهم وقعة عظيمة أسرف فيها من أشرف مغراوة نحو ألفي رجل وذلك في منتصف رمضان سنة سبع
وثمانين وثلاثمائة فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم معه فكانوا من جنده وفرز زيري بن عطية
في شردمة من أصحابه وبني عمه فأنهى الى فاس فأغلق أهلها الابواب ودونه فسألهم أن يخرجوا اليه عياله
وأولاده فانخرجوهم اليه وأعطوه مع ذلك الزاد والدواب فأخذهم وانصرف الى الصحراء فنزل بلاد
صنهاجة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

وقدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها

لما انهزم زيري بن عطية من مضيق الحية الى الصحراء نهض عبد الملك المظفر من معسكره يوم فاسا
فدخلها يوم السبت من سلخ شوال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فاستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن
لقاءهم وكتب الى أبيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء من قرطبة وعلى منابر مساجد
الاندلس كلها شرقا وغربا وأعتق المنصور ألفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوك تشكرا لله تعالى وفرق
أموالا كثيرة على الفقراء وذوى الحاجات وكتب الى ولده المظفر به هذه على المغرب وأوصاه بحسن

السيرة والعدل فقرأ كتابه على منبر مسجد القرويين وذلك يوم الجمعة آخر ذي القعدة من السنة
المذكورة وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبد الملك مدينة فاس وعدل فيها عدلا لم يعهدوه من
أحد قبله وأقام بها سنة أشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبعث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد
صاحب الشرطة فأقام واليا عليها الى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة فعزله المنصور عنها وبعث
ولاه من بلاد العدو وولى عليها واخفا الفتي وانصرف عيسى بن سعيد الى الاندلس من السنة المذكورة

بقية أخبار زيري بن عطية

لما تزل زيري بن عطية ببلاد صنهاجة وجددهم قد اختلفوا على ملكهم مباديس بن منصور بن بلكين بن
زيري بن مناد صاحب افريقية فارسل زيري بن عطية في قبائل زناتة حاشرين فأتى منهم م خلق كثير من
مغراوة وغيرهم فاعتزم زيري تلك الفرصة من صنهاجة فزحف اليهم وأوغل في بلادهم وهزم جيوشهم
ودخل مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب وملك مع ذلك تلمسان وشلف والمسيلة وأقام بال دعوة للوئيد
وحاصر مدينة أشير فاعادة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن أبي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على
نفسه الزهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته وبينما هو محاصر لا شير بيا كرها ويراهو بالقتال
انتقضت عليه جراحاته التي كان جرحه الاسود فمات منها سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

الخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغراوي

لما هلك زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه وضبط
أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور بن أبي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على
ذلك الى ان توفي المنصور وولى ابنه بعده عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضا ودعا له على منابر ففزل المظفر
واخفا الفتى عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بعهده على فاس
وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وشرط له المعز ان يؤدي اليه
في كل سنة مالا معلوما وخيلا ودرقا يوصل ذلك الى قرطبة وأعطاه مع ذلك ولده معنصر بن المعز رهنا
وكانت نسخة كتاب العهد باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر
سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن
أبي عامر الى كافة أهل مدينتي فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله (أما بعد) أصح الله شأنكم وسلم أنفسكم
وأديانكم فالجهد لله عظام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذى البطش الشديد البسدي
المعيد الفعال لما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر ويده الخير والنشر
اياه نعبد واياه نستعين واذا قضى أمر افاغما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد
المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيري
ابن عطية أكرم الله تابع رسوله لدينا وكتبه متصلا من هئات دفعته اليها ضرورات ومستغفرا من
سيئات حطمان توبته حسنات والتوبة مجتاه الذنب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ
يسره وعسى أن تكرر هواشيا أولكم فيه خبره وقد وعد من نفسه استشهارة الطاعة ولزوم الجادة
واعتماد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فولينا ما قبلكم وعهدنا اليه ان يعمل بالعدل فيكم
وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا في
حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا علي بن حذيم
أكرم الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأته ويؤكد الهدى فيه عليه بذلك وأمرناه
باشرا ككم فيه ونحن بامركم معتنون ولا حوالكم مطلعون وأن يقضى على الاعلى للدني ولا يرضى

فيكم بشي من الادنى فتقوا بذلك واسكنوا اليه وايض القاضي أبو عبد الله أحكامه مشهورة وداظهره بنا معقودا سلطانه بسلطانه ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظنتنا به اذ اوليناه وأملنا فيه اذ قلدها والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبعنا وامناسا لاما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته ولما وصل الى المعز بن زيري العهد بولايتيه على المغرب ما عدا كورة سجلماسة فانها كانت لبني خزرون بن قفل ضم نشره ونبأ اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضرب أمر المغرب على المعز وأقام على ذلك الى ان هلك سنة تسع عشرة وأربعمائة كذا عند ابن خلدون وفي القرطاس لم تزل بلاد المغرب أيام المعز في غاية الهدنة والعافية والرخاء والامن الى ان توفي في جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والله أعلم * وأما ابنه معنصر فانه أقام بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى أبيه وعشيرته بفاس ووحى في القرطاس انه لما كانت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتوفي عبد الملك المظفر وولى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر بعث اليه المعز بن زيري بهدية نفيسة فيها خسون فرسا وكان ولده معنصر من تنهن عنده بقرطبة كما قلنا فأحضر الحاجب عبد الرحمن معنصر بن المعز حين وصلت اليه هدية أبيه فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعث به الى أبيه مكرما فخرج مع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغ عدد الخيل تسعمائة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها

الخبر عن دولة جامة بن المعز بن عطية المغربي

لما توفي المعز بن زيري بن عطية وولى بعده ابن عمه جامة بن المعز بن عطية وليس بابن له كما زعم بعض المؤرخين وانما هو ابن عمه وقع الاتفاق في بعض الاسماء فنشأ الغلط واستولى جامة على عمل فاس والمغرب واستفحل ملكه وقصدته الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء وكانت الدولة بالاندلس قد تداعت الى الاختلال فكان ذلك من أسباب استئصال الدولة المغربية بالمغرب واستقلالها بالامر فكان جامة من الظهور ما ذكرناه الى ان أصابته عين الكمال بمنازعة أبي الكمال على ما ذكره

الخبر عن ثورة أبي الكمال تميم بن زيري اليفرني واستيلائه على فاس وأعمالها

قد تقدم لنا ان بني يفرن كانوا قد تحيزوا الى نواحي سلا فاستولوا عليه وولى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الامير على بني يفرن أبا الكمال تميم بن زيري بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرني فرحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضاف اليهم من زناته وبرزاليه جامة في جوع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة جامة ومات من مغراوة أم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ودخلها في جمادى الآخرة من السنة لمذ كورة واستباح يهود فاس فقتل منهم أكثر من ستة آلاف يهودى وسباح مهم واصطلم منهم بالمرة يلحق جامة بوجدة فاستمد من كان هناك من قبائل مغراوة وزناته وانجاد قبائل ملوية وانتهى الى نيس فاستنفر من هناك من زناته وبعث الحاشدين في قباطينهم الى جميع بلاد المغرب الاوسط وكاتب من بعده عنهم من رجالاتهم فاجتمع له من ذلك جم غفير ثم رحف الى فاس سنة تسع وعشرين وأربعمائة فأخرج عنها أبو الكمال ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقامهم الى ان هلك سنة ست وأربعين وأربعمائة كانت مدة استيلائه على فاس وأعمالها خمس سنين وقيل سبع سنين وكان أبو الكمال اليفرني يقلب عليه لجفاء والجهل ومع ذلك فقد كان صابما في دينه مستقيما فيه مولما بجهاد برغواطة كان يغزوهم مرتين في السنة الى ان توفي ولما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقتل ابنه في حرب لم توتنه جاؤا به ليدفوه لي جانب قبر أبيه أبي الكمال فسمعوا من قبره تكبيرا وثناء كثيرا فنبشوا قبره فالفوه لم يتغير منه شيء

تمراه بعض قرابته في النوم فقال له ما هذا التكبير والتشهد الذي سمعناه من قبرك قال تلك الملائكة وكلهم الله يقبري بكبرون ويهللون ويسبحون ويكون ثواب ذلك لي الى يوم القيامة قال وبم نأت ذلك قال يجهادي برغوة حتى همد الخبير في القرطاس والله على كل شيء قدير وأقام حمامة في سلطان فاس والمغرب الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقيل غير ذلك

الخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغربي

لما توفي حمامة بن المعز ولي بعده ابنه دوناس بن حمامة ويكنى أبا العطف واستولى على فاس وسائر ما كان لآبائه من مدن المغرب وأعماله وخرج عليه لأول دولته ابن عمه جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فبخرت له معه حروب وخطوب وكثرت جوع حصاد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصارا شديدا قطع عن عدوة القرويين جوية الوادي واحضر السياج المعروف بدمساج حاد ويقال ان دوناس خندق به على نفسه واستمر جاد محاصر الفاس الى ان هلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فاستقامت دولة دوناس وانقضت أيامه وصار الناس في هدنة ودعة ورخاء كثير وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي فأدار دوناس السور على أرباضها وبني بها المساجد والحمامات والقنادق واستجر عمرانها فصارت حاضرة المغرب من يومئذ ولم يشتمل دوناس من يوم ولي الى ان توفي ابالبناء والتشييد وكانت وفاته في شوال سنة ائتين وخمسين وأربعمائة

الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغربي

لما توفي دوناس بن حمامة ولي بعده ابنه الفتوح بن دوناس ونزل بعده دولة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر واسمه عجيبة وكان شهيا محاربا فاستولى على عدوة القرويين واستند على أخيه وافترق أمر فاس وأعمالها بافتراقها وقامت الحرب بينهما على ساق وبني الفتوح بعد دولة الاندلس قصة منيعة بالموضع المعروف بالكتان وبني عسيبة أيضا قصة مثلها برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين وكثرت العداوة بينهما واستحكمت فكانا لا يفتران عن القتال لئلا يوهنا أو عظم الخوف بالمغرب وكثرت المخرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة وظهرت لمتونة على أطراف البلاد فلكوها والامر لازال والحال ما حال وليس لاهل فاس شغل الا القتال واستمر الامر على ذلك ثلاث سنين الى ان يبت الفتوح عسيبة فاقتم عليه عدوة القرويين ليلا فقتله واستولى على العدوتين معا والفتوح بن دوناس هذا هو الذي بنى باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلي وبعرف الى الآن وأخوه عسيبة هو الذي بنى باب عسيبة برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين من ناحية الجوف وبعرف أيضا الى الآن فلما نظر الفتوح عجيبة وقتله أمر بتغيير اسم الباب المنسوب اليه فاسقط الناس العين من عجيبة وعوضوا عنها الالف واللام فقالوا باب الجيسة قاله في القرطاس **وقال ابن خلدون** خففوه لكثرة الاستعمال ولم يزل لفتوح مستوليا على فاس الى ان دهم المغرب مادهم من أمر المرابطين من لمتونة وخشي الفتوح مغبة لك فافرج عن فاس وتخلّى عنها وزحف صاحب القلعة بالكين بن محمد بن جاد الصنهاجي الى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودخل فاسا واحتمل من أكابرها وأشرافها عدد ارها على الطاعة فعمل الى قلعه

الخبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغربي

اتخلى الفتوح بن دوناس على ملك فاس وأعمالها فأقام بالامر به مدة قريضة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بفاس وأحوارها وذلك في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة وكان معنصر ذا خرم ورأى وشجاعة واقدام وشغل بحملته بنة وكانت له عليهم الوقعة

المشهوره ثم غلب يوسف بن تاشفين على فاس وخلف عليها عامه وارتحل الى غماره وفتح الكثير من بلادها حتى اشرف على طغية ثم رحل الى حصار قاعة فازان خالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من المتونة ومثل بهم بالحرق والصلب واتصل الخبير بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقاعة فازان فاستدعى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكاسة ليستجيب به على فاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تتصل أيديهم وما وناجزه الحرب ففض جوعه وقتله وبعث برأسه الى وليه الحاجب سكوت البرغواطي صاحب سبتة واستصرخ أهل مكاسة بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر المتونة الى حصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها وألحوا بالقتال عليها حتى اشتد بها أهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وقد في المحمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعمائه فلم يدبر ما فعل الله سبحانه وتعالى

الخبر عن دولة تميم بن معنصر الغراوي

لما قدم معنصر بن حماد في المحمة التي كانت بينه وبين المتونيين بايع أهل فاس من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وقتته وجهود وغلاء وشغل يوسف بن تاشفين عنهم بفتح بلاد غماره حتى اذا كانت سنة اثنتين وستين وفتح من فتح غماره صمد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم وهلك تميم بن معنصر في جلته ثم حتى عجز الناس عن مواراتهم فرادى فاتخذوا لهم الاحاديث وقبروا جاسعات وخاص من نجابن القتل منهم الى تلسان قاله ابن خلدون (وقال في القرطاس) دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس الدخلة الثانية الكبرى فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن في أزقتها وجوامعها ما يزيد على العشرين ألف رجل وذلك سنة اثنتين وستين وأربعمائه وانقضت دولة مغراوة من المغرب والبقاء لله وحده وكانت مدة دولتهم نحو مائة سنة وفي دولتهم عظم شأن فاس وبنيت الاسوار على أرباضها وحصنت أبوابها وزيدت مسجدها القرويين والاندلس زيادة كثيرة واتسع الناس في أيام مغراوة في البناء فعمت فاس واستبحر عمرانها وكثرت خيراتها واتصل الامن والرخاء جعل أيامهم الى ان ضعفت أحوالهم وجاروا على رعيتهم باخذ أموالهم وسفلت دمايتهم والتعرض لحرهم فانقطعت عنهم المواد وأكثر الخوف في البلاد وغابت الاسعار وبلا الله عباده بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانس والثمرات وذلك في دولة الفتوح ابن دوناس ومن بعده فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يلجئون على الناس دورهم فيأخذون ما يجدون بهامن الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ويأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد ان يصددهم عن ذلك وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قنة جبل العرض فينظرون الى الدور التي بالمدينة فاذا رأوا دارا بداخلها قصبها وأخذوا ما وجدوا بها من طعام أو غيره ومن قمرض لهم في ذلك قتلوه فلما ارتكبوا هذه العظائم سلبهم الله ملكه وغير ما بهم من نعمه والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فسلط الله عليهم المرابطين فحجوا آثارهم من المغرب ونفوه عنهم بالكافة وطهروه من جورهم وفي أيامهم اتخذ أهل فاس المطامير في بيوتهم للطحن والطبخ لئلا يسمع دوى الرحي فتقصدهم سفهاء مغراوة (وفيها أيضا) اتخذوا غرالا مرافقا لها حتى اذا كان عشي النهار صعد الرجل بالهله وبعياله اليها بسلم ثم رفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجأة وكان من هذائتي كثير * وكان من الاحداث في هذه السنة انه في ليلة الخميس الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وعثمانين وثلاثمائة ظهر نجم في السماء كان في رأي العين مثل الصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق ونهاقت جريا فيما بين المغرب والجوف ونظاير منه شرر عظيم فرجع الناس منه واستمتعوا ربه في صرف مكر وهه عنهم في سنة اثنتين وعثمانين بعدها كان الكسوف السكلى الذي أذهب جميع القرص * وفي سنة خمس وعثمانين

وثلاثمائة كانت الریح الهائلة التي نظرت الناس فيها الى البهائم تـربـين السماء والارض نعوذ بالله من
سخطه * وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة طلع الكوكب الوقاد وهو نجم عظيم ضمن الجرم كثير الضياء
* وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة طلع نجم عظيم من ذوات الاذنان شديد الارتعاد * وفي سنة سبع
وأربع مائة انقرضت دولة بني أمية بالاندلس وقامت بهادولة بني حوذف كانت مدتها نحو سبع سنين
وانقرضت أيضا وافترق أمر الجماعة بالاندلس وصار الملك بها طوائف الى ان نسخ ذلك يوسف بن
تاشفين * وفي سنة احدى وعشيرة وأربعمائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت الى سجلماسة
وكثر القناء في الناس نسأل الله العافية * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة كانت الزلزلة العظيمة بالاندلس
اضطربت لها الارض وانهدت الجبال * وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة توفي الفقيه ابن الجوز
بفاس * وفي سنة ثلاثين وأربعمائة توفي الشيخ الفقيه أبو عمران الفاسي قال في التسوف أبو
عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي أصله من مدينة فاس ونزل بالقيروان فأخذ عن أبي الحسن
القاسبي ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب ثم عاد الى القيروان وجاهات لثلاث
عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة وكان مقاما في الفضل والامانة اه

الخبر عن الدولة الصنهاجية التتوية المرابطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة احدى قبائل البرانس من البربر وانهم
أعظم قبائلها بالمغرب لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسية حتى زعم كثير
من الناس انهم نزلت البربر وتقدم لنا ان النسبين من العرب زعموا ان صنهاجة وكناهة من جبر خلفهم
الملك افر يقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وانهم من كنعان بن حام
كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي الى السبعين منهم مـتـتـونـة وكداة ومسوفة ومسراتة
ومداسة وبنو وارت وبنو دخير وبنو زيا وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون
وأخاذت فوث الحصر وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمنتان احدهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجين
بافريقية ورتو امالكها من يد الشريعة العبيدين والاخرى دولة الملمين بالمغرب الاقصى والاوسط
والاندلس كاسياتي وموطن هؤلاء الملمين أرض الصحراء والمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد
السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً وفيهم قوم لا يعرفون حوثاً ولا زرعاً
ولا فاكهة وانما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم والدين يقيم أحدهم حمرة لا يأكل خبز الا أن يمر ببلادهم
التجار فيتخفونهم بالخبز والديق وانما قيل لهم الملمون لانهم يتلمون ولا يكسفون وجوههم أصلاً
قال ابن خلدكان * اللثام سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت تتشتم
لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثرت ذلك حتى صار تفعله عامة مـ قـبـلـ كان سببه ان قوما من
أعدائهم كانوا يقصدون غنلتهم اذا غابوا عن يوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فأشار
عليهم بعض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ويقعدوهم في البيوت متلمين في زى
النساء فاذا آتاهاهم العدو وظنوهم نساء خرجوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسبي وقتلواهم
فلزموا اللثام تبركبه بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال عز الدين ابن الاثير في كامله ما مثاله * وقيل
ان سبب تلثمهم ان طائفة من لتون تخرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها
الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو وأمر والنساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلمن
ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء
بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جماعاً عظيماً قطنه رجالاً وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقانون عنهن قتال
الموت والراى ان نسوق النعم ونغضى فان اتبعونا قاتلناها مـ خارجا عن حريمهم فيبتماهم في جمع النعم من

المراعي اذا قبل الرجال الى الحى فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خاقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر من ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزن يونه ليلسا ولا نهارا وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب

قوم لهم شرف العلى من جبر * واذا انتموا صنهاجة فهم هم
لماحووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم قتلتموا

وقال ابن خلدون كان دين صنهاجة أهل اللثام المحوسبة شأن برابرة المغرب ولم يزلوا مستقرين بتلك الجبال الصخرية حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للتونة واستوسق لهم ملك ضخم عند دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس توارثه ملوك منهم من بني ورتنطوا وطالت أعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصخرية وجاهدوا من بها من أمم السودان وجلوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزيرة فقبولها منهم ثم افرق أمرهم من بعد ذلك وصلر ملكهم طوائف ورياستهم شيعا واستمر واعي ذلك مائة وعشرين سنة الى ان قام فيهم الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسمرت اللتوفى فاجتمعوا عليه وأحبوه وبايعوه وكان من أهل الفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته

والخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكدالي وما كان من أمره مع الشيخ أبي عمران الغامسي رحمه الله

لما توفي أبو عبد الله بن تيفاوت قام بأمر صنهاجة من بعده يحيى بن ابراهيم الكدالي وكدالة ولتونة اخوان يجمعان في أب واحد وكل منهما قبيل كبير يسكنون الصخر التي تلي بلاد السودان ويلبهم من جهة المغرب البحر المحيط فاستمر الامير يحيى بن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحرهم لاعدائهم الى ان كانت سنة سبع وعشرين وأربعمائة فاستخاف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج فلما قضى حجه وزيارته فقل الى بلاده فمضى في عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الغامسي وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فراه الشيخ أبو عمران محبا في الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق فقال له الشيخ وما ينتحلون من المذاهب قال انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم فاختبره الشيخ وسأله عن فروع دينه فلم يجده يعرف منها شيئا الا انه حريص على التعلم صحيح النية والعقيدة فقال له الشيخ وما يمنعك من تعلم العلم فقال يا سيدي عدم وجود عالم بارضي وليس في بلادى من يقرأ القرآن فضلا عن العلم ومع ذلك فأهل أوضى يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فلورغبت في الثواب من الله تعالى لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به ويكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم فندب الشيخ أبو عمران تلامذته الى ذلك فاستصعبوا دخول أرض الصخر وأشفقوا منها فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن ابراهيم اني أعرف بلد نفيس من أرض المصامدة فقيمها حاذقا وورعا أخذني علما كثيرا واسمه وياح واج نزلوا اللطى من أهل السوس الاقصى اكتب له كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر اليه لعلك تجد حاجتك عنده فكتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه أما بعد اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالي فابعث معه من طلبتك من تتق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم في دين الله ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وأبو محمد وياح هذا من رجال التسوف قال فيه ومنهم وياح نزلوا اللطى من أهل السوس الاقصى رحل الى القيروان وأخذ عن أبي عمران الغامسي ثم عاد الى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقرأ القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه

وإذا أصابهم قحط استسقوا به اه فسار يحيى بن ابراهيم بكاتب الشيخ أبي عمران حتى وصل الى الفقيه
 واجاح بمدينة نفيس فسلم عليه ودفع اليه الكتاب وكان ذلك في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة فنظر
 الفقيه واجاح في الكتاب ثم جمع تلامذته فقرأ عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ أبو عمران فانتدب لذلك
 رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع
 والسياسة مشاركا في العلوم فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء وكان من أمره ما قصه عليك

✽ الخبير عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها ✽

لما انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده ومعاه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي تلقاه قبائل كدالة وملتونة
 وفرحوا بعقد مهمما وتمنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقم لهم رسم الدين
 ويسوسهم باداب الشرع والفاهم يتزوجون أكثر من أربع حرائر فقال لهم ليس هذا من السنة
 وإنما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط وله فيما شاء من ملك المئين سعة وجعل
 بأمرهم بالمعروف ونيهاهم عن المنكر وكبهم عن كثير من مآلوفاتهم الفاسدة وشدد في ذلك فاطر حوه
 واستصعبوا عمله وتركوا الاخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف فلما رأى عبد الله بن ياسين
 اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام
 يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له إنما آتيتك لانتفع بعلمك في خاصة نفسي وما على فبين ضل
 من قومي وكان قومه ليس عندهم من الاسلام الا الشهادة دون ما عداها من أركان الاسلام وشرائعه
 ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين هل لك في رأى أشير به عليك ان كنت تريد الاخرة قال وما هو
 قال ان ههنا جزيرة في البحر ✽ قال ابن خلدون ✽ هو بحر النيل يحيط بها من جهاتها يكون خجضا حيا
 في المصيف يخاض بالاقدام وغمر في الشتاء يعبر بالزوارق قال يحيى بن ابراهيم وفيها الحلال المحض من
 شجر البرية وصيد البر والبحر ندخل فيها ونقتات من حلالها ونعبد الله تعالى حتى غوت فقال عبد الله بن
 ياسين ان هذا الرأى حسن فهمنا فلما ندخلها على اسم الله فدخلها ودخل معها سبعة نفر من كدالة
 وابنتي عبد الله رابطة هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر فتسامع الناس بهم
 وانهم اعترفوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا وردون عليهم والتواون لديهم فأخذ
 عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن
 حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل وكان من أمرهم
 ما سمعته عن قريب

✽ شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك ✽

لما اجتمع الى عبد الله بن ياسين من أمراف صنحاعة نحو ألف رجل سماهم المرابطين للزومهم رابطة
 ولما نفعوا وورسخ فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم
 بتقوى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم جزائه
 ثم ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنحاعة وقال لهم معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو ألف
 رجل ولن يغلب ألف من قلة وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصحكم الله تعالى وهذا كم
 الى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر
 وتجاهدوا في الله حق جهاده فقالوا له أيها الشيخ المبارك من نأينا شئت تجدنا ساءعين لك مطيعين
 ولو أمرتنا بقتل آبائنا فعلننا فقال لهم اخرجوا على بركة الله وانذروا قومي وخوفوهم عقاب الله وابغوهم
 حجة فان تابوا اخلاوا سيولهم وان أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى على عيهم

وجاهدناهم

وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته فوعظهم
 وأنذرهم ودعاهم الى الافلاح مما هم بسبيله فلم يرفعوا بذلك رأسا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه
 وجمع أشياخ قبايلهم ووجوهها وقرأ عليهم بحجة الله ودعاهم الى التوبة ورجعهم في الجنة وخوفهم من
 النار وأقام يندبهم سبعة أيام وهم في ذلك كله لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الا فسادا فلما يش منهم
 قال لاحبابه قدامنا في الحجية وأنذرونا وأعدرونا وقد وجب علينا الاتن جهادهم فأنزروهم على بركة الله فبدأ
 أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فأنزروهم وابين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا
 وأسلم الباقون اسلا ما جديدا وحسنت حالهم وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم وكان ذلك
 في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ثم سار الى قبيلة اتمونة فنزل عليها وقتلهم حتى أظهره الله عليهم
 وأذعنوا الى الطاعة وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له
 وبايعوه على ما بايعته اتمونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة ساروا الى التوبة والمبايعة وأقروا له
 بالسمع والطاعة فكان كل من أتاه تابعا منهم يظهره بان يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرايع
 الاسلام وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العنبر واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع اليه من ذلك
 ثم أخذ في اشتراء السلاح وركب الجيوش من ذلك المال وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد
 الصحراء وذل قبائلها ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها فئا للمرابطين وبعث بالذرية ما اجتمع
 لديه من الزكوات والاعشار والانجاس الى طلبة العلم لاداء المصامدة فاشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء
 وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبيلة وبلاد المصامدة وسائر أقطار المغرب وأنه قام رجل بكدالة
 يدعو الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله وأنه متواضع زاهد في الدنيا وطارقه ذكر
 في العالم وتمكن ناموسه من القلوب وأحبهه الناس ثم توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على أثر ذلك وحكى
 ابن خلدون ان وفاة يحيى بن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين وأصحابه في الجزيرة والله أعلم

❦ الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلان اللتوني ❦

لما توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حربهم
 وجهادهم بعد وفاتهم وكانت قبيلة اتمونة من بين قبائل صنهاجة أكثر طاعة لله تعالى وديننا ومصلا حافيا كان
 عبد الله بن ياسين بكرهمم ويقدمهم على غيرهم وذلك لما أراد الله تعالى من ظهور أمرهم وقتلهم على
 الخلق فجمع عبد الله بن ياسين رؤس القبائل من صنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر اللتوني وعبد الله بن ياسين
 هو الامير على الحقيقة لانه هو الذي أمر وينهى ويعطي ويمنع وعن رأيه يصعد وينزل فكان يحيى بن عمر
 يتولى النظر في أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات
 والاعشار وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين واقفا عند أمر مؤتمره فن حسن طاعته له انه قال
 له يوما قد وجب عليك أدب قال يحيى فيما ذا يا سيدي قال لا أعرفك به حتى آخذ منه منك فكشف له يحيى
 عن بشيرته فضربه عشرين سوطا ثم قال له انما ضربتك لانك باشرت القتال واصطلبت بنار الحرب بنفسك
 وذلك خطأ منك فان الامير لا يقاتل وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم فان حياة الجندي حياة
 أميره وهلاكه هلاكه واستقام الأمر ليحيى بن عمر وملك جميع بلاد الصحراء وغزى بلاد السودان ففتح
 كثيرا منها وكان من أهل الزهد والدين والصلاح

❦ الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سبجلماسة والسبب في ذلك ❦

ند تقدم لنا عند الكلام على بني مدرار المكاسمين أصحاب سبجلماسة ان انقراض دولتهم كان على يد
 خرون بن قلقل بن خزر المعراوي وأنه زحف الى سبجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة وبرز اليه صاحبها

أبو محمد المعتز بالله آخر ملوك بني مدرار الصغرية فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيره وبعث برأسه إلى قرطبة وكان ذلك لأول حجة المنصور بن أبي عامر واستمر خزرون بن فلفل والياعلى سبجلماسة إلى أن هلك وولى بعده ابنه وانودين بن خزرون إلى أن هلك أيضا وولى بعده ابنه مسعود بن وانودين ولما انقرضت الدولة الأموية بالاندلس واسترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف استبدت أمراء الأطراف وملوك زناة بالمغرب كل على يده وعدم الوازع وتصرفوا في الرعايا بعقضى أغراضهم وشهواتهم فقال قاسم وأمهاله من جور بنى عطية المغراويين ما حكينا به من قبيل ونال أهل سبجلماسة ودرعة من بنى خزرون بن فلفل المغراويين مثل ذلك أو أكثر فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين في العالم اجتمع فقهاء سبجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون اليهم في الوصول إلى بلادهم ليظهر وهما ما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الأمراء وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار مع أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم وشاورهم في الأمر فقالوا أيها القميه هذا مما يلزمنا ويلزمك فمر بنا على بركة الله فدعاهم بخير وحضهم على الجهاد وخرجهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش كثيف من المرابطين وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة فسار حتى وصل إلى بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين فنغاه عنها ووجد بها خمسين ألف ناقه لسعود المذكور وكانت تربي في حمى لها هنالك فاكتسحها عبد الله بن ياسين واتصل الخبر بمسعود فجمع جيوشه وخرج نحوه فالتقى الجمعان فيما بين درعة وسبجلماسة فكانت بينهما محارب فظيعة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة فقتل أميرهم مسعود وأكثر جيشه وفر الباقون واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الأبل التي كان اكتسحها في درعة فأخرج الخمس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سبجلماسة ودرعة وصلحاتهم ما قسم الأربعة أخماس على المرابطين وأرسل من فوره إلى سبجلماسة فدخلها وقتل من وجد بها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخور وأزال المكوس وأسقط المغارم الخنزيرية ومحى ما أوجب الكتاب والسنة محوه واستعمل على سبجلماسة عاملا من لتونة وانصرف إلى الصحراء ثم توفي الأمير أبو زكرياء يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة

في الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس

لما توفي الأمير يحيى بن عمر اللتوني وولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين إلى غزو بلاد السوس والمصامدة فزحف إليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللتوني ثم سار حتى انتهى إلى بلاد السوس فغزا زولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم الجبلية نسبة إلى علي بن عبد الله الجبلي الرافضي كان سقط إلى بلاد السوس أيام قيام عميد الله الشيعي بأفريقية فاشاع ذلك مذهب الرافضة فموارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لا يرون الحق إلا ما في أيديهم فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فياتا وأظهر الله المرابطين على من عاداهم ففتحوا ما عاقل السوس وخضعت لهم قبائله وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وأمرهم بإقامة العدل وإظهار السنة وأخذ الزكوات والأعشار وأسقاط ما سوى ذلك

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطه وفتح بلادهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتح جبل درون وبلاد ودة ومدينة شفشواة بالسيف ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلاد كدميوه ووقدت عليه قبائل رجاجة وحاحه فبايعوه ثم ارتحل الى مدينة أعمرات وبها يومئذ أميرها القوط بن يوسف بن علي المغراوي فنزل عليها وحاصرها حصارا شديدا ولما رأى القوط ما لاطاقه له به أسلمها وفر عنها السلاهو وجيـح حشمه الى نادلا فاستجار ببني يفرن مساوكة سلاوتادالا ودخل المرابطون مدينة أعمرات سنة تسع وأربعين وأربعمائة فاقام بها عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند ثم خرج الى نادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ما لو كها وظفر بالقوط المغراوي فقتله وكان للقوط هذا امرأة اسمها زين بنت اسحق النفاوية رحمها الله قال ابن خلدون رحمها الله وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ زوريكة فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه أبو بكر ابن عمر علي امرأة زين بنت اسحق المذكورة الى ان كان من أمرها ما نذكره ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسانا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بان بساحل تامسانا قبائل برغواطه في عدد كثير وجمع عظيم ولندكر هنا كلاما ملخصا في برغواطه ودولتهم ثم نرجع الى ما نحن بصدده فنقول اختلف الناس في نسب برغواطه هؤلاء الى أي شيء يرجع فبعضهم يلحقهم بزناة وبعضهم يقول في نسبهم صالح بن طريف البرغواطى انه يهودى الاصل من سبط سمنون بن يعقوب عليه السلام نسأب برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلى واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا وقدم المغرب فنزل بلاد تامسانا فوجد بها قبائل جهال من البربر فأظهر لهم الصلاح والهدى وموتوه عليهم وخلصهم بلسانه وسحرهم بنيرنجانه فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا حسب ما تقدم الخبر عنه مستوفى فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطى ثم عربته العرب فقالوا برغواطى فسموا برغواطه رحمها الله قال ابن خلدون رحمها الله وهذا من الاغاليط البينة وصحح ان القوم من المصامدة بشهادة الموطن والبحوار وغير ذلك والتحقيق ان برغواطه قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وانما هم اخلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى ادعى النبوة بتامسانا سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين وشرع لاتباعه الديانة التى أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه طريف يكنى أبا صبيح ومن كبار أصحاب ميسرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة وقام بامر ابنه صالح بن طريف المذكور وفتت مخارقه على محارق أبيه وكان أول من أهل العلم والدين ثم انسلخ من آيات الله وانحل دعوى النبوة وأتى من الهتان بما أوحىناه قبل في ولاية حنظلة بن صفوان الكلابى على المغرب ثم خرج صالح بن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد ان ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابغ منهم وأوصى بشرعيته الى ابنه الياس بن صالح ولم يزل الياس مظهر الاسلام مصر على ما وصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالعفاف والزهد الى ان هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لمضى خمسين سنة من ولايته ثم ولّى من بعده ابنه يونس بن الياس فإظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدين تامسانا وما والاها يقال انه حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينة واستسلم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم موعوض يقال له تاملو كالات وهو حجر عال نابت وسط الطريق سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا رحمهم الله قال زمر بن صالح ثم رحل يونس بن الياس الى المشرق ووج ولم يجمع أحد

من أهل بيته قبله ولا بعده وهلك سنة ثمان وستين ومائتين لاربعم وأربعين سنة من ملكه وانتقل الامر
عن بيته الى غيرهم من قرابته فولى امرهم أبو غنير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاسم تولى
على ملك برغواطية وأخذ بدين آباءه واشتهت شوكته وعظم أمره وكانت له في البربر وقائع مشهورة
وأيام مذكورة أشار الى شيء منها سعيد بن هشام المصمودي في أبيات منها قوله

وهذي أمة هلكوا وضلوا * وعار والاسقوا ماء معينا

يقولون النسبي أبو غنير * فانخرى الله أم الكاذبين

سيعلم أهل تامسنا اذا ما * أتوا يوم القيامة قطعينا

هناك يونس وبنو أبيه * يقودون البربر حارثينا

واتخذ أبو غنير من الزوجات أربعا وأربعين لأنهم يسمون في ديانتهم الحسدية أن يتزوج الرجل من
النساء ما شاء وكان له من الولد مثل ذلك أو أكثر وهلك أواخر المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه
ثم ولّى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبي غنير فاقتفى سنته وكان كبير الدعوة مهيبا عنده مملوك عصره
يهادونه ويدافعونه بالموصلية وكان يلبس المخفة والسراويل ويلبس المخيط من الثياب ولا يعم أحد في
بلاد الالفرياء وكان حاقظا للحمار وأفيا بالعهد وتوفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لاربعم وأربعين
سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره وولّى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبي الانصار وهو ابن
اثنين وعشرين سنة فسار سيرة آباءه وادعى النبوة واشتهر أمره وعلا سلطانه وذات له قبائل المغرب
(قال زمر بن صالح) كان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطية وعشرة آلاف من سواهم وقد كان
لملوك العدوتين في غزو برغواطية هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من الادارسة والاموية والشيعية
وغيرهم ولم يزل حنف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الى المغرب زحف المشهور وأجفلت قبائل
زناتة وملوكها بين يديه وانجازوا الى سبتة وأطل عليهم من جبل تطوان وعان جمعهم الكنيف فرجع
عنهم الى جهاد برغواطية فأوقع بهم ومقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الانصار وبعث بسبيهم الى
القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة ثم حاربهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر لما عقدا ابنه
عبد الملك المظفر لمولاه واضح على جهاد برغواطية فعظم أثره فيهم بالقتل والسبي ثم حاربهم أيضا بنو
يفرن لما استمقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سلا واقطعوه وهاغن عمل زيري بن عطية المغربي
صاحب فاس وكان لابي الكمال عليم بن زيري اليفرنى فيهم جهاد كبير حربية ثم التئمه عليه وذلك
أعوام العشرين وأربع مائة فغلبهم على تامسنا وولى عليهم من قبله بعد ان أخذ منهم سبيا وقتل
تراجعا من بعده الى ان جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وفتحوا بلاد المصامدة
وبلا تادلا وتامسنا فأخبر عبد الله بن ياسين بان بساحلها قبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم
وانهم مجوس أهل ضلالة وكفر وأخبر بعاتسكوا به من ديانتهم الخبيثة وقيل له ان برغواطية قبائل كثيرة
وأخلاق شتى اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبئ الكذاب واستمر حالهم على الضلالة
والكفر الى الآن فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطية وما هم عليه من الكفر رأى ان الواجب
تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار اليهم في جيوش المرابطين والامير يومئذ على برغواطية هو
أبو حفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الانصار عبد الله بن أبي غنير محمد بن معاذ بن اليسع
ابن صالح بن طريف فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير
وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزي وولى مهدي المرابطين فكان فيها شهاده ترحمه الله ولم يحضره
الوفاء قال لهم يا معشر المرابطين اني مميت من بومي هذا الاحمال وانكم في بلاد عدوكم فاياكم ان تجميعوا
أو تنازعوا فقتلوا وتذهب ربيحكم وكونوا أعوانا على الحق واخوانا لى ذات الله واياكم والتحاسد على

الرياسة فان الله يوفق ماله من يشاء من خلقه ويستخلف في أرضه من أراد من عباده في كلام غير هذا وتوفي عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم وهو يوم الاحد الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وأربعمائة ودفن بموضع يعرف بكر بظلة وبنى على قبره مسجد او هو مشهور بها الى الآن وكان عبد الله بن ياسين رجح الله شديد الورع في المطعم والمشرب اغمايت عيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئا من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة اقامته فيهم وكان مع ذلك كثير الذكاح يتزوج في كل شهر عددا من النساء ثم يطلقهن ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ومن حسن سياسته انه اقام في صنهاجة السنة والجماعة حتى انه أزمهم ان من فاتته صلاة في جماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط ومن كراماته ان المرابطين خرجوا معه في بعض غزواته ببلاذ السودان فنقد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فقيم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم احضروا تحت مصلاي هذا فحضروا فصادقوا الماء على نحو شهر من الارض عذبا باردا فمروا واستقوا وملئوا وأوعيتهم ومن تقواه وورعه انه لم ينزل صاعا من يوم دخل بلاد صنهاجة الى ان توفي رحمه الله واستمر الامير أبو بكر بن عمر على رياسته ووجدت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين فكان أول ما فعله بعد تجهيزه اياه ودفنه ان زحف الى برغواطة مصمما في حربهم متوكلا على الله في جهادهم فأتحن فيهم قتلا وسيما حتى تفرقوا في المكامن والغياب واستأصل شافتهم وأسلم الباقرن اسلاما جديدا ونحى أبو بكر بن عمر أودعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم وقسمها بين المرابطين وعاد الى مدينة أنعمات

بوغزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحها اياها

لما استقر الامير أبو بكر بن عمر باغمات أقام بها الى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وخرج غازيا بلاد المغرب في أحم لا تحصي من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكاسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها حتى اقتحمها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن وخرّبها فلم تعمر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة أنعمات

بعود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب في ذلك

كان الامير أبو بكر بن عمر اللواتي قد تزوج زينب بنت اسحق النقرافية وكانت بارعة الجمال والحسن كآفتنا وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بادارة الامور حتى كان يقال لها الساحرة فأقام الامير أبو بكر عند باغمات نحو ثلاثة أشهر ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء ووقوع الخلاف بين أهلها وكان الامير أبو بكر رجلا متورا فاعظم عليه ان يقتل المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كفهم ولم ير انه في سمعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤول عنهم فعزم على الخروج الى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ويقوم رسم الجهاد بها ولما عزم على السفر طلق امرأته زينب وقال لها عند فراقه اياها يا زينب اني ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جميلة بصلة لاطاقة لك على حرارتها وانى مطلقك فاذا انقضت عدتك فانكحي ابن عمي يوسف بن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب فطلقها ثم سافر عن انعمات وجعل طريقه على بلاد تادلا حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها اياما حتى أصحح أحوالها ثم سافر الى الصحراء ونقل ابن خلكان عن كتاب العرب عن سيرة ملوك المغرب في سبب رجوع الامير أبي بكر بن عمر الى الصحراء ما مثاله قال كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خيرا الطباع مؤثرا بالبلاد على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملتين

فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابن بكر بن عمر سمع ان محمود في الصحراء ذهبت لها ناقة في غداة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية اه وكان سفرا أبو بكر بن عمر الى الصحراء في ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما وصل اليها أصح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشا كثيرا وغزاه بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة وكان يوسف بن تاشفين قد استعمل أمره أيضا بالمغرب واستولى على أكثر بلاده فلما سمع الأمير أبو بكر بن عمر بآل اليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصحراء ليخبر أحواله ويقال انه كان مضمر العزله وتولية غيره فأحس يوسف بذلك فشاووز وجتسه ز ين بن بنت اسحق وكان قد تزوجها بعد أبي بكر بن عمر فقالت له ان ابن عمك متورع عن سفك الدماء فاذا بقيت فاترك ما كان يعهده منك من الأدب والتواضع معه وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مسأله ثم لطفه مع ذلك بالهدايا من الاموال والخلع وسائر طرف المغرب واستكثر من ذلك فانه بارض صحراء وكل ما جلب اليه من هنا فهو مستطرف لديه فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليه يوسف بن تاشفين فلقبه على بعد وسلم عليه وهو راكب سلا ما مختصر ولم ينزل له ولا تأدب معه الادب المعتاد فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال له يا يوسف ما صنعت بهذه الجيوش قال استعيتهم اعلى من خالفني فارتاب أبو بكر به ثم نظر الى ألف بعير قد أقيمت موقرة فقال ما هذه الابل الموقرة قال أيم الاميراني قد جئت بك بكل ما مهي من مال وأثاث وطعام وأدام لتستعين به على بلاد الصحراء فازداد أبو بكر تعروفا من حاله وعلم انه لا يتخلى له عن الامر فقال له يا ابن عم اتزل أو صيكت فزلا معا وجلسا فقال أبو بكر اني قد وليتك هذا الامر وانى مسؤل عنه فاتق الله تعالى في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار ولا تضيع من أمور وعيتك شيئا فانك مسؤل عنه والله انه الى يصلحك ويعذك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم ثم ودعه وانصرف الى الصحراء فأقام بها مواظبا على الجهاد في كفار السودان الى ان استشهد من سهم مسموم أصابه في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد ان استقام له أمر الصحراء كافة الى جبال الذهب من بلاد السودان والله غالب على أمره

في الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المتوفى

لما غزم الأمير أبو بكر بن عمر على السفر الى بلاد الصحراء دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم المتوفى فعقد له على بلاد المغرب وقوض اليه أمره وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة والبربر واتفق على تقديمه أشيماخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمين تقيته فعاد يوسف من سبلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ان تحال أبي بكر بن عمر بالنصف الآخر وذلك في ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما انتهى يوسف بن تاشفين الى ملوية ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختر منهم أربعة من القواد وهم سير بن أبي بكر اللتوني ومحمد بن تميم الكداني وعمر بن سليمان المسوفي ومدرك التماكاني وعقد لكل قائد منهم على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمين بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبائل البربر القاطنين به ثم سار هوفي أثرهم يتقرى المغرب بلد ابدا ويتبع أهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلونه ثم يظفروهم وقوم يفرقون بين يديه وقوم يلحقون اليه السلم ويبدلون الطاعة حتى دوح بلاد المغرب ثم سار حتى دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زين بنت اسحق النضراوية التي كانت تحت أبي بكر بن عمر فكانت عنوان سعدة والقائمة بملكه والمدة لامره والقائمة عليه بحسن سياستها لكثير بلاد المغرب ومن

ذلك اشارت عليه في امر ابي بكر بن عمرو وكيفية ملاقاته حسبما ذكرناه آنفا وهكذا كان امره هاني كل ما تحاوله رجها الله **ع** وما يحسب استطاب من حديثها ما حكاه ابن الاثير في كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال كان حسن السيرة خيرا عادلا يعيل الى اهل العلم والدين بكرهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب العسفر والصفوح عن الذنوب العظام من ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى احدهم ألف دينار تجربها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه لا مير المسلمين وتمنى الاخر زوجة وكانت من أحسن النساء ولها الحكيم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الاخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما جلك على هذا الذي لا تعمل اليه ثم أرسله الى زوجته فتركته في خيمة ثلاثة أيام ثم أمرت بان يحمل اليه في كل يوم طعام واحد ثم أحضرته وقالت له ما أكلت في هذه الثلاثة الايام قال طعاما واحدا فقالت له كل النساء شي واحد وأمرت له بمال وكسوة وسرحتني الى حال سبيله وكانت وفاتها سنة أربع وستين وأربعمائة

بنياء مدينة مراکش

لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان امر يوسف بن تاشفين قد استعمل بالمرابج جدار ومخف قدمه في الملك وعظم صيته فسمت منه الى بناء مدينة بأوى اليها بمخيمه وجنده وتكون حصانه ولارباب دولته فاشترى موضع مدينة مراکش عن كان يملكه من المصامدة **ع** قال صاحب المغرب **ع** كان ملكا لبحر زمزم ثم نزل الموضع المذكور بخيام الشعرو بنى به مسجد الصلواته وقصبة صغيرة لا خزان ماله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا **ع** وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب التبراس **ع** ان موضع مدينة مراکش كان من ردة لاهل نفيس فاشتره يوسف منهم بماله الذي خرج به من الخمر **ع** وفي كتاب العرب **ع** ان يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراکش بموضع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا وكان ذلك الموضع مكمن للصوم فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الالف كلف مكسورة ثم شين مججمة ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابته من الشجر وبها قوم من البربر فاخطبها يوسف وبنى بها القصور والمسكن الابنية وهي في مرج فسمع وحوها لاجبال على فراخ منها وبالقراب منها جبل لا يزال عليه البرق وهو الذي يعتدل من اجها حرها **ع** وقال ابن خلدون **ع** اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراکش لتزوله ونزول عسكره ولتتمس بقبائل المصامدة القيمة جو اطهم منها في جبل درن اذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا **ع** وفي القرطاس **ع** لما سارع يوسف ابن تاشفين في بناء مسجد مراکش كان يحترم ويدهم في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى قال والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراکش جو فامن جامع الكتبيين منها ويعرف اليوم بالسجينة ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس آبارا فظهر لهم الماء على قرب فاستوطنوها وبنواها قالوا ولم تزل مدينة مراکش لاسو رها الى ان توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله وتولى بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسة مائة يقال كان ذلك باشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور فانه كان قد قدم على السلطان بمراکش فأشار عليه بذلك عند ما نبخ محمد بن تومرت مهدي الموحدين ببجبال المصامدة وكانت مدة البناء ثمانية أشهر وكان الاتفاق على السور سبعين ألف دينار وبنى علي بن يوسف ايضا الجامع الاعظم المنسوب اليه الى اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستمائة ألف دينار أخرى ورأيت في كتاب ابن عسبد العظيم الازموري الموضوع في مناقب بني امغار رضى الله عنهم ان أمير المسلمين علي بن يوسف التتويج لماعزم على ادارة السور على مراکش شاور الفقهاء واهل الخبر في ذلك فنهض من ثبطه ومنهم

كذا ضبطها صاحب كشاف
الظنون الامام القسطنطيني
رحمه الله

من نذبه اليه وكان من جملة من نذبه القاضي أبو الوليد بن رشد ثم شاور بأبي عبد الله محمد بن اسحق المعروف
بامغار صاحب عين الفطر فأشار بينائيه وبعث له من ماله الحلال وأمره أن يجعله في صندوق صائر البناء
ويتولى الاتفاق في ذلك رجل فاضل فقبل السلطان اشارته وعمل برأيه فسهل الله أمر البناء ثم لما جاءت
دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذي ذكر اعني بمدينة مراکش واحتفل في تشييدها
وبالغ في تزيين مساجدها وتشييد مصانعها ومعاهدها على ما نذكر البعض منه في محله ان شاء الله ولم تزل
مراکش دار ملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم
اتخذوا كرسى مملكتهم بمدينة فاس وبنوا بها المدينة البيضاء ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا
الكرسى الى مراکش وبنوا بها قصر البديع المشهور ثم جاءت الدولة الشريفة العاوية فاتخذ المولى
اسماعيل بن الشريف كرسى مملكته بمكاسة الزيتون واحتفل في بنائها احتفاً عظيماً على ما نذكره ان
شاء الله ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مراکش وبنى بها قصوره ومصانعه
واستمرت كرسى المملكتهم الى الآن وفضل مراکش أشهر من أن يذكر لا سيما ما شتمت عليه من
مزازات الاولياء ومدافن الصالحاء الكبار والائمة الاخيار حتى قال الوزير ابن الخطيب في مقامات
البلدان عند ذكره مدينة مراکش هي تربة الولي وحضرة الملك الاولى وعبر عنها أبو العباس المقرئ
في نغم الطيب بعداد المغرب حرسها الله وعانها من ريب الزمان وطوارق الحدثنان

فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين الاجناد واستكثر القواد وفتح كثيراً
من البلاد واتخذ الطبول والبنود ورتب العمال وكتب العهود وجعل في جيشه الاغزاز والرماة كل ذلك
ارهاقاً للقبائل المغرب فكمل له من الجيش في تلك السنة أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة
وجزولة والمصامدة وزناتة والاعزاز والرماة فخرج بهم من حضرة مراکش قاصداً مدينة فاس فلقته
قبائلها من زواغة ولواة وصدنية وسدارنة ومغيلة ويهلولة ومدبونة وغيرهم في خلق عظيم
فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه وانحصر بمدينة صدنية فدخلها
عليهم بالسيف عنوة فهدم أسوارها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف ثم رحل الى فاس فنزلها بعد
ان فتح جميع أحوازها وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة وفتح وقال ابن خلدون ان يوسف بن
تاشفين نازل أول قلعة فازرو بها مهدي بن تولى اليحفي وبنو يحفش بطن من زناتة وكان أبوه تولى
صاحب تلك القلعة وليها هو من بعده فنزله يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف
الكرزائي صاحب مكاسة لانه كان عدواً لعنصر المغراوي صاحب فاس فزحف في عساكر المرابطين الى
فاس وجمع اليه معنصر فرفض جموعه اه والله أعلم ثم أقام يوسف على فاس أياماً فظفر بعاملها بكار بن
ابراهيم فقتله وارثه الى مدينة صفر وادخلها من يومه عنوة وقتل ماوكها أولاد مسعود بن
أفودين المغراوي صاحب سجلماسة وكانوا قد استولوا عليها ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى فتحها
وهو الفتح الاول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فاقام بها أياماً واستعمل عليها عاملاً من لمتونة
وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطى
من موالى بني جود ثم رجع الى منازل قلعة فازان فالفه بنو معنصر بن حماد المغراوي الى فاس فدخلوها
وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها وكان مهدي بن يوسف الكرزائي صاحب بلاد مكاسة قد بايع يوسف
ابن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين فاقره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد
المغرب فجمع مهدي بن يوسف جيشه وخرج من مدينة عوجة سبعة يريد الاجتماع بيوسف بن تاشفين وهو
محاصر لقلعة فازان فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوي صاحب فاس فعاجله في انجاده مغرورة وقبائل زناتة

وأدركه ببعض الطريق وناجزه الحرب ففض جوعه وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب سكوت صاحب
سبته وطنجة وما قتل مهدي بن يوسف بعث أهل مدائن مكاسة إلى ابن تاشفين بالخبر وبدلوا له الطاعة
فلك بلادهم ثم توالى عساكر المرابطين على تميم بن معنصر بالعارات والنهب واشتد عليه الحصار وعمدت
الاقوات بفاس فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبنى يفرن وخرج اليهم لاحدى راحتين
فكانت عليه الهزيمة فقتل تميم وجماعة من عشيرته وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن
ابراهيم بن موسى بن أبي العافية المدكاسي فجمع قبائل زناته وخرج بهم إلى المرابطين فالتقى معهم على
وادي صيفير فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم واتصل الخبر
بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازار فارتحل عنها وخاف جيشا من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها
تسع سنين ثم دخلوها صلحاً سنة خمس وستين وأربعمائة ولما رحل يوسف عن قلعة فازار وذلك سنة ست
وخمسين سار إلى بني مراسن وأميرهم يومئذ يعلى بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقا وفتح بلادهم ثم سار
إلى بلاد فندلاوة فغزاهم وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها إلى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ثمان
وخمسين وأربعمائة وفي سنة ستين فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف إلى طنجة وفي سنة اثنتين
وستين أقبل إلى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد أن فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبته وشيّد
الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم خلقا كثيرا
حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاندلس ما يزيد على
ثلاثة آلاف وفرن من بقي منهم إلى احواز تلمسان وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس
ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفي هذا الخبر بعض مخالفة لما قدمناه في أخبار
مغراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن زرعور بك أعلم عن هوأهدى سيديا فلما دخل
يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة
الاندلس وصيرهما مصر واحد وحصنها وأمر ببنائها المساجد في شوارعها وأزقتها وأي زقاق لم يجد
فيه مسجد أعاقب أهله وأمر ببناء الحمامات والقنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقامها إلى
صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج إلى بلاد ماوية ففتح حصون وطاط وفي سنة أربع وستين
بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناته وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر
فقدموا عليه وبياعوه وكساهم ووصلهم بالاموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتفقد أحوال
الريعية والنظر في سيرة ولاته وعماله فيها وهم في صحبته فصلح على يده الكثير من أمور الناس وفي سنة
خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان وفي سنة
سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غيمانه وبنى مكود وبنى رهينه وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها
فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكاسة وبلاد مكالنة وفازاز وولى هربن
سليمان على فاس وأحوازها وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعة وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة
مرآكش وانغات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين
سوى سبته وطنجة وكان من خبرهما ما ذكره

فتح سبته وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس

كانت سبته وطنجة لبني جود الادرسيين من لدن دولة الامويين بالاندلس ولما انقرضت دولتهم
وخلفهم بنو جود المذكورون بها استباوا على سبته وطنجة من وثقوابه من مواليهم الصقلية ولم يزل
أمر المدينتين إلى نظرها لولا النواب واحد بعد واحد إلى ان استقل بها الحاجب سكوت البرغواطى
وكان عبد الشيخ حداد من موالي اليهوديين اشتراه من سبي برغواطية في بعض أيام جهادهم ثم صار إلى على

ابن جود فاخذت النجابه بضميه الى ان استقل بالامر واقعد كرسى عملهم بطخجة وسبته وأطاعته قبائل
 غماره واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ونازل
 بلاد غماره فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرة عليهم فقاموا بالاجلاب معه ومظاهرة على عدوه ثم ثناء
 عن ذلك ابنه الفائل الرأى فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنه واثقاد المغرب اطاعته صرف
 عزمه الى الحاجب سكوت وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه
 للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجاب يوسف بقوله لا يمكننى ذلك الا اذا ملكت طنججة وسبته فراجع
 ابن عباد يشير عليه بان يسير هو اليها بعساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد قباطع في البحر
 فينازلوها ايضا حتى يتملكها فأخذ يوسف في محاولة ذلك وصرف عزمه اليه ثم دخلت سنة سبعين
 وأربعمائة فجهز اليها قائد صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من
 سائر قبائل المغرب فلما قربوا من طنججة برز اليهم الحاجب سكوت بجوعه وهو شيخ كبير قد ناهز
 التسعين سنة وقال والله لا يسمع أهل سبته طبول التتوني وأنا حتى أبدا فالتقوا الجمعان بوادى منى من
 أحواز طنججة والتحم القتال فقتل سكوت وفضت جوعه وسار المرابطون الى طنججة فدخلوها واستولوا
 عليها ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبته فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف
 وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مرزوق بن تياكان التتوني لغزو تلمسان
 والمغرب الاوسط فسار اليها في عشرين ألفا من المرابطين وكان بتلمسان يومئذ العباس بن بختى من ولد
 يعلى بن محمد بن الخبير بن محمد بن خزر المغراوي فدوخوا المغرب الاوسط وتقرروا بلاد زناتة وظفر وابعلى
 ابن الامير العباس بن بختى فقتلوه وانكفأوا راجعين الى يوسف فألقوه بمراكش ثم دخلت سنة ثلاث
 وسبعين فيها غير يوسف بن تاشفين السكة في جميع عمله وكتب عليها اسمه وفيها فتح مدينة آكرسيف
 ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتح مدينة تكور ونحوها فلم يعمر بعد ثم دخلت سنة أربع وسبعين
 وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بني يزناسن وما والاها ثم سار
 الى تلمسان ففتحها واستسلم من كان بها من مغراوة وقتل أميرها العباس بن بختى المغراوي وأزل بها
 عامله محمد بن تينغمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت ثغر المملكة واختط بها مدينة تاكرارت
 بمكان محامته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وان شريس وجميع أعمال
 شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل مراكش في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين
 وأربعمائة ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب
 العدو على أكثر ثغورها وبسأله النصر والاعانة فأجاب يوسف بقوله اذا فتح الله على سبته اتصلت بكم
 وبذلت جهدى في جهاد العدو وكان الفتن قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصى من
 الافرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فسحق بلاد الاندلس شقايق على كل مدينة منها فيفسد
 ويخرب ويقتل ويسبي ثم يرتحل الى غيرها ونزل على اشبيلية فأقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرب وكذلك
 فعل في شذونة وأحوازها ونزح بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى خيرة طريق فادخل
 قوائم فرسه في البحر وقال هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته ثم رجع الى مدينة سرقسطة فنزل عليها
 وحاصرها وحلف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح على غيرها
 فبذل اليه أميرها المستعين بن هو دمالا عظيما فلم يقبله منه وقال المال والبلادى وبعث الى كل قاعدة
 من قواعد الاندلس جيشا لحصارها والتصديق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر
 ابن ذى النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة فكان ذلك من أقوى الاسباب المحركة لعزائم المسلمين
 بالاندلس والمغرب على الجهاد

الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس

لما انقضت دولة بني أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعيانها شديدا وقاتل منهم
عريض مديد وخلفتها الدولة الحمدانية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس ملكتها وتوزعوا
أعمالها وصارت الحال الى ما قال ابن الخطيب

حتى اذا سلك الخلافة انتثر * وذهب العين جميعا والائر

قام بكل بقعة مليك * وصاح فوق غصن ديك

فوجد العدو والسبيل الى الاستيلاء على ثغور المسلمين وانتهز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها واغراء
بعضهم ببعض وكان منهم ابن عباد اشبيلية وابن الافطس بيطليوس وابن ذي النون بطليطة وابن
هودب سرقطة ومجاهد العامري بدانية وغير هؤلاء وكلهم يدارى الطاغية ويتقيه بالجزية الى ان كان
من أمر الادفونش ما كان من تخريب بلاد المسلمين واستيلائه على طليطلة بعد حصاره اياها سبع سنين
ثم حصاره سرقطة فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدين واستطالته على ثغور
المسلمين أجمع رأبهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة
يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنفهم ويكونوا معه يد او واحدة عليه فلما تواترت رسلهم وكتبهم عليه
بعث ابنه العزيز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فجاز لها برا وأحاطت بها أساطيل ابن
عباد بجرا فاقتموها عنوة في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقبض على صاحبها ضياء
الدولة يحيى بن سكوت البرغواطى وجى به الى المغرب سير اقبله صبيرا وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو
بفاس ينظر في أمر الجهاد ويستعد له ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصدا نحوها ليعبر منها
الى الاندلس ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنصار يوسف الى الجهاد فلقبه
مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاث مراحل من سبتة **وقال ابن خلدون** لقيه بفاس
فأخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من
عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم فقال له يوسف ارجع الى بلادك وخذ في أمرك فاني على أثرك
ورجع ابن عباد الى الاندلس ونزل ليوسف عن الجزيرة الخضراء التي تكون باب الجهاد ودخل يوسف
سبتة فنظر في أمرها وأصلح سبقتها وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والصحراء والقبلة والزاب
فتسرع في اجازتها الى الاندلس ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو في أثرها في موكب عظيم من
قواد المرابطين واجتادهم وصلحائهم فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال اللهم ان كنت تعلم
ان في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبده وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبده
فسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال منتصف ربيع الأول سنة
تسع وسبعين وأربعمائة ونزل بالخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقبه المعتمد بن عباد صاحب
اشبيلية وابن الافطس صاحب بيطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس واتصل الخبر بالادفونش وهو
محاصر لسرقطة فارتحل عنها وقصد نحو أمير المسلمين وبعث الى ابن ردمير والبرهانس وغيرهما من
كبار النصرانية واستنفر أهل قسالة وجليقية وسائر المجاورين له من أم النصرانية فاجتمع له منهم
ما يفوت الحصر وصعد الى ابن تاشفين والمسلمين هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن
أبي زرع وغيرهما وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الجيرى مساقا غير هذا ولندكر بعض
ما نقلوه من ذلك فنقول لما ملك يوسف بن تاشفين المغرب وبني مراکش وتلمسان الجديدة وأطاعته
البربر مع شكيتها الشديدة وتمهدت له الاقطار العريضة المديدة تافت نفسه الى العبور لجزيرة
الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء السفن والمرالكب ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس

كرهوا المصاهرة بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد الا انهم استهزلوا بوجهه واستصعبوا مدافعة وكرهوا
 أن يصحوا بين عدوين الفرج عن شمالهم والمثمنين عن جنوبهم وكانت الفرج قد اشتدت وطأتم اعليهم
 فتغير وتتهرب وما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرج مع ذلك تهرب
 جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ امره ونقله دولة زناته وملك
 المغرب اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لابطال المثمنين ومشائخ صنهات في المعارك من ضربات السيف
 التي تقدر الفارس والطعنات التي تنظم السكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم
 وكان ماوك الاندلس يفيون الى ظل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم مما عبر اليهم وعين بلادهم
 فلما رأوا عزيمته متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم في أمره وكان فرعهم في ذلك
 الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم عمالة فوقع اتفاقهم على مكابته وقد تحققوا انه يقصدهم
 يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول أما بعد فانك
 ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا داعيك نسبتنا الى عقل ولم تنسب الى وهن
 وقد اخترنا لانفسنا أجل نسبتنا فاخترنا لفسك أكرم نسبتك فانك بالمثل الذي لا يجوز ان تسبق فيه
 الى مكرمة وان في استبقائك ذوى البيوت ماشئت من دوام الامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب
 مع تحف وهدايا وكان يوسف لا يعرف اللسان العربي لكنه كان ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له
 كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ماوك الاندلس يعظموك
 فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي
 فانهم مسلمون وهم من ذوى البيوت فلا تغير بهم وكف بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلادهم
 ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عن أطاعتك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين
 لكاتبه فأتري أنت فقال أيها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يردبانه خليف عا حصل
 في يده من الملك أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكل ما هب جزيا كان أعظم لقدرة فاذا
 عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم
 يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لا آخره واعلم ان بعض الماوك الاكابر والحكام
 البصره بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قادم من قادمك البلاد فلما ألقى الكتاب هذا
 الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرا
 على كتابك فكتب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم وانكم كما بايديكم من الملك في أوسع اباحة
 مخصوصون من ابا كرام ايثار وسماحة فاستدعوا ووفاء نوافذكم واستصلموا اخاءنا باصلاح اخائكم
 والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن
 به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط مما لا يكون الا في بلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرأوا
 كتابه فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته وتوقوت نفوسهم على دفع الفرج وأزمعوا ان رأوا من الفرج
 ما يريهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه عليه فتأق ليوسف بن تاشفين برأى
 وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه حربهم ووقوال ابن الاثير في الكامل كان المعتمد بن عباد
 أعظم ماوك الاندلس ومتملكا كبر بلادهم مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى
 الادفونش كل سنة فلما تملك الادفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم
 يقبلها منه ثم أرسل اليه يتهدده ويتوعده بالسيار الى قرطبة وتلكها من يده الا أن يسلم اليه جميع
 الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة فارس فأنزله

المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده وأحضر الرسول فصفعه
 حتى برزت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فمادوا إلى الأذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها إلى
 قرطبة ليحاصر هافلبا بلغه هذا الخبر ورجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذي
 سبق وعاد المعتمد إلى أشبيلية وأقام بها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها وقال ابن عبد المنعم الحميري في
 كتابه الروض المعطار ما ملخصه **ب**ح أن المعتمد بن عباد آخر في سنة من السنين الضريبة التي كان يدفعها
 للأذفونش عن وقتها ثم أرسلها إليه بعد دفع غضب الأذفونش واشتتط وطلب بعض الحصون زيادة على
 الضريبة وأمعن في الشجى حتى طلب أن تأتي زوجته إلى الجامع الأعظم بقرطبة قتلديه إذ كانت حاملا
 وكان بالجانب الغربي من المسجد المذكور موضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها المسجد فأشار عليه
 الأطباء والقسيسون أن تكون زوجته ساكنة قرب ولادتها بمدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن
 الناصر لدين الله وأبدع في تشييدها وتجيدها وتتردد المرأة مع ذلك إلى الجامع المذكور حتى تكون
 ولادتها بين طييب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول في ذلك يهوديا وكان وزيراً
 للأذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجع اليهودى وأغاظ له في القول ولسه بكامة آسفته فأخذ
 ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودى فانزل دماغه في حلقه وأمر به فصل منكوسا
 بقرطبة ولما سكن غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودى فبادره الفقيه محمد بن الطلاع
 بالرخصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء
 انما بادرت بالقتوى خوفا ان يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في
 عزيزته للمساكين خيرا وبلغ الأذفونش ما صنع ابن عباد فاقسم بالله لته ليغزونه بأشيبيلية وليحاصر نه
 في قصره ثم زحف في عسكرين أحدهما عليه والآخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الأعظم
 بأشيبيلية قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب إلى ابن عباد زاريا عليه **ك**ثير بطول مقامى
 في مجلسي هذاعلى الذباب واشتتدا الحرفا تحفى من قصرك بمروحة أروح بهاعلى نفسى وأطرد بها
 الذباب عن وجهى فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيالك واجهالك
 وسأ نظرك في مرواح من جلود اللط تروح منك لاعليك ان شاء الله فلما وصلت رسالة ابن عباد
 الأذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفسانى الاندلس توقيح
 ابن عباد وما أظهر من العزيمة على اجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس
 وفرحوا بذلك وانفتحت لهم أبواب الأمال وأماموك طوائف الاندلس فلما تحق قوا عزم ابن عباد
 وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه فنه من كاتبه ومنهم من شافهه وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم
 والسيفان لا يجتمعان في غد فأجابهم ابن عباد بكامة التي صارت مثلا لوعى الجمال خير من رعى الخنازير
 ومعناه ان كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسير ايرى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للأذفونش
 أسير ايرى خنازيره وقال لمن لاهه يا قوم انى من أمرى على حالتين حاله يقين وحالة شك ولا بدلى من
 احداهما أما حالة الشك فاني ان استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش ففي الممكن أن يبق لى ويبقى
 على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت إلى ابن تاشفين فاني أرضى
 الله وان استندت إلى الأذفونش أضطت الله فاذا كانت حالة الشك فهما عارضة فلاى شى أدم ما يرضى
 الله وآتى ما يخطئه فحينئذ ذاقصر أصحابه عن لومه ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس
 المتوكل على الله عمر بن الافطس وصاحب غرناطة عبد الله بن حبوس المنهاجى أن يبعث إليه كل منهما
 قاضى حضرته ففعلا واستحضر قاضى الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن آدم وكان أعقل أهل زمانه
 فلما اجتمع عند ابن عباد القضاة بأشيبيلية أضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله

الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه في الجهاد وأسند الى الوزير
 ما لا بد منه من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تقدم عليه وفود تغور الاندلس
 مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع
 اليهم ويصغي لقولهم وترقى نفسه لهم ولما انتهت رسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم منواهم وجرت
 بينه وبينهم مراضات ثم انصرفوا الى مرسلهم ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء
 فخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوفا جابوا اليه ما عندهم من سائر
 المرافق وأذوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلات المساجد والرحاب بالطوعة وتواصوا بم
 خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار **و** وقال ابن الاثير **و** لما رجع المعتضدين عمادا الى اشيلية وترك
 قرطبة بدون مدافع وسمع مشائخها يجري من قتل ابن عماد لليهودى وراوقوة الفرخ وضعف
 المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرخ على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها
 الفرخ ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى
 القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم
 الجزيرة بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأنا أيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا ان كتب الى عرب افر يقية
 ونشترط لهم اذا وصلوا اليها فاسمناهم أموالنا وخر جنامهم مجاهدين في سبيل الله قال أخاف اذا وصلوا
 اليها ان يخرجوا بلادنا كما فعلوا بافر يقية ويتركوا الفرخ ويبدؤنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب اليها
 قالوا له فكانت يوسف بن تاشفين وأرغب اليه في العمور اليها أو يرسل بعض قواده وينفاهم يتفاوضون
 اذ قدم عليهم ابن عماد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عماد أنت
 رسولى اليه في ذلك فامتنع القاضي وانما أراد ان يرى نفسه من تهمة تلحقه فألح عليه المعتضد فبر
 القاضي البحرالى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من
 الاذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ عدينة سبتة في الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس
 وأرسل الى مرا كس في طلب من بقى من عساكره فأقبلت اليه يتلوا بعضها بعضها فلما تكاملت عنده
 عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتضدين عمادا بشيلية وكان المعتضد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل
 قرطبة عسكري كبير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع
 عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبته له
 بعض غواة ابناء المسلمين يعاظ له في القول ويصف ما معه من القوة والعدد وبالغ في ذلك فلما وصل وقرأه
 يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبها مغلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين
 قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب على ظهره الذي يكون ستره وأرسله اليه فلما
 وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلى برجل له دهاء وعزم **و** هوذا كرا بن خلدون **و** أن يوسف بن تاشفين
 أمر بعبور الجمال فعبور منها ما أعص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عمان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا
 جلاقط ولا خيلهم مرأتها فصار الخيل تجتمع من روية الجمال ورغائهما وكان ليوسف في عبورها
 رأى مصيب فكان يمدق بها عسكريه ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرخ تجتمع منها وقد قدم يوسف بن
 تاشفين بين يديه كتاب الاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزيرة أو الحرب كما هي السنة
 ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الله في الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن
 تعبر عليها البحر اليها فقد عبرناه اليك وقد جمع الله تعالى في هذه العرصه بيننا وبينك وسترى عاقبة دعاك
 وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه يوسف جاش بمرغبطه وزاد في طغيانه
 وأقسم أن لا يبرح من موضعه حتى يلقاه **و** لمرجع الى كلام صاحب الروض المعطار قال رحمه الله فلما عبر

يوسف وجميع جيوشه البحر الى الخضراء نهض الى اشيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا
 بعد أمير وقبلا بعد قبيل وبعث المعتمدين الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات
 ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشيلية وخرج المعتمد الى لقاء
 يوسف من اشيلية في مائة فارس من وجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحوهم وركضوا نحو
 ثم برز اليه يوسف وحده والتمتيا من فردين ودماعا فواتعا وأظهروا كل منهما لصاحبه المودة والخلاص
 وشكرانم الله وتواصيا بالبر والرحمة وبشرا أنفسهم بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعوا الى الله
 في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه واقترقا فعاذ يوسف لمحله وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد
 ما كان أعدته من هدايا وتحف وضيافات وأسعها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما
 أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتمسك نحو اشيلية ففعل ورأى الناس
 من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وكذلك فعل
 العسرا ويون مع يوسف أهل كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما رأى اجتماع
 العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح فاستنفر الفرنجة للخروج ورفع القسيسون والزهبان والاساقفة
 صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالعة والافرغ ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق
 تتردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى بالمجي من بلاده وخوض
 البحر وأنا كفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعباً مضى اليكم وألتم في بلادكم رقابكم وتوفير اعليكم
 وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني ان أممكم منهم من الدخول الى بلادى فناخر وفي فيها وبين
 جدرها وربما كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل
 يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت على اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى
 فيكون في ذلك صون لبلادى وجبريل كاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت
 أن يكون في وفي بلادى اذا ناخر وفي في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جوعه على باب دربه
 وترك بقية جوعه خلفه وقال حين نظروا الى ما اختاره منهم هولاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء
 فالقتل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد أتباع وأما النصرارى فيعجبون من يزعم ذلك
 ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين كان أقل من عدد الكفار ورأى
 الاذفونش في نومه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم
 يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بنفسه يرأى وأقصصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فإيعقه فقال
 تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر
 السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وذلك يقتضى
 هلاك هذا الجيش الذى تجمه فلما اجتمع جيشه ورأى كثرتة أعجبه فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا
 الجيش ألقى الله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه
 وذكر الحديث ثلاث مهلكات وفيه واغجاب المرء بنفسه ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم
 السلطان يوسف نحوه أيضا وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج بقفواته بجيش فيه جماعة الغرور
 ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد متقا ثلاثا لبيت سائر مجيزه بالبيات
 من شعره

لا بد من فرج قريب * يأتيك بالحب الجيب غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
 لله سـعدك انه * نيكس على دين الصليب لا بد من يوم يكو * ن له أحا يوم القليب
 ووافى الجيوش كلها بطيوس فأناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس

فلقبهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود ثم جاءهم الخبر بشخص الاذفونش اليهم وهو قال
ابن أبي ذر عن محمد بن يوسف بن تاشفين من الخضراء قاصدا نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده
أبا سليمان داود بن عائشة وكان بطلامن الابطال في عشرة آلاف فارس من المرابطين بعد ان قدم امامه
المعتمد بن عباد مع امراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المرية وابن حبوس صاحب
غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذى النون وابن الافطس وغيرهم فأمرهم يوسف ان
يكونوا مع المعتمد فتكون محلة ملوك الاندلس واحدة ومحلة المرابطين أخرى فتقدم بهم ابن عباد فكانوا
اذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحلته فيزولوا كذلك حتى نزلوا مدينة طرطوشة فأقاموا بها
ثلاثا وكتب منها يوسف الى الاذفونش يدعوهم الى الاسلام أو الجزية أو الحرب وكان جواب الاذفونش
ما تقدم ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى نزلوا معابا بالقرب من بطلموس وكان نزول يوسف بموضع
يعرف بالزلاقة وتقدم المعتمد فنزل ناحية أخرى تجز بينه وبين يوسف بوة وبين المسلمين والفرنج نهر
بطلموس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى ان وقع اللقاء على
ما ذكره ولما زلف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عينونه في محلات الصخر او بين خوف عليهم من مكائد
الاذفونش اذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصخر او بين
كان لا يخرج الى طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيافا بالمحلة بعد ترتيب الخيل
والرجال على أبواب المحلات ثم قامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على
الموت وعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والملاحون في الناس مقام الوعظ وحضوهم على
الصبر والتمسك وحذروهم من الغشل والفرار وجاءت الطلائع تخبران العدو مشرف عليهم صبيحة
يومهم وهو يوم الاربعاء أصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكعب الاذفونش ورجع الى أعمال المكر
والخدعة فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول
غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والا حديدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان
يوسف وأعلمه انه احب له منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم
الجمعة كل النهار ويقال ان الاذفونش واعدهم ليوم الاثنين وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس
كما أشار ابن عباد وبعدهم من الليل انبىه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي وكان
في محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح
والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن
عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر العدو الكافر ثم جاء بالليل فارسان من طلائع
المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعوا ضواء الجيش وخشخشة السلاح ثم تلاحق بقية
الطلائع محققين لتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلاتهم تقول استترقنا السمع فسمعنا
الاذفونش يقول لأصحابه ابن عباد مسرور هذه الحروب وهؤلاء الصخر او يون وان كانوا أهل حفاظ وذوى
بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له فان انكشف
لكم هان عليكم الصخر او يون بعده ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه الجملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب
أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فضى ابن القصيرة
يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجاية الامر فقال له قل له انى سائر اليك ان شاء الله وأمر
يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمهاله حتى يدخل محلة النصرارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش
مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيتة جنود الطاغية فقدم ابن
عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحوى

الوطيس واستخر القتل في أصحاب ابن عباد وصر صبرا لم يعهد مثله واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه البلاء وساءت الظنون وانكشف البعض منهم وفيهم ابنه عبد الله بن المعتمد وأنجن هو جراحات في رأسه وبدنه وعقرت تحته في ذلك اليوم ثلاثة أفراس كلها هلك واحد قدم له آخر ونذ كرتي تلك الحالة بناله صغيرا يكتفى أباه اسم وكان قد تركه باشيلية

عيا لاقفال أباه اسم هشمه قنتي الشفار * فله صبري لذالك الاوار

ذكرت خصيصك تحت الجحاح * فلم ينثنى ذكره للفردار

ثم كان أول من وافي ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شهرا فتنفس بحميته على ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله قدملا ت أصواتها الجوفلا أبصره الاذفونش وجه جلته اليه وقصده بعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصددهم صدمة ردتهم الى مر كرههم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق الناس ريح الظفر وتباشر وابانصر ثم صدقوا جميعا الحملة فزلت الارض من حوافر الخيل وأظلم النهار بالجحاح وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وجعل معه جملة جاء معها النصر وتراجع المنزموين من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتمام الفتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا بمنزما وقد طعن في احدى ركبته طعنة بقي يجمع بها بقية عمره قالوا وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فارس يومئذ اثني عشر بين ساقات المسلمين وصفو فهم يحرثهم ويقوى نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر فقاتل الناس في ذلك اليوم قتال من يطلب الشهادة ويرغب في الموت ويوعى على سياق ابن خلكان ان ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء وكان الموعد بالماخرة يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلا كان صبر يوم الجمعة منته فرجب أقبلت طلوع ابن عباد والرومي في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبت الخبر في العساكر فاجت بأهلها اورجفت الارض وصارت الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمت خيل العدو فمرت ابن عباد وحطمت ماتعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه وفررت رؤساء الاندلس وأسلموا بحملاتهم وظنوا انه وهى لا يرفع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش ان أمير المسلمين في المنزموين ولم يعلم ان العاقبة للفتين فتقدم أمير المسلمين وأحدقت به أنجاد خيله ورجاله من ضهاجة ورؤساء القبائل وقصدوا حملة الاذفونش فاقتصموا وقتلوا حاميها وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والافاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان أمير المسلمين فيها فقصده فافرج لهم عنها ثم كرت عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر أمير المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعتزك بدرق اللط وسيف الهند ومرض اريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فاحت بفرسانها وأجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود فعدت من أريقه فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنبرا كان متمنطقا به فائتبه في نخذه فهتك حلق درعه وشك نخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الجملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا نظهورهم وأعطوا أفضاءهم والسيوف تصدغهم والراح تطعنهم الى ان لحقوا برؤة لجوا اليها واعصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الرؤة وأقاموا من بعد ما نسبت فيهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الاثاث والانية والمضارب والاسلحة وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم ووقال صاحب الروض المعطار بجلبا الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس ما منهم

الامكلموم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابه وعمل المسلمون من رؤسهم ما ذن يؤذون عليها
 والمخدول ينظر الى هوضع الواقعة ومكان الهزيمة فلا يرى الانكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على
 السلطان يوسف وصاحفه وهنأه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه
 وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم زامهم عنه فقال له هاهم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليصبروا
 وكتب ابن عباد الى ابنه باشييلية كتابا مضمونه كتابي هذا اليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف
 رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب
 الاليم والخطب الجسيم فالمد الله على ما يسره وسنائه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في
 تشتيت شمعل الأذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الخليم ولا أعدمه الوبال
 العظيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل بجميع أبطاله وجناته حتى اتخذ المسلمون من
 هاماتهم صوامع يؤذون عليها فله الحمد على جميل صنعه ولم يصنني والحمد لله الاجرات بسيرة آلمت
 لكتها فرحت بعد ذلك فله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء مثل
 ابن ربيعة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحم الله
 الجميع ﴿وحيكى﴾ ان موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم الاعلى ميت أودم وأقامت
 العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستمؤذن في ذلك السلطان يوسف فمف عنها وأثرها
 ملوك الأندلس وعرفهم ان مقصوده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما
 رأته ملوك الأندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين
 بقطع رؤس القتلى وجعها فقطعت وجمع بين يديه منها أمثال الجبال فبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف
 رأس والى قرطبة مثل ذلك والى بلنسية مثلها والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدو
 أربعين ألف رأس فقسمت على مدن العدو ليراه الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر
 والظفر العظيم ﴿قال ابن أبي زرع﴾ وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن يدعى به
 قبل ذلك وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدو والى تخمين المعز
 الصنهاجي صاحب افريقية فعملت المفترحات في جميع بلاد افريقية والمغرب والأندلس واجتمعت كلمة
 الاسلام وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى ولما بلغ الأذفونش الى بلاده وسأل
 عن أصحابه وبأطاله ففقدهم ولم يسمع الا نوح الذكالي عليهم انغم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفا ونحما
 وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فحصنت بطليطة ورجل العتدالي
 اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام يوسف بنظاهرة اشبيلية ثلاثة أيام وورد عليه الخبر بوفاة
 ولده أبي بكر بن يوسف وكان قد تركه مريضاً بسنة فانغم لذلك وانصرف راجعا الى العدو وذهب معه ابن
 عباد بوما وليمة فعزم عليه يوسف في الرجوع الى منزله وكانت جراحاته قد تورمت عليه فسير معه ولده
 عبد الله الى ان وصل البحر وعبر الى المغرب وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الأندلس وقصده ملاقة
 الأذفونش قد تحرتى المسير بالعراء من غير ان يمر بمدينة اورستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش
 وهناك اجتمع بعساكر الأندلس قاله ابن خلدكان ولما فرغ من الواقعة رجع عوده على يده كل ذلك
 نورع منه وتكرّم وتخفيف عن الرعايا رجه الله ورضى عنه ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس
 وهنئ بالفتح وقرأت القرءاء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه ﴿قال عبد الجليل بن وهبون﴾ حضرت
 ذلك اليوم وأعدت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأت الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعري
 والله ما بقى لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به اه ومن هنا اختلفت أقوال المؤرخين في حال أمير
 المسلمين في الجهاد فقيل لانه لم يرجع الى بلاد الأندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم لهم

بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو وقيل انه عاد اليها ثانيا والثا على هذا القول فاختلصوا في زمان ذلك العود وتاريخه والله تعالى أعلم

بقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الأندلس وكبيرهم ابن عماد

اعلم ان أقوال المؤرخين اختلفت في أمر يوسف بن تاشفين بعد غزوة الزلاقة فحكى ابن خلكان وغيره ان أمير المسلمين لما عزم على النهوض الى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبي بكر اللثوني بارض الأندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرج فاستراح سير بن أبي بكر أياما قلائل ثم دخل بلاد الأذفونش وشن الغارات فتهب وقتل وسبوا وفتح الحصون المنيعه والمعقل الصعبة وتوغل في بلاد العدو وحصل على أموال جليله وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا في جميع ما استولى عليه وأرسل الى السلطان يوسف بجميع ما حصله وكتب اليه يعرفه ان الجيوش بالغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق عيش وأنكده وملوك الأندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه ان يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو فمن فعل فذلك ومن أبي فحاصره وقائله ولا تنفس عليه ولتبدأجن والى الثغور منهم ولا تعرض لابن عماد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فقول عليه أمير من عسكرك فامتثل سير بن أبي بكر أمره واسم تترهم واحدا بعد واحد حتى كان آخرهم ابن عماد فالحقه بهم ونظمه في سلكهم على ما ذكره وقال ابن أبي زرع كلما كانت سنة احدى وعشائين وأربعه مائة جاز أمير المسلمين الى الأندلس الجواز الثاني برسم الجهاد قال وسبب جوازه ان الأذفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جموعه عمد الى حصن لبيط الموالى لعماد بن عماد فحاصره بالخيل والرجال والرماة وأمرهم ان يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون في أطراف بلاد ابن عماد دون سائر بلاد الأندلس اذ كان السبب في جوازا أمير المسلمين الى الأندلس فكانوا ينزلون من الحصن في الخيل والرجال فيغيرون ويقتلون ويأسرون قد جعلوا ذلك وظيفة عليهم في كل يوم فساء ابن عماد ذلك وضاق به ذرعا ثم عبر البحر الى العدو مستنقرا الامير المسلمين فلقية بالمعمورة من حلق وادى سبوا وهذه المعمورة هي السماعة اليوم بالمدينة من أحواز سلا فمشى اليه حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله فوعده الجوازا اليه فرجع العتمدوسار يوسف في أثره فركب البحر من قصر المجاز الى الخضراء فلقاه ابن عماد بها بالف دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الأندلس يدعوهم الى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا وبينكم حصن لبيط ثم تحرك يوسف من الخضراء وذلك في ربيع الاول من السنة المذكورة فنزل على حصن لبيط وفي القاموس لبطيظ كزنييل بلد بالجزيرة الخضراء الأندلسية ولعله هو هذا فلما نزله أمير المسلمين لم يأت به ممن كتب اليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية وابن عماد صاحب اشبيلية فنازلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرج كل يوم ودام الحصار على الحصن اربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا الى ان دخل فصل الشتاء وقع بين ابن عبد العزيز وابن عماد نزاع وشناق فمشى العتمد الى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه الى ابن عماد فاقتل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء ولما علم الأذفونش بذلك حشد أمم النصرانية وقصد الى حياية الحصن في أمم لا تحصي فلما قرب من الحصن انحرف له يوسف عنه الى ناحية لورقة ثم الى المربة ثم جاز الى العدو وقد تغير على أمراء الأندلس لكونهم لم يأت به منهم أحد عند ما دعاهم الى الجهاد ومنازلة الحصن ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور أقبل الأذفونش حتى نزل عايه فاخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته وأخرج من كان فيه من بقية النصارى المنفلتين من مخالفة النية وعاد الى طليطلة فاستولى ابن عماد عليه بعد خلائه ووفاء جميع جاته بالقتل والجوع عسوى

تلك الصباية المنفصلة وكان فيه عنده ما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية فأتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنقلتون منه عند أخلائه ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث برسم الجهاد فسار حتى نزل على طليطلة وحاصرها الأذقونش وشق الغارات باطرافها فأكسحها وانتسف عمارها وزرعها وخرّب عمرانها وقتل وسبوا ولم يأتها من ملوك الأندلس أحد ولا عرج عليه منهم معرج فعاظه ذلك ولما قفل من غزو طليطلة عمده إلى غرناطة فنازلها وكان صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس قد صالح الأذقونش وظاهره على أمير المسلمين وبعث إليه عمال واشتغل بتحصين بلده وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره يبنى على نفسه سقاها * كأنه دودة الحرير دعوه يبنى فسوف يدري * إذا أتت قدرة القدير ولما انتهى أمير المسلمين إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق أبوابها وونه فحاصره أمير المسلمين نحو شهرين ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الأمان فأقننه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد فدخلها وبعث بعبد الله وأخيه تميم بن بلكين صاحب مالقة إلى مراکش مع حريمهما وأولادهما فاقام بها وأجرى عليهما الاتفاق إلى أن ماتا بها ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة وما أضيف إليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه ويقال إن ابن عباد طمع في غرناطة وإن أمير المسلمين يعطيه أياها فعرض له بذلك فأعرض عنه أمير المسلمين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبّر إلى العدو في رمضان سنة ثلاث وثمانين المذكورة ولما انتهى إلى مراکش ولي على الأندلس قائده سير بن أبي بكر اللتوني وقوض إليه جميع أمورها كلها ولم يأمره في ابن عباد بشيء فسار سير بن أبي بكر نحو أشبيلية وهو يظن أن ابن عباد إذا سمع به يخرج إليه ويتلقاه على بعد ويحمل إليه الضيافات على العادة فلم يفعل وتحصن منه ولم يلتفت إليه فراسله سير بن أبي بكر أن يسلم إليه البلاد ويدخل في طاعة أمير المسلمين فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سير إلى حصاره وقتاله وبعث بعض قواده إلى قرطبة ليحاصرها وهي يومئذ للمأمون بن المعتمد بن عباد فنازلها في عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الأربعاء ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وقتل صاحبها المأمون بن المعتمد ثم فتح يباة وأبدة وحسن البلاط والمدور والصحيرة وشقورة ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد الاوقدملكه المرابطون ماء داقرمونة وأشبيلية ثم ارتحل سير بن أبي بكر إلى قرمونة فنازلها حتى دخلها عنوة واليوم السبت السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة فاشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث إلى الأذقونش لعنه الله يستغيث به على المتونو ويعدده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد أن هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث إليه الأذقونش قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل فلما علم سير بقدم الفرغخ إليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل الشجاعة والنجدة وقدم عليهم إبراهيم بن اسحق اللتوني وبعثه للقاء الفرغخ فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهما حرب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ومنهم الله النصر فهزموا الفرغخ وقتلوهم حتى لم يفلت منهم الا القليل ثم شد سير بن أبي بكر في الحصار والتصديق على أشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجاعة من أهل بيته فقيدهم وحلهم في السجن بنهر أشبيلية وبعث بهم إلى أمير المسلمين بمراكش فأمر أمير المسلمين بإرسال المعتمد إلى مدينة أنغمت فسجن بها واستمر في السجن إلى أن مات به لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان دخول سير بن أبي بكر مدينة أشبيلية يوم الاحد الثاني والعشرين من رجب سنة أربع وثمانين ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقى من بلاد الأندلس إلى أن خلصت لهم ولم يبق الملوك الطوائف بها ذكر وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبي زرع عمزوجة بالسير من كلام غيره

واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصه الاول لاجبار المغرب فيكون أعنى به من غيره وفي تاريخ
 ابن خلدون بعض مخالفة لما مر **قال** **أجاز** يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثاني سنة ست
 وثمانين وأربعمائة وتناقض أمر الطوائف عن لقائه لما أحسوا من نكبره عليهم لم يأسوهمون به
 رعاياهم من الظلمات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وتحري المعدلة (وقال
 أيضا) ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلمات عنهم فتقدم بذلك الى
 ملوك الطوائف فاجابوه بالامتنال حتى اذ رجع عن بلادهم رجعوا الى حالهم فلما أجاز ثانية انقبضوا
 عنه الا ابن عماد فانه باذر الى لقائه وأغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عماد منه
 للعداوة التي بينهما وبعث جيشا الى المريية ففر عنها صاحبها ابن صمادح ونزل بجاية من أرض افريقية
 وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومجالاته فساء نظره وأفتاه الفقهاء وأهل
 الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل
 المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين
 وأخاه تيمما عن مملكة بعد ان كان منهم ما مد اخله للطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين وبعثهم مالى
 المغرب فخاف ابن عماد عنه بذلك منه وانقبض عن لقائه وقشت السعيات بينهما ونهض أمير المسلمين الى
 سبتة فاستقر بها وعقد للميرسير بن أبي بكر على الاندلس وأجازة فانتهى اليها وقعد ابن عماد عن تلقيه
 وميرته فاحفظه ذلك وطالبه بالطاعة لأمير المسلمين والتزول عن الأمر ففسد ذات بينهما ثم غلبه على جميع
 عمله ثم عمدا الى اشبيلية فحاصره بها واستجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يرض عنه شيئا
 وكان دفاع لتوته مماقت في عضده واقطم المرابطون اشبيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة
 وتقبض سير على العمدة وقاده أسيرا الى مراکش فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك
 في محبسه من اغتات سنة تسعين وأربعمائة ثم عمدا الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس
 قتلها وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين وأربعمائة بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وأن عليه كوه
 مدينة بطليوس ورثاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها

الدهر يفتح بعد العين بالثر * فلما البكاء على الاشباح والصور

وهي قصيدة غريبة في منوالها وموضوعها عتد فيها أهل النكبات ومن عتبه الزمان بما يبكي منه الجواد
 وتستشرف لسماعه الاجداد والوهاد ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين
 وأربعمائة وزحف اليه الطاغية فبعث أمير المسلمين عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج المتوفى فانهم
 انه ارى أمامه وكان الظهور للمسلمين ثم أجاز الامير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث
 وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر فافتتحوا اعمامة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف
 ولم يبق منها الا سرقسطة في يد المستعين بن هود معتصما بالانصارى وأغزى الامير مزدي صاحب
 بلنسية الى بلاد برشونة فاتخن فيها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس
 في ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن واستولى أمير المسلمين على
 العدوتين معا واتصلت هزائم المرابطين على الفرج مرارا والله غالب على أمره فهذا كلام ابن خلدون
 في سياقه هذه الاخبار **واعلم** انه قد يوجد هنا لبعض المؤرخين حط من رتبة أمير المسلمين وغض عليه
 امانى كونه كان بربريما من أهل الصحراء بعيدا عن مناحى الملك والادب ورقة الحاشية واما في كونه تحامل
 على ملوك الاندلس حتى فعل بهم ما فعل وذلك حيث عين حسن بلادهم ورفاهية عيشهم واعلم ان هذا
 الكلام جدير بالرد وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا ينادون ملوكهم او يدس متطلون بظلمهم
 ويغدرون ويروحون في نعمتهم فحين فعل أمير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أخذهم من ذلك

ما يأخذ النفوس البشرية من الذب عن الصديق والمحاماة عن الغريب حتى باللسان والافتقد كان أمير المسلمين رجه الله من الدين والورع على ما قد علمت ومن ركوب الحادة وتجرى طريق الحق على الوصف الذي سمعت وهذا ابن خلدون امام الفتن ومتمجى الصدق قد نقل أن ملوك الاندلس كانوا يظلمون رعاياهم بضرب المكوس وغيرها ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوا له الاموال في مظاهرة اياهم على أمير المسلمين ثم لم يقدم على قتالهم واستمنازهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديه فتاوى الائمة الاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه والله تعالى يقابل الجميع بالعفو والصغح الجميل عنه وكرمه

بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم

وقال ابن خلكان كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حاز ما سائسا للامور وضابط المصالح عمالته موثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم قال وبلغني ان الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي رجه الله لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فجاها اليه الخبر بوفاته فرجع عن ذلك العزم قال وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت من أين وجدته (وكان أمير المسلمين يوسف) معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخاطب ابني العباس وهو أول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله وعزوه وسلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمس مائة وعاش تسعين سنة ملك منها مائة وخمسين سنة رجه الله وقال ابن خلدون تسمى يوسف بن تاشفين بامير المسلمين وخاطب الخليفة لعهد به بغداد وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسي وبعث اليه عبد الله ابن محمد بن العربي المعافري الاشبيلي وولده القاضي ابا بكر بن العربي الامام المشهور قتلطفا في القول وأحسن في البلاغ وطلب من الخليفة أن يعقد لأمير المسلمين بالمغرب والاندلس فقبله وتضمن ذلك مكتوب من الخليفة منقول في أيدي الناس وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والاقليم وخاطبه الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي يحضانه على العدل والتمسك بالخير ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة اه كلام ابن خلدون وانما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله مع انه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه لتكون ولايته مستندة الى التمسك وهذا من ورعه رجه الله وانما تسمى بامير المسلمين دون أمير المؤمنين أدب مع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة والخليفة من قریش كما في الحديث فافهم ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الائمة ان أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المغربية والاندلسية المعونة بشئ من المال على ما هو بصدده من الجهاد وانه كتب الى قاضي المرية أبي عبد الله محمد بن يحيى عرف بابن البراء يأمره بفرض معونة المرية ويرسل بها اليه فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب اليه يخبره بانها لا يجوز له ذلك فاجابه أمير المسلمين بان القضاة عندي والفقهاء قد أباحوا فرضها وان عمر بن الخطاب رضی الله عنه قد فرضها في زمانه فراجعته القاضي عن ذلك بكتاب يقول فيه الحمد لله الذي اليه ما تبنا وعليه حسابنا وبعد فقد بلغني ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان ابا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بان عمر بن الخطاب رضی الله عنه اقتضاها فالقضاة والفقهاء الى النار دون زبانية فان كان عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيره وجميعه في قبره ولا يشك في عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وزيره ولا بجميعه في قبره ولا من لا يشك في عدله فان كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة في العدل فانه تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقادهم فيك

يتربق فدخلها علي بن يوسف يوم الاربعاء الثامن من ربيع الاخر سنة خمسائة واستقام له الامر وقيل ان علي بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مغيلة من احوالها ثم كتب الى ابن اخيه يعاتبه على ما ارتكبه من الخلاف ويدعوه الى الذخول في الطاعة كما دخل الناس وكتب كتابا آخر الى اشياخ البلد يدعوهم فيه الى بيعته ويتقدمهم ويتوعددهم فلما وصل الكتاب الى يحيى وقرأه جمع أهل البلد واستشارهم في المقاتلة والحصار فلم يوافقوه فلما يش منهم خرج فارا الى مردي بن تيدكان وكان عاملا على تلمسان فليقه مردي بوادي مابوية مقبلا برسم البيعة لعلي بن يوسف فاعلمه يحيى بما كان من شأنه فضمن له مردي عن عمه العفو والصريح فرجع معه حتى اذا وصل الى فاس دخل مردي على أمير المسلمين علي بن يوسف ونزل يحيى مستخفيا بحومة وادي شردوع ولما اجتمع مردي بأمير المسلمين وسلم عليه ورأى منه اكراما وقبولا أعلمه بخبر يحيى وما ضمن له من العفو فاجابه الى ذلك وعفا عنه وأمنه ثم جاء يحيى قبايحه وخبره أمير المسلمين بين أن يسكن بجزيرة ميورقة بشرق الاندلس أو ينصرف الى بلاد الصغراء فاختر الصغراء فانصرف اليها ثم سافر منها الى الجاز فحج البيت ورجع الى عمه فاستأذنه أن يكون في جلته ويكون سكناه معه بحضرة مراکش فاذن له في ذلك فسكنها مدة ثم اتهمه عمه بالتشغيب عليه فثقفه وبعثه الى الجزيرة الخضراء فاستقر بها الى ان مات

أخبار الولاية بالمغرب والاندلس

لما بويع أمير المسلمين علي بن يوسف عزل عن قرطبة الامير ابا عبد الله محمد بن الحاج المتوفى وولى مكانه القائد ابا عبد الله محمد بن أبي زلفي فغزى طليطلة وأوقع بالنصارى فقتلهم قتلانا ويحيا باب القنطرة أخذهم على غرة وفي سنة احدى وخمسمائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب وولى مكانه ابا عبد الله بن الحاج فاقام واليا على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ثم عزله وولاه بطنسية وأعمالها من بلاد شرق الاندلس ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولاه غرناطة وأعمالها من بلاد الاندلس فكانت له على النصارى وقعة اقليج وذلك انه خرج غازيا لبلاد الفرنج سنة اثنتين وخمسمائة فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الفرنج فحاصروهم حتى اقتحم عليهم الحصن فارز النصارى الى القصبية فتحصنوا بها وانتهى خبرهم الى الفتنس فاستعدت للفرج لاغايتهم فاشارت عليه زوجته أن يبعث ولده عوضا منه لان تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين وسانحة ابن ملك النصارى فامتثل اشارتها وبعث ولده سانحة في جيش كثيف من زعماء الفرنج وأنجادهم فسار حتى اذا دنا من اقليج أخبر تميم بن يوسف بدمه فعزم على الافراج عن الحصن وأن لا يلقى الفرنج فاشار عليه قوادلمتونة منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهم بالمقام وشجعوه وهو نواعليه أمرهم فقالوا انما قدموا في ثلاثة آلاف فارس وينبأو بينهم مسافة فرجع الى رأيهم فلم يكن الاعشى ذلك اليوم حتى واقتم جيوش الفرنج في ألوف كثيرة فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلا ثم صمم قوادلمتونة على مناخزة العدو وصدوا اليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمثلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد الفتنس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ودخل المسلمون اقليج بالسيف عنوة واستشهد في هذه الواقعة جماعة من المسلمين رجعهم الله واتصل الخبر بالفتنس فاقتم للقتل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده فرض ومات آسفا العشرين يوما من الواقعة وكتب تميم بن يوسف الى أمير المسلمين بالفتح (واعلم) انه يقال في ملوك الجلالة الذين نسميهم اليوم الاصبينول الاذفونش ويقال الفتنس فقال ابن خلكان الاذفونش بضم الهزة وسكون الذال المجهمة وضم الفاء وسكون الواو بعد هانون ثم شين مجهمة هو اسم لا كبير ملوك الافرنج وهو صاحب طليطلة (وقال ابن خلدون) بنواذفونش هم ولداذفونش بن بطرة أول ملوك الجلالة اه وأما قولهم الفونش فهو اسم علم لبعض ملوكهم ولايس لقب الجميعهم وكان محمد بن الحاج

رحمه الله مذة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضيقاً فاحشاً بالفارات والنهب فخرج في غزاة له
 ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبها وكان معه جماعة من قوادمتونة فبعث بالمغنم على الطريق
 الكبير وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين وكان أكثر الناس مع المغنم وكان طريق البرية الذي
 أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك الا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته فلما توسطه محمد بن الحاج
 وأخذته الاوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كتموا له في جهة من تلك الجهات
 فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتم الشهادة اذ لم يجد منفذاً يخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه
 جماعة من المتطوعة وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بجيلة عمالها واتصل بخبر الواقعة بأمر
 لمسلمين فأسفاه موت أبي عبد الله بن الحاج وولى مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافوت وهو عم دوح ابن
 خفاجة ومخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ وكان عاملاً على مرسية فوصل اليه العهد
 الولاية على بلنسية وطرطوشة وما والاها وهو عرسية ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية فاجتمع اليه
 من كان به من الجنود ثم حفر بهم الى برشـاونة فنازلها وأقام عليها عشرين يوماً فانتصف ما حولها وقطع
 نارها وخرّب قراها فأناه ابن وذمير من قرابة الازفونش في جيوش كثيرة من حشود بسية برشـاونة
 وبلادار بونة فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفريق واستشهد فيها من المسلمين نحو
 لسيبع ما ترحمهم الله تعالى

✽ أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوازه الاول الى بلاد الاندلس ✽

سادخلت سنة ثلاث وخمسمائة جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد
 نهر البحر من سبتة منتصف المحرم من السنة المذكورة في جيوش عظيمة تزيد على مائة ألف فارس
 فانتهى الى قرطبة فأقام بهم اشهر اثم خرج منها غازياً الى مدينة طلائوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح من
 أعمال طليطلة سبع وعشرين حصناً وفتح مجريط ووادي الحجرة وانتهى الى طليطلة فحاصرها اشهر
 وانتصف ما حولها وبالغ في النكابة ثم قفل الى قرطبة بعد ان دقخ البلاد في سنة أربع وخمسمائة ففتح
 لا ميرسير بن أبي بكر شترين وبطليوسن وياوورة وبرتقال واشبونة وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكان
 ذلك في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين في سنة سبع وخمسمائة
 توفي الامير سير بن أبي بكر باشيلية ودفن بها وولى اشيلية عوضاً منه أبو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل
 عليها الى ان توفي سنة عشر وخمسمائة في سنة سبع المذكورة في غزى الامير مردي طليطلة وأعمالها
 ندوخها وفتح حصن أرجنة عنوة فقتل المقاتلة وسبا النساء والذرية واتصل الخبر بالبرهانس كبير الفريق
 فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم فصمد القائد مردي للقائه ففرأما مه ليدلا وعاد مردي الى قرطبة ظافراً
 غانماً كانت له في الفريق وقائع أخرى الى ان توفي رحمه الله غازياً ببلاد الفريق سنة ثمان وخمسمائة
 فولى أمير المسلمين مكانه على قرطبة ابنه محمد بن مردي فأقام والياً عليها ثلاثة اشهر ثم توفي شهيداً في بعض
 غزواته أيضاً

✽ استيلاء العدو على سرقسطة ✽

كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بني هود الجذاميين تغلبوا عليها في صدر المائة
 الخامسة أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فرحف اليه ابن
 رذمير سنة ثلاث وخمسمائة فخرج اليه المستعين فالتقوا وابطاها سرقسطة فانهم تزم المسلمون واستشهد
 منهم جماعة منهم المستعين بن هود ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة وصاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن
 المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة فرحف ابن رذمير اليها فنازلها وزحف الفتح أيضاً في أم من
 النصرانية الى لاردة من بلاد الجوف فنازلها واتصل الخبر بأمر المسلمين فكتب الى أمر اغرب الاندلس

بأمرهم بالمسير إلى أخيه تميم بن يوسف وكان يومئذ والياً على شرق الأندلس فيسيرون معه لاستنقاذ
 سرقسطة ولاردة فقدم على تميم عبد الله بن مردئى وأبو يحيى بن ناش. فبين صاحب قرطبة بعسا كره
 فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع أمراء الأندلس فصدمتوا لاردة وكان بينه وبين الغنص قتال عظيم
 أزجمه عن لاردة حاسناً صاعراً بعد أن بذل جهده في حصارها وأقعد من جيوشه عليها ما يزيد على العشرة
 آلاف فارس ورجع تميم إلى بلنسية ولما رأى ابن رذمير ذلك بعث إلى طوائف الأفرنج يستصحبهم على
 سرقسطة فأتوا في أحم كالنمل حتى نازلوا معه وشرعوا في القتال وصنعوا أبراجاً من خشب تجرى على
 بكرات وقرتوبها منها ونصبوا فيها الرعدات ونصبوا عليها عشرين من مخنيقا وقوى طمهم فيها فاشتد
 الحصار واستمر حتى قويت الأوقات وهلك أكثر الناس جوعاً فراسل المسلمون الذين هم ابن رذمير على أن
 يرفع عنهم القتال إلى أجل فإن لم يأتهم من ينصرهم أخاؤه البلدوا سلموه إليه فعاهدهم على ذلك فتم
 الأجل ولم يأتهم أحد فدفعوا إليه المدينة وخرجوا إلى مرسية وبلنسية وذلك سنة اثنتي عشرة وخمسة مائة
 وبعد استيلاء النصارى عليها ووصل من بالعدوة جيش فيه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين
 لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها **وفى سنة ثلاث عشرة وخمسة مائة** تغلب ابن
 رذمير على بلاد شرق الأندلس ومالك قلعة أيوب التي ليس في بلاد شرق الأندلس أمنع منها وألح
 بالغايات على بلاد الجوف فاتصلت هذه الأخبار بأمر المسلمين وهو يعبر أكش فجاز إلى الأندلس برسم
 الجهاد وضبط الثغور وهو جواز الثاني بخازمعه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة
 والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة ونزل خارجها وأتته وفود الأندلس للإسلام عليه
 فسألهم عن أحوال بلادهم ونعواهم بلداً بلداً فمر فوه بما كان وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء
 قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن جدين ويقال إنما عزل ابن رشد لأنه استعفاه وكان قد اشتغل بتأليف
 البيان والتحصيل ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنترية ففتحها عنوة وسار في بلاد الأفرنج يقتل
 ويسبي ويقطع الثمار ويحرق القرى والديار حتى دقخ بلاد غرب الأندلس وفرأ ما مه الأفرنج وتحصنوا
 بالمعاقل المنيعه **وفى سنة خمس عشرة وخمسة مائة** عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدو بعد أن ولى أخاه تميم
 ابن يوسف على جميع بلاد الأندلس فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة عشرين وخمسة مائة

ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الأمير تميم بن يوسف في التاريخ الممتدوم ولي أمير المسلمين على بلاد الأندلس ابنه تاشفين بن علي
 ابن يوسف ما عدا الجزائر الشرقية فإنه قد عقد عليها للمجد بن علي المسمى المعروف بابن غانية فعبر الأمير
 تاشفين البحر إلى الأندلس في خمسة آلاف من الجنود وبعث إلى أجناد البلاد فأتوه فخرج بهم غازياً
 طلب طلبة ففتح بعض حصونهم بالسيف وانسحب ما حولها **وفى السنة المذكورة** أعنى سنة عشرين
 وخمسة مائة هزم الأمير تاشفين النصارى بفتح الصواب وقتلهم قتلًا ذريعاً وفتح ثلاثين حصاناً من حصون
 غرب الأندلس وكتب بالفتح إلى أبيه **وفى سنة ثلاثين وخمسة مائة** هزم الأمير تاشفين جوع الأفرنج
 فخص عطية وأفتى منهم خلقاً كثيراً بالسيف **وفى سنة إحدى وثلاثين بعد هاجم** دخل الأمير تاشفين
 مدينة كركي بالسيف فلم يبق بها بشر **وفى سنة اثنتين وثلاثين بعد هاجم** جاز الأمير تاشفين من الأندلس
 إلى المغرب بعد أن غزى مدينة أسكونية ففتحها عنوة وحمل معه من سيها إلى العدو ستة آلاف سبية
 انتهى إلى مراكش وخرج أمير المسلمين للقائه في زى عظيم وسرور كبير **وفى سنة ثلاث وثلاثين**
بدها أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين **وفى سنة سبع وثلاثين وخمسة مائة** كانت وفاة أمير
 المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى رحمه الله وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة
 وقال ابن خلكان كان أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عادلاً متقاداً

الى الحق والعلماء تجبى اليه الاموال من البلاد ولم يزعره - عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه
 قلت قد طاف به في آخر دواته - اعظم مكروه وذلك محمد بن تومرت النابغ تحت ابطه بجبال المصامدة
 كما بأتى خبره ان شاء الله

الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللخوني

لما توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في التاريخ المتقدم ولى بعده ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعهد من أبيه
 اليه وأخذ بطاعته وبيعتة أهل العدوتين معا كما كانوا في عهد أبيه وكان أمر عبد المؤمن بن علي يومئذ
 قد استعمل بتبمل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن وقال ابن الخطيب كان تاشفين بن علي قد
 استخلفه أبوه على بلاد الاندلس ثم استقدمه لمدافعة أصحاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين فلم ينجح
 أمره بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر لما قضاه الله من الادبار على دولتهم ولما خرج
 عبد المؤمن بن علي من تبملل يريد فتح بلاد المغرب وكان مسيره على طريق الجبال سير أمير المسلمين علي بن
 يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضه على طريق السهل وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن
 يوسف في أثناء ما أفضى الأمر الى ابنه تاشفين وهو في الحرب وقدم أهل مراکش اسحق بن علي بن
 يوسف نائباً عن أخيه تاشفين بجرا كس وأعمالها ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعاً لعبد المؤمن حتى
 انتهى الى تلمسان فنزل عبد المؤمن بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تطرى المطل عليه وانزل
 تاشفين بالسيط مما يلي الصفصاف ووصله هناك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية مع
 قائده طاهر بن كباب لعصية الصنهاجية وفي يوم وصوله أشرف على عسكر الموحدين وكان يدل بأقدام
 وشباعة فقال لجيش المتونة انما حتمتكم لا خلتكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتعض
 تاشفين لكلامته وأذن له في المناخزة فحمل على القوم فركبوا وجمعوا اللقاء فكان آخر العهد به وبعسكره
 وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبرق قائد تاشفين على الروم وقتلوا عسكره في بعض الغارات ثم
 قد كوا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ونالوا منه أعظم النيل وفي القرطاس زحف المرابطون
 لقتال الموحدين فهاهم تاشفين فلم ينتروا وتلقوا في الجبل لقتالهم فهبط عليهم الموحدون فهزموهم
 هزيمة شنعاء ولما نالت هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران فبعث ابنه ابراهيم ولى عهده
 الى مرا كس في جماعة من المتونة وبعث كاتباً معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
 وخمسمائة فأقام عليها شهر امنتظر قائداً سطوله محمد بن ميمون الى ان وصل اليه من المربة بعشرة أساطيل
 فأرسي قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى
 فقدموا وهران وفضوا جموع المرابطين الذين بها ولجأ تاشفين الى رابية هناك فأحسد قواهم وأضرموها
 النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكباً على فرسه فتردى من بعض حافات
 الجبل وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ونجا قافل العسكر الى وهران
 فانحصروا مع أهلها حتى جهدهم العطش ونزلوا جميعاً على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة
 المذكورة فأتى عليهم القتل رحيم الله وقال في القرطاس ان تاشفين بن علي خرج ذات ليلة وهو
 بوهران ليضرب في محلة الموحدين فكثرت عليه الخيل والرجل ففراً امامهم وكان بجبل عال مشرف على
 البحر فظن ان الارض متهمة له فأهوى من شاهق بازار ابطة وهران فأتى الله وكان ذلك في ليلة
 مظلمة ممطرة وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة انفاً فوجد من الغدباء
 البحر ميتاً فاحتر رأسه وحمل الى تبملل فعلق على شجرة هناك وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحدين في
 البيداء لم يأت الى ظل قط من يوم يبيع الى ان مات وكانت مدة ولايته سنتين وشهراً ونصف شهر وقال
 ابن خلكان لما تبين تاشفين بن علي ان دولتهم ستروا لآنى مدينة وهران وهي على البحر وقد صد أن

بجملها مقره فان غلب على الامر ركب منها الى الاندلس وكان في ظاهر وهران روبة على البحر تسمى صلب
الكتاب وباعلاهار باط ياوى اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع
وثلاثين وخمسة مائة تصعد ناشقين الى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان
عبد المؤمن يجمه في تاكرات وهي وطنه واتفق انه ارسل منسرا من الخليل الى وهران فوصلها في
اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكمتموا
عشية وأعلموا بانفراد ناشقين في ذلك الرباط فقصده وأحاطوا به وأحرقوا به فأيقن الذين فيه بالهلاك
فخرجوا كباقرسه وشذ الر كض عليه ليثبت القرس النار وينجو فترامى القرس نازيار وعته ولم يملكه
اللبام حتى تردى من حرف هنالك الى جهة البحر على بحارة في محل وعرفت كسر القرس وهلك ناشقين في
الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لاعلم لهم بما جرى في ذلك الليل وجاء
الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك
الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهي مدينتان قريبة وحادثه بينهما ماشوط
فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واستولى عليها سنة أربعين وخمسة مائة ثم قصد مراکش سنة إحدى
وأربعين بعدها فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي بن يوسف بن ناشقين وجماعة من مشايخ
دواتهم فقتلهم بعد موت أبيه على بن يوسف نائب عن أخيه ناشقين فاستولى عليها وقد بلغ القحط من
أهلها كل مبلغ وأخرج اليه اسحق بن علي ومعه سير بن الحاج وكان من الشجعان ومن خواص دواتهم
وكانا مكتوفين واسحق دون بلوغ فمزم عبد المؤمن أن يعفوعن اسحق لاصفر سنة فلم يوافق خواصه وكان
لا يخالفهم فحلى بينهم وبينهم ما فقتلوا ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة
وقال ابن خلدون أقام الموحدون على مراکش تسعة أشهر وأمير الملمين يومئذ اسحق بن علي بن
يوسف بايعوه صييا صغيرا عنده بلوغ خبر أخيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى
مدافعة الموحدين فانهمزوا وتتبعهم الموحدون باقتتل واقتحموا عليهم المدينة في آخريات شتوالة سنة
أحدى وأربعين وخمسة مائة وقتل عامة الملمين ونجى اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبه حتى
نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك
أبو حفص عمر بن واكلك منهم وأنجى أمر الملمين واستولى الموحدون على جميع البلاد والله غالب على أمره
وقال ابن جنون كانت اتونة أهل ديانة وصدوقية خالصة وصحة مذهب ملكو بالاندلس من بلاد
الافرنج الى البحر الغربي المحيط ومن بلاد العدو من مدينة بجاية الى جبال الذهب من بلاد السودان
وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالثنية وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن
تساهى القمح في أيامهم الى ان يبع أربعة أوسق بنصف مثقال ويبتع الثمار ثمانية أوسق بنصف
مثقال والقطن لا يتباع ولا تشتري وكان ذلك معمورا ببطول أيامهم ولم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا
معوونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف الخزنية حاشي الزكاة والعشر وكثرت الخيرات في دولتهم
وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم عليهم وأحبهم
الناس الى ان خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة خمس عشرة وخمسة مائة وأما الاحداث
الواقعة في أيامهم ففي شهر ذي الحجة من سنة سبع وسبعين وأربع مائة ظهر النجم المعكف بالمغرب
في سنة إحدى وسبعين وأربع مائة كسفت الشمس الكسوف الكلي الذي لم يهدق له مثله
وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال في اليوم الثامن والعشرين من الشهر في سنة اثنتين وسبعين
بعدها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثلها بالمغرب انه مدت منها الابنية ووقعت الصوامع
والمنارات ومات فيها خلق كثير تجتهد الهدم ولم تنزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع

الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة **توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة**
ولد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف صاحب الأرجوزة **توفي سنة**
سبع وتسعين وأربعمائة **توفي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع** **توفي سنة ثلاث عشرة**
وخمسائة **توفي أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي بقلعة حماد بحلب** **أبوالحسن**
الزحمي وغيره من المشايخ **وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح وكان مجاب**
الدعوة ولما أفتى فقهاء المغرب بإحراق كتب الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وأمر أمير المسلمين
علي بن يوسف بحرقها انتصر أبو الفضل هذا إلى حامد رحمه الله وكتب إلى أمير المسلمين في ذلك وحدث
صاحب التشوف وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عريف ابن الزيات بسنده عن
أبي الحسن علي بن حرزهم قال ما وصل إلى فاس كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بالتحريم على كتاب
الاحياء وأن يحلف الناس بالآيمان المغلظة ان كتاب الاحياء ليس عندهم ذهبت إلى أبي الفضل أستفتيه
في تلك الآيمان فأفتاني بانها لا تلزم وكانت إلى جنبه أسفار فقال لي هذه الاسفار من كتاب الاحياء ووددت
اني لم أنظر في عمري سواها وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزأ فاذا دخل شهر
رمضان قرأت في كل يوم جزءا أو مناقبه كثيرة وجه الله **توفي لم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة**
وهي إحراق كتاب الاحياء فانه لما وصلت نسخة إلى بلاد المغرب تصفحها جماعة من فقهاء منهم القاضي
أبو القاسم بن جدين فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبي حامد رضى الله عنه وأعلموا السلطان بأمرها
وأفتوه بانها يجب إحراقها ولا تجوز قراءتها بحال وكان علي بن يوسف واقفا كأيامه عند إشارة الفقهاء
وأهل العلم فدر جميع الأحكام اليهم فلما أفتوه بإحراق كتاب الاحياء كتب إلى أهل مملكتهم في سائر
الامصار والاقطار بان يبحث عن نسخ الاحياء بحثا أكيدا ويحرق ما عثر عليه منها فجمع من نسخها عدد
كثير ببلاد الاندلس ووضعت بحسن جامع قرطبة وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار وكذا فعل بما
ألقي من نسخها بمرآة كس وتولى الإحراق عليها في سائر بلاد المغرب ويقال ان ذلك كان في حياة الشيخ
أبي حامد رحمه الله وانه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يعزق ملكهم فاستجيب له فيه ثم كان كذلك
فتاريخ الإحراق يكون فيما بين الجسمائة والخمسة بعدد الانبياء علي بن يوسف كانت على رأس الجسمائة
وفاته الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس
وخمسائة **توفي سنة ست وثلاثين وخمسائة** **توفي الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى**
ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف كان متناهما في الفضل والدين والزهد في الدنيا منقطعا
إلى الخير يقصد الناس وبألقونه فيحمدون محبته وسعى به إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فأمر
بانتخاذه إلى حضرة مرآة كس فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة
المذكورة واحتفل الناس بجنائزه وندم أمير المسلمين على ما كان منه له في حياته وظهرت له كرامات
رحمه الله ودفن بقرب الجامع القديم الذي بوسط مرآة كس في روضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي
****توفي** وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مرآة كس عليه بناء حفيظ وفي هذه السنة أيضا**
أعني سنة ست وثلاثين وخمسائة توفي أبو الحكم بن برجان **توفي قال ابن خلكان **هو أبو الحكم عبد السلام**
ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي عرف بابن برجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها
جيم وبعد الألف نون وكان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم وأكبر كلامه فيه على طريق أرباب
الاحوال والمقامات اه (وقال في التشوف) لما أشخص أبو الحكم بن برجان من قرطبة إلى حضرة مرآة كس
وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي
يعني أمير المسلمين علي بن يوسف فسأت أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المنزلة ولا يصلى**

عليه وقد فيه من تكلم فيه من الفقهاء وكان أبو الحسن علي بن حزم يومئذ جرا كس فدخل عليه رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكيم فقال له أبو الحسن ان كنت تبغ نفسك من الله فاعمل ما أقول لك فقال له مرني بما شئت أفعله فقال له تنادي في طرق مرا كس وأسواقها يقول لكم ابن حزم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبي الحكيم برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ففعل ما أمره فبلغ ذلك أمير المسلمين فقال من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله **✪** قال ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكملة **✪** أبو الحكيم بن برجان مدفون بمراكش برحبة الخنطة منها قال وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال وكان الشيخ أبو ينور المستراني موجودا في هذه المدة الا اني لم أقف على تاريخ وفاته **✪** قال في التشوف **✪** هو أبو ينور عبد الله بن واكريس الدكالي من مشترية من أشياخ أبي شعيب أبو السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع حدثوا عنه انه مات أخوه فتزوج امرأته فقذمت اليه طعاما بأكله فوقع في نفسه ان فيه نصيب الايتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك عنه وبات طويا وجاء رجل من أشياخ مشترية فقال له ان عامل علي بن يوسف تهتد في بالقتل والصلب وقد خرج من مرا كس متوجها الى دكالة فقال له أبو ينور رده الله عنك فسار الى ان بقي بينه وبين قرية يلبسكاون وهي التي تسميها العامة بوسكاون نصف يوم فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه **✪** وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة **✪** ثار القاضي أبو القاسم بن جدين بقرطبة مع العامة على المرابطين فقتلهم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارئين

✪ الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي **✪**

✪ قال ابن خلدون **✪** كان للمصامدة في صدر الاسلام بحمال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لآخوانهم برغواطة في نخلة كفرهم وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء ولهم مع لتونة ملوك المغرب حروب وقتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لتونة بالعدوتين ومن صناجة باقرية حسبها هو مشهور ويأتي ذكره ان شاء الله تعالى **✪** قال **✪** وأصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا مغار وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت فبعضهم ينسب به الى سليمان بن عبد الله الكامل ابن حسن المنفي ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وبعضهم ينسب به الى العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب والله أعلم بحقيقة الامر وكان أهل بيته أهل نسل ورباط وكانت ولادته على ما عند ابن خلدون يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وشب المهدي قارئا بحال العلم ثم ارتحل في طلبه الى المشرق على رأس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار علم ثم لحق بالاسكندرية ووج ودخل العراق ولقي به جملة من العلماء وفحول النظار وأفاضل علماء واسعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده ولقي أباحامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراد عاياه **✪** قال ابن خلدون **✪** اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي واليك المراسي والطرطوشي وغيرهم ووج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا محشوشنا مخلوفا كثيرا في اطراف بساماني وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يعجبهم من متاع الدنيا الا عصاور كوة وكان شجاعا فصيحيا لسانا في العرب والبربر شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحما للادنى من الناس بسببه وناله بمكة ثم فها الله شي من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في آذاه

وطرده الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به نحاط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من
 مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه
 شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وأزمهم اقامة
 الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهديية من أرض افر بقمية
 وكان ملكها ابو مثنى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسمائة هكذا ذكره
 ابن أخيه أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان وقيل
 ان ارتحال محمد بن تومرت عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسمائة واجتاز به مصر كان سنة احدى
 عشرة بعددها والله أعلم بالصواب ولما انتهى الى المهديية نزل بمسجد معلق وهو على الطريق وجلس في
 طاق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكر من آله الملاهي أو وافي الخمر الا نزل اليه هاو كسر ها
 فتسمع الناس به في البلد فخاوا اليه وقرأوا عليه كتب من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع
 جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصحلتك الله عمتك
 ولم يبق بعد ذلك بالمهدية الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فاخرج
 منها الى بعض قرىها واسمها ملاة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي بجوه وقال ابن خلدون بجوه
 انطوى المهدي راجعا الى المغرب بجماعة من العلم وشهابا واريامن الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة
 الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الاتصاف بالعقائد السلفية والذب عنها بالجميع
 العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والاحاديث بعد ان
 كان أهل المغرب يعزلون عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وقرار
 المتشابهات كما جاءت فبطن المهدي أهل المغرب في ذلك وجمعهم على القول بالتأويل والاخذ بذهب
 الاشعرية في كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم وآلف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في
 التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة ولم تحفظ عنه قلته في البدعة
 سواها واحتل بطرابلس الغرب معنيًا بذهبه ذلك مظهر التنكير على علماء المغرب في عدولهم عنه آخذًا
 نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى اتى بسبب ذلك اذانيات في نفسه
 احتسابا من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من
 أمراء صنهاجة وكان من المقترفين فأعظله ولا يتابعه بالتنكير وتعرض بوال تغيير بعض المنكرات في
 الطرق فوقعت بسببها هبة نكرها السلطان والخاصة وأمر وابه فخرج منها خائفًا يترقب ولحق بعلالة على
 فرسخ منها وبها يومئذ بنو رياكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فأووه وأجاروه وطلبهم
 السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدريس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ
 على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملاة وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المؤمن بن علي حاجمعه
 فأعجب بعلمه وصرف عزمه اليه فاخص به وشمر للاخذ عنه بجوه في كتاب المغرب عن سيرة ماولك
 المغرب بجوه ان المهدي كان قد اطاع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت يقال انه عشر عليه عند الشيخ
 أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وان رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو
 من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم
 هجاء وفه تى ن م ل ل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستنلاءه وتمكنه يكون على يد رجل
 من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه في نفسه
 انه القاسم بهذا الامر وان اوانه قد أرفق ما كان محمد يعرضه الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه
 ونفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي

معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزته ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت
 بغيته ونظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له من أين آقبت قال من كومية قال أين مقصدك فقال
 المشرق قال ما بغي قال علماء وشرفا قال قد وجدت علماء وشرفا وذكرنا الصغين تنسله فوافقه على ذلك فالتقى
 محمد اليه باهره وأودعه سره **وقال** ابن خلدون **وقال** وارنجل المهدي الى المغرب وعبد المؤمن في جلته ولحق
 بوانتريس فحبه منها أبو محمد عبد الله الوائشريسي المعروف بالبشير **وقال** ابن خلدون **وقال** وكان جيلا
 فصيحاً في لغتي العرب والبربر ففاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان
 البشير عن تمذهب وقرأ فقها فتذاكرها في كيفية الوصول الى المطاوب فقال المهدي للبشير أرى أن تستر
 ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكس والحصر والتعري عن الفضائل
 ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سيلا الى المطاوب
 ويقوم لنا ذلك مقام المجزأة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقول ففعل البشير ذلك ثم لحق المهدي بتلمسان
 وقد تسمع الناس بخبره فاحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتهله ذلك وعلى
 خلافه لاهل قطره وظن القاضي ان من العدل نزع عن ذلك فصم عن قوله واستمر على طريقه الى فاس
 فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسة ثم انتقل الى مكاسة فبني بها عن
 بعض المنكرات فنار اليه الغوغاء وأوجعوه ضرباً ثم لحق بمرآكش وأقام بها أخذ في شأنه واتي بها أمير
 المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له في القول واتي ذات يوم أخت
 أمير المسلمين حاسرة فناعها على عادة قومها الملتين في زى نسائها فوبخها ودخلت على أخيها بأكية
 لما اتها من تقريره ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من سيرته وكانوا قدموا منه
 حسداً وحفيظة لما كان يتعل من مذهب الأشعرية في تأويل التشابه وينكر عليهم جودهم على
 مذهب السلف في اقراره كما جاء ويرى ان الجمهور لقنوه تجسيمياً ويذهب الى تكفيرهم بذلك على أحد
 قول الأشعرية في التكفير فأغروا الامير به فاحضره للناظرة معهم فكان له الفج والظهور عليهم
وقال ابن خلدون **وقال** كان محمد المهدي قد استدى في أشخاص من أهل المغرب جلالاً في القوي الجسمانية
 أغماراً وكان أميل الى الأغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة نفر سوى أبي محمد البشير
 ثم انه رحل الى أقصى المغرب وتوجه في أصحابه الى مرآكش ومالكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن
 ناشفين وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلاً متواضعاً وكان يحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي
 وكان عالماً صالحاً زاد ابن خلدون عارفاً بالنجوم فشرع محمد المهدي في الانكار على جرى عادته حتى أنكر
 على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وأنه يتحدث في تعيين الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك
 ابن وهيب تخاف من فتح باب بعسر علينا سدة والراي ان تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم
 بحضور جماعة من علماء البلاد فأتى الملك الى ذلك وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب
 خارج البلد فطابوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يعني منا فانتدب له
 قاضي المرية واسمه محمد بن اسود فقال ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الخليم
 المنقاد الى الحق المورث طاعة الله تعالى على هواه فقال له المهدي أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه
 اقوال وأما قولك انه يثور طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتباراً بحجة هذا القول عنه
 ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضرونه به مع علمكم ان الخجة متوجهة عليه فهل
 بلغت يا قاضي ان الجزع جهاراً وتغشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعند من ذلك شيئاً
 كثيراً فلما سمع الملك كلامه زرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من حقوى كلامه انه طامع
 في المملكة لنفسه ولما راوا سكوت الملك واتخذاه لقوله لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب

وكان كثيرا لاجترأ على الملك أيها الملك ان عندي لنصيحة ان قبلتها حدثت عاقبتها وان تركتها لم تأمن
 غايتها فقال الملك ماهي فقال اني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى ان تعقله وأصحابه وتتفق عليهم
 كل يوم دينار السكفي شهروان لم تفعل فلتنققن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على
 رأيه فقال له وزيره يقم بك أن تبكي من موعظة رجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وان يظهر منك
 الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سدد جوعتسه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة
 النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء **وقال ابن خلدون** كان مالك بن وهيب خزاينظرفي
 النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكا كان بالمغرب في أمته من البربر ويتغير فيه شكل السمكة
 اقران بين الكوكبين العاويين من السيارة يقتضي ذلك فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجل
 فانه صاحب القران والدرهم المربع فطلبه علي بن يوسف ففقدوه وسرح الخيالة في طلبه فقامم
بوحكي صاحب المغرب **بأن** المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى ان فارقه
 فقبيل له نزالك فتأذبت مع الملك اذ لم توله ظهره فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أعيرته
 ما استطعت اه كلامه فلما خرج المهدي وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم هنا بركن
 مع وجود مالك بن وهيب فإنا من أن يعاود الملك في أمرنا فينا لنا منه مكره وان لنا بدينه أعجمات أبا
 في الله فنقصد المروزيه فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من
 فقهاء المصامدة فخرجوا اليه وزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعهم على مقصدهم
 وما جرى لهم مع الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يجهيكم وان أحصن الموضع المجاورة لهذا البلد تينفل
 وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع المهدي بهذا
 الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع أصحابه **وقال ابن خلدون** لما
 لحق المهدي بأعجمات غير المنكرات على عادته فأغرى به أهل أعجمات علي بن يوسف وطيروا اليه بخبره
 فخرج منها هو وتلاميذه الذين كانوا معه في حجبته فلحقوا لاجسافية ثم بهناتة ولقيه بها الشيخ
 أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وافريقية ثم ارتحل المهدي عنهم
 الى هرغة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسة مائة وبني وابطة للعباد فاجتمع عليه الطلبة من
 القبائل وأخذ يعلمهم المرشدة له في التوحيد وباللسان البربري وشاع أمره ثم داخل عامل لتوننة على
 السوس اناسا من هرغة في قتله ونذرهم اخوانهم فنقلوا المهدي الى معقل من أشباعتهم وقتلوا من
 داخل في أمره ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد وقتل الجسامة دونه سنة خمس عشرة
 وخمسة مائة فتقدم اليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى
 وأبو يحيى بن بكيث ويوسف بن وانودين وابن بعمور ومن تينفل أبو حفص عمر بن علي الصنماكي
 ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وغيرهم وأوعبت قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ثم دخل معهم
 كدمية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان قبلها يلقب بالامام وكان يسمى أصحابه
 الطلبة وأهل دعوتهم الموحدين ثم ايضا بلتوننة في أخذهم بالعدل عن التأويل وميلهم الى التجسيم
 ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم آية الحسين ثم زحف اليهم عامل لتوننة على السول وهم بكانهم
 من هرغة فاستجابوا اخوانهم من هنتاتة وتينفل فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بسكر لتوننة فكانت تلك
 باكورة الفتح وكان المهدي يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم الى الدخول في دعوتهم
 وترددت اليهم عساكر لتوننة مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينفل
 فأوطنه وبني داره ومسجده بينهم وحوالي منبع وادي نفيس قاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة
 استقاموا له هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جنبه مختصرا واقتضى كلام ابن خلدون

أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن الا بتبخل فانه قال عقب ما سبق له من ان الفقيه عبدالحق بن ابراهيم المصمودي أشار على المهدي بالسير الى تبخل وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجذله ذكر فيه قصده مع أصحابه فلما أتوه رأهم أهله على تلك الصورة فعلموا انهم طلاب علم فقاموا اليهم وأكرمهم وتلقوهم بالترحاب وأتزلوهم في أكرم منازلهم وسأل أمير المسلمين عنهم بعد نحو وجههم من مجلسه فقيل له انهم سافروا فسر ذلك وقال تخصصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فخاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استداناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالقه أعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة وكان ذوو الخديكة والدة قتل والحلم من أهاليهم بنوهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان فكان لا يتم له مع ذلك أمر وطالت المدة وخاف المهدي من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامسل وخشى ان يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى اسلامه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض اولاد القوم شقرار قوا أولوان آباؤهم السمرة والكيحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم الاجابة فقالوا نحن من رعيه هذا الملك وله علينا خراج وفي كل سنة تصعد بمالكه الينا وينزلون في بيوتنا ويخرجوننا عنها ويختاون بن فيها من النساء فتأتى اولادنا على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال المهدي والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيت بهذا وانتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح فقالوا بالزعم لا بالراضى فقال أرايت لو ان ناصر انصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقتدم أنفسنا بين يديه للموت ثم قالوا ومن هو قال ضيفك يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهد والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا للحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤكم فأجروهم على عادتكم وخالوا بينهم وبين النساء وميلاو عليهم بالبحر فاذا سكر وافتأ ذنوبهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي وكان ذلك ليلا علموه بذلك فأمر بقتلهم كلهم فلم يرض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والايقاع بهم فهرب على غير الطريق حتى خلاص من الجبل ولحق عمرا كس فأخبر الملك بما جرى فقدم على قوات محمد بن تومرت من يده وعلم ان الخزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به بجهر من وقته خيلا بمقدار ما يدسح وادى تبخل فانه ضيق المسلك وعلم المهدي انه لا بد من عسكري يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالتمعود على أعقاب الوادي ومراصده واستجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكري الى الملك وأخبره بما تم لهم فعلم انه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فأعرض عنهم وتحقق المهدي ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى أبا محمد البشير وقال له هذا أو ان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعزة لتستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة ثم اتفقا على أنه يصلى الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال الجمجمة واللاكنة في تلك المدة في رأيت البارحة في منامى انه نزل الى مسكان من السماء وشقاؤا دى وغسلاه وحشواه علماء وحكمة وقرأنا فلما أصبح ففعل ذلك وهو فصل بطول شرحه فانقاد له كل صعيب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له محمد بن تومرت فبجمل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت فانك المهدي القائم بامر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض أصحابك على حتى أمير أهل الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه وشرح ذلك بطول وسكان غرضه أن لا يبقى في الجبل محالف لهم فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت

ان في الباقيين من له أهل وعشيرة قتلوا وانهم لا تطيب نفوسهم بذلك فجمعهم وبشرهم بان تقال ملك
 مرا كش اليهم واعتنم أمواهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم (وبالجملة) فان تفصيل هذه الواقعة
 طويل ولست انا بصدد ذلك وخلاصة الامر ان محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عسدر جاله عشيرة
 آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل
 القوم لحصار مرا كش وأقاموا عليها ثم هراثم كسر واكسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل
 وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه
 اليه فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة حميدة فلا ينجبروا وليعاهدوا القتال
 فان الله سبحانه وتعالى سيهتخ على أيديهم وان الحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقولون
 وتكثرون وأنتم في مبدأ أمر وهم في آخره وأشباه هذه الوصايا وهي وصية طويلة اه كازم ابن خلكان
 يقول وقال ابن خلدون لما كان شأن أبي محمد البشير وميز الموحدين من المذاق اعترم المهدي على غزو
 لمتونة فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدين
 واتبعوهم الى أنحمت فقيمتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف و ابراهيم بن تاعماش
 فهزمهم الموحدين وقل ابراهيم وجنده واتبعوهم الى مرا كش فنزلوا البصرة في زهاء أربعين
 ألفا كلهم راجل الأربعمائة فارس واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم
 خرج عليهم من باب آبلان فهزمهم وأثنى فيهم قتلا وسيما وفقد البشير واستحر القتل في هيلانة
 وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء وقيل للمهدي ان الموحدين قد هلكوا فقال لهم ما فعل
 عبد المؤمن قالوا هو على جواده الادهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد
 الخطيب في رقم الحلل كانت وقعة البصرة باحواز مرا كش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي
 وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره وكان يقول مثل هذا الامر كالغجر يتقدمه
 الغجر الكاذب وبعده ينبج الصبح ويستعلي الضوء ويأمرهم باتخاذ مرابط الخليل التي ينالون من في
 عدوهم بعدها وان يعطى الرجل على قدر ما أعد من المرابط الى غير ذلك فهذا خبر المهدي مختصر من ابن
 خلدون ممنز وجاء نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه
 بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وان أدى الى بعض التكرار زيادة في الامتاع وتحلية للاسماع فنقول
 وقال ابن أبي زرع ما لم يمهده ان المهدي رحل الى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم وأخذ
 عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبع في علم الاصول والاعتقادات
 وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ
 أبو حامد كثيرا ما يشير الى المهدي ويقول انه لا بد أن يكون له شأن وفي الخبر بذلك الى المهدي فلم يزل
 يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطاعه على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار
 الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الاوّل سنة عشر وخمسائة ولازم في طريقه
 درس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى ان اجتمع به عبد المؤمن بن علي فبايعه على موازنته
 في الشدة والرخاء والعسر واليسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش وكانت له فصاحة وعليه مهابة
 فاخذ يظعن على المرابطين وينسبهم الى الكفر والتجسيم ويشيع عندهم من يثق به ويسكن اليه انه المهدي
 المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم
 ذكره فانصل خبره بعلي بن يوسف اللتوني فأخبره وقال له ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انما أنا رجل فقير
 طلب الآخرة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسئول عنه
 قد ظهرت بمراكش المذكورات ونفست البدع وقد وجب عليك احياء السنة ومائة البدعة وقد عاب الله

تعالى آتمة تركوا النهي عن المنكر فقال كانوا لا يتأهون عن منكر فعلاه لبش ما كانوا يفعلون فلما سمع
 أمير المسلمين كلامه تأثره وأخذته وأطرق مفكرا ثم أمر بإحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس
 ثم قال أمير المسلمين اخترت الرجل فان كان عالما اتبعناه والأدبناه وكان المهدي فصيحاً السنا ذا معرفة
 بالاصول والجدل وكان الفقهاء الذين حضر وأصحاب حديث وقرع فدارت بينهم محاوره ومذاكرة
 أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه فعدلوا عن المذاكرة إلى المالملة وأغرر به أمير المسلمين وقالوا هذا رجل
 خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد فخرج إلى الجبانة
 وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لاختذ العلم عنه فكثر جمعه وأحبت العامة
 وعظموه وانتهى خبره إلى أمير المسلمين نانيا ونقل إليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له
 أيها الرجل اتق الله في نفسك ألم أنهلك عن عقد الجوع والمحارب وأمرتك بالخروج من البلد فقال أيها
 الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبانة واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لأقوال المبطلين
 فتوعده أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقتضى الله أمره أن كان مفعولا ولما انفصل
 المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشروحوه جلية أمره وما يدعو إليه فاستدرك
 أمير المسلمين فيه رأيه وبعث إليه من يأتيه برأسه فسمع بذلك بعض بطانته فرتم سرا حتى إذا قرب من
 الخيمة قرأ قوله تعالى يا موسى إن الملايا بأمرن بك ليقتلوك الآية فسمعها المهدي وظن لها فانسبل
 من حينه وخرج حتى أتى تيممل فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم لحق به أصحابه
 العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بإمامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وأبو محمد البشير
 الوائس رسي وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاقي وأبو يحيى بن نيكيت الهنتاقي وأبو حفص عمر بن علي
 أصناك وإبراهيم بن اسمعيل الخزرجي وأبو محمد عبد الواحد الحضرمي وأبو عمران موسى بن تمار وسليمان
 ابن خلوف وما شئت فأقاموا بتممل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فعظم صيته به بحسب
 درن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة
 عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي
 في أصحابه العشرة متقادين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي
 المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ثم بث دعواته في بلاد المصامدة يدعون الناس
 إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالهدى وتحري الحق وإظهار الكرامات
 فأنشأ الناس عليه من كل جهة وسعى أتباعه الموحدين ولقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري
 وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور وقال من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بوحدا لا تجوز
 إمامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرا وباطنا حتى كانوا
 يستعشون به في شدائدهم ويهتفون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع
 عليه جم غفير فلما علم أن ناموسة قدر سخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا وندبهم إلى جهاد المرابطين
 وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة آلاف من
 أتجاد الموحدين وقدم عليهم بأحمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعاهم وانصرفوا قاصدا إلى المدينة
 أنعمت وانتهى الخبر إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشا من الحشم والجناد فلما التقوا انتصر عليهم
 الموحدون وهزموهم واتبعوهم بالسيف حتى أدخلوهم مراكش وحاصروها أياما ثم أفرجوا عنها
 حين تكاثرت عليهم جيوش لمتونة وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة وقسم المهدي
 الغنائم التي غنموها من عسكر المرابطين وتلى عليهم قوله تعالى وعدكم الله مغنايم كثيرة تأخذونها فجعل لكم
 هذه الآية وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والأندلس وأركب جل جيشه من خيل المرابطين

التي غنموها ثم غزاهم ارا كس بنفسه فبعبا جيشه وسار حتى نزل بجبل كيمان بقرب المدينة فأقام محاصرها
ثلاث سنين يداكرها بالقتال ويروا حها من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ولما صجر من مقامه
هناك ثم ض الى وادي نقيس وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقاتل من ابي منهم فانقاد له
أهل السهل والجبل وبايعته كدميوته ثم غزا بلاد كرا كة فأخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع
دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من ابي ويسالم من ابا ففتح بلادا كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير
من المصامدة ورجع الى تينبل فأقام بهم اشهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة انعمات وبلاد هزر جة
في ثلاثين ألفا من الموحدين فاجتمع على حربه أهل انعمات وهزر جة وخلق كثير من الحشم ولبتونة
وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقسم المهدي أنفاله بين الموحدين
ثم غزا أهل درن ففتح قلاعها وحصونه وطاعه جميع من فيه من قبائل هرغرة وهنناة وكفيسة وغيرهم
ثم عاد الى تينبل فأقام بها ريثما استراح الناس ثم ندبهم الى غزوه ارا كس وجهاد المرابطين وقدم عليهم
عبد المؤمن بن علي وأبا محمد البشير وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى انعمات
فلقبهم بهم أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثير من لبتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب
بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا ابا بكر وجيشه الى ارا كس وقتلواهم في كل طريق
وحصر ارا كس أياما ثم رجعوا الى تينبل فخرج المهدي للقائهم فحربهم وعرفهم بما يكون لهم من
النصر والفتح وما يملكه من البلاد ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما ذكره ان شاء الله فهذا سباق ابن ابي
زرع لهذه الاخبار والله أعلم بالصواب

• ببقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته •

كان المهدي رجلا ربعة أسمر عظيم الهامة عاثر العينين حديد النظر خفيف العارضين له شامة سوداء
على كتفه الايمن ذات سياسة ودهاء وناموس عظيم وكان مع ذلك عالما فقيها رابيا للحديث عارفا بالاصول
والجدل فصيح اللسان مقداما على الامور العظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في
بلوغ غرضه وكان حضور الاياتى النساء وكان متيقظا في احواله ضابطا لما ولى من سلطانه
أنشد صاحب كتاب العرب في حقه آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه
ثم قال له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقه ماء الحياة دون اراقه ماء الحما أغفل المرابطون
عقله وورطه حتى دب اليهم ديب الفلق في العسق وترك في الدنيا دوايا أنشأ دولة لو شاهدتها أبو مسلم
لكان اعزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم غيفا بقليل سمن أوزيت ولم ينقل عن
هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فأمر بضم ذلك جميعه
وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فليس له عندي الامارأى ومن تبعني للدنيا فجزأوه عند الله وكان
على خمول زيه وبسط وجهه مهيبا يمنع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه
وكان له شعر في ذلك قوله أخذت بأعضاءهم اذناوا * وخلفك القوم اذودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنهى * وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا سحر السنن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع
وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

وكان يتمثل أيضا بقول أبي الطيب المتنبي

اذا غاصرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطمع الموت في أمر حقير * كطمع الموت في أمر عظيم

ويقوله أيضا ومن عرف الأيام معرفتي بها * وبالناس روى رحمه غير راحم
فليس بحر حوم اذا ظفروا به * ولا في الردي الجاري عليهم باثم
ويقوله أيضا وما أتاهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

وقال ابن الخطيب في رقم الحلال * قالوا كان محمد بن تومرت يزعم انه ما موربتوع من الوحي والالهام
وينكر كتب الرأى والتقليد وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزعة خارجية وكان يتحلل القضايا
الاستقبالية ويشير الى الكواثر الاليمية ورتب قومه ترتيبا غربيا فنهج أهل الدار وأهل الجماعة وأهل
الساقية وأهل خمسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل فأهل الدار لامتثالهم والخدمة
وأهل الجماعة للتقاوض والمشورة وأهل الساقية للباهاة وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة
لحل العلم والتأني وسائر القبائل لمدافعة العدو وكان يعلمهم أوجه العبادات في العادات * قلت * من
ذلك ان طائفة من المصاحدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة مجتهم فعدت كلمات أم القرآن ولقب بكل
كلمة منها رجلا فصفهم صفا وقالوا لهم اسمك الحمد لله والثاني رب العالمين وهكذا حتى نمت كلمات الفاتحة
ثم قال لهم لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوا هذه الاسماء على نسفها في كل ركعة فسهل عليهم الامر
وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب قالوا هو أول من أحدث أصبح والله الحمد في أذان الصبح
ومن جرائته واقدامه وتمالكه على تحصيل مرامه ما حكاها صاحب القرطاس قال كانت بين الموحدين
والمرابطين حرب فقتل من الموحدين خلق كثير فعظم ذلك على عشائرتهم فاحتال المهدي بان انتخب قوما
من أتباعه ودفنهم أحياء بوضع المعركة وجعل لكل واحد منهم متفسا في قبره وقال لهم اذا سئلتهم عن
حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وما انا فيه الا ما دعا اليه الامام المهدي هو الحق بخذوا في جهاد عدوكم
وقال لهم اذا علمت ذلك اخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية وقصد بذلك ان يثبتهم على التمسك
ببعوته ويهون عليهم ما لقوا من القتل والجراحات بسببه ثم جمع أصحابه عند السحر وقال لهم انتم يامعشر
الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق بخذوا في قتال عدوكم فانتم على بصيرة من أمركم وان
كنتم تترابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلاوا من استنهد اليوم من اخوانكم يخبروكم بما لقوا
من الثواب عند الله ثم أتى بهم الى موضع المعركة ونادى يامعشر الشهداء ما ذا القيم من الله عز وجل
فقالوا قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقبلت الناس وظنوا
ان الموتى قد كلوهم وحكوا ذلك لبقية اخوانهم فازدادوا بصيرة في أمره وثباتا على رأيه والله أعلم
بحقيقة الحال

وفاة المهدي رحمه الله

كانت وفاة المهدي عقب وقعة الجبيرة قال ابن خلدون لاربعة أشهر بعدها وقال ابن الخطيب وغيره
كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسائة وقيل
غير ذلك * وقال في القرطاس * لما رجع الموحدون من غزوهم اكبش الى تيممل خرج اليهم
المهدي فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكه كونه من البلاد وجمدة
ملكهم وأعلمهم انه يموت في تلك السنة فبكوا وأسفوا ثم مرض مرضه الذي مات منه وقدم عبد المؤمن
للصلاة أيام مرضه ثم توفي في التاريخ المتقدم * ووذكر بعض المؤرخين * ان المهدي رأى في منامه قبل
وفاته كأن آتيا أتاه فأنشده آياتا نعى له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه فكان كذلك انظر
القرطاس وقد مر في هذه الاخبار في ذكر كتاب الجفر وربما تشوف النفس لمعرفة حقيقة فقد قال
ابن خلدون في كتاب طبيعة العمران واعلم ان كتاب الجفر كان أصله ان هرون بن سعيد العجلي وهو رأس
الزيدية كان له كتاب يروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم

ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك الجعفر ونظائرهم من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمنهم من الأولياء وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون الجعلي وكتبه وسماه الجعفر باسم الجلد الذي كتب فيه لأن الجعفر في اللغة هو الصغير فصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق رضي الله عنه وذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل وأعجب من هذا التفسير تفسيرا وافض للقرآن الكريم وما يدعو منه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجعفر الذي ذكره الجعلي ثم قال ابن قتيبة

ألم تران الرافضيين تفرقوا * فكلمهم في جعفر قال منكرنا

فطائفة قالوا امام ومنهم * طوائف سمته النبي المظهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جعفرهم * برئت الى الرحمن ممن تجفرا

في أبيات غير هذه ثم قال ابن قتيبة وهو جلد جعفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كلما يحتاجون اليه وكل ما يكون الى يوم القيامة اه وهذا ترتيب من ابن قتيبة لكتاب الجعفر وخالف هذا المذهب أبو العلاء المعري فقال

لقد عجبوا لاهل البيت لما * أتاهم علمهم في مسك جعفر

ومرأة المنجيم وهي صغرى * أرتها بكل عامرة وقفر

والمسك بفتح الميم الجلد والجعفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز وكانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في الجلود وما شاكلها القلة الاوراق يومئذ وقال ابن خلدون في كتاب الجعفر لم تتصل روايته عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الحكامات لا يصحها دليل ولو صح السندي لجعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات رضي الله عنهم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكوفي وأوليتها

اعلم ان بني عبد المؤمن ليسوا من المصامدة وانما هم من كومية ثم من بني عابد منهم وكومية ويعرفون قديماً بصطغورة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زحريك بن مادغيس الا بترفعهم بنوعم زناثة يجتمعون في ضري بن زحريك هذا هو الصحيح وبعض المؤرخين يرفعون نسب عبد المؤمن الى قيس عيلان بن مضر وهو ضعيف قال ابن خلدون كان عبد المؤمن من بني عابد اجدية وبنات كومية وأشرفهم قال وموطنهم بتاكرارت وهو حصن في الجبل المطل على هذين من ناحية الشرق وقال ابن خلدون كان والد عبد المؤمن وسيطاني قومه وكان صانعاً في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلاً من الرجال وقوراً ويحكي ان عبد المؤمن في صباه كان ناعماً اتجاه أبيه وأبوه مشغول بعمله في الطين فسمع أبوه دويان السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعاً على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم ينظر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفاً على ولدها فسكتها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لأبأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ذلك ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبي ومابه من ألم فتنقذت أمه جسده فلم تربه أثر ولم يشك اليها ألماً وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فضى أبوه اليه فآخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال الزجر يوشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر وقد تقدم لنا ان المهدي كان عنده كتاب الجعفر وكان فيه ان أمره لا يتم الا على يد رجل اسمه كذا وحليته كذا وهو عبد المؤمن بن علي فاقام المهدي

بتطلبه مدة الى ان لقيه بجلالة وعبد المؤمن اذ ذلك شاب حدث طالب علم فلازم المهدي واستمسك بعززه
الى ان كان من أمره ما كان وكان المهدي يتفرس فيه النجاة وينشد اذا أبصره
تكاملت فيك أوصاف خصصت بها * فكانت منك مسرور ومعتبط
السنن ضاحكة والكف مانتحة * والنفس واسعة والوجه منبسط
والبيتان ذبي الشيمس الخزاعي وكان يقول لاصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول وكان يقول عبد المؤمن
من صدق هذه الدائرة * وقال ابن خلدون * أثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه
الله به من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصا للمهدي وكنز حجابته وكان مؤثرا له لخلاقته لما أظهر عليه
من الشواهد المؤذنة بذلك وفي ذلك يقول ابن الخطيب
وخاف الامر لعبد المؤمن * فانقادت الدنيا له في رسن
جباه بين القوم بالاماره * اذ وضحت له فيه الاماره
ولما اجتاز المهدي في طريقه الى المغرب بالثعلبية عرب الجزائر أهدوا اليه حمارا فارها ركبه لانه كان
ساعيا على رجليه فكان يثر به عبد المؤمن ويقول لاصحابه اركبوه الحمار يركبكم الخيول المستومة وزعم
بنوع عبد المؤمن ان المهدي كان استخلفه من بعده * وقال ابن خلدون * لم يصح انه استخلفه وانما راى
اصحابه في تقديمه اشارته فتم له الامر والله أعلم

* بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها *

لما توفي المهدي في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره
من تينمل ولما فرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل
شتى وأحب كل قبيلة أن يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليهما من هو من غيرهما فتنافسوا في ذلك
فاجتمع العشرة والخمسون وتآمر وافيا بينهم وخافوا على أنفسهم النفاق وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم
فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين أظهرهم ليس من المصامدة لان المصامدة من
البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البرتق قدموه لذلك مع كانوا يرون من ميل المهدي اليه
وايثاره على غيره فتم له الامر * وقال ابن خلدون * لما مات المهدي خشي اصحابه من افتراق الكرامة
وما يتوقع من سطت المصامدة لولاية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم فارجوا الامر الى ان تحالط
بشاشة الدعوة قلوبهم وكنوا موته ثلاث سنين يموتون فيها جرحه ويقعون سنته في الصلاة والحزب
الراتب ويدخل اصحابه الى بيته كأنه احتضهم ببيادته فيجاسون حوالى قبره ويتفاوضون في شؤونهم
ثم يخرجون لانفاذ ما أمرهم وبتولى ذلك عبد المؤمن حتى اذا استحكمت أمرهم وعكفت الدعوة
من نفوس كافتهم كشفوا القناع عن حالهم وعمالاً من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن وتولى كبر ذلك
الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهمتاني جد الملوكة الحفصيين اصحاب تونس فاطهر والناس موت المهدي
وعهده لصاحبه وانقاد ببيعة اصحابه لذلك وروى لهم يحيى بن يعمر انه كان يقول في دعائه اثر صلواته اللهم
بارك في صاحب الافضل فرضى الكافة وانقادوا له وأجمعوا على بيعته وزعموا أن عبد المؤمن استعمل
في ذلك حيلة تم له بما أراد وذلك انه عمد الى طائر وأسد فضراهما حتى أنسابه وعلم الطائر أن يقول عند
علامة نصبه الى النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين وعلم الاسد ان يبصص له ويتسبح به كل ما واه
ثم جمع عبد المؤمن الموحدون وخطبهم وحضهم على الالفه واجتماع الكرامة وحذروهم عاقبة البغي
والخلاف وبينما هو في ذلك اذا رسل سائس الاسد أسده وصفر صاحب الطائر طائرته فببصص هذا
وأعلن بالنصر هذا فاجب الحاضرون من ذلك ورأوا انها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا به ابصيرة في أمره
وثباتا على بيعته مع ما كان من تقديم المهدي له في الصلاة أيام مرضه وفي ذلك يقول بعضهم

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد * ورأى شبه أبيه فقصد
 ودعا الطائر بالنصر لكم * فقتضى حكم حين وفد
 وكانت بيعة عبد المؤمن العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من ربيع الأول سنة ست وعشرين
 وخمسمائة بجامع تينمل وأول من يابعه العشرة أصحاب المهدي ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ثم كافة
 الموحدين لم يتخلف عن بيعته منهم أحد فاستوسق له الأمر واستولى على المغرب بأسره وفتح بلاد إفريقية
 إلى برقة وبلاد الأندلس بأسرها وخطب له على منابر هذه الأقاليم كلها على ما سياتي تفصيله إن شاء الله
 ولما تمت بيعته غزا من حينه بلاد نادلا فقتل بها وسبا ثم غزا بلاد درعة فاستولى عليها ثم غزا بلاد غمارة
 فافتتح البعض منها وقتل واليهاء ثم تسابق الناس إلى دعوتها أفواجا وانتقضت البر على المرابطين في سائر
 أقطار المغرب وكان ما ذكره

غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين *

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزاه زوته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين وأجلت عن
 فتح المغربين مع الأقصى والأوسط خرج لها من تينمل في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فلم يزل
 يتقربى ببلاد المغرب ويفتح معاقلها ويسد متزلجاتها ويذل صعابها إلى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة
 وكان خروجه من تينمل على طريق الجبل وخرج تاشفين بن علي في اتباعه من مراکش على طريق
 السهول إلى أن وصل إلى تلمسان حسبا فقدمناه في أخبار المرابطين * قال ابن خلدون * خرج عبد المؤمن
 في هذه الغزوة من تينمل يعني على طريق الجبل كما قلنا وخرج تاشفين بن علي يعني في حياة والده بعساكره
 يحاذيه في البسيط والناس يفرّون منه إلى عبد المؤمن وهو يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه لا كل
 والحطب للدفء إلى أن وصل إلى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا عن
 البلاد وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة الأندلسية وهاك خلال ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف سنة
 سبع وثلاثين وخمسمائة وولي بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور وهو في غزاته هذه * وفي القرطاس *
 ارتحل عبد المؤمن إلى جبال غمارة وارتحل تاشفين بن علي في أثره فنزل بأرض القديم وذلك في فصل
 الشتاء فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محامته أو نادأ خبيثتهم وورماحهم وهدموا بيوتهم
 وخيامهم انتهى ونشأت فتنة بين لتونة ومسوفة فترج جماعة من أمرائهم مسوفة منهم عامل تلمسان يحيى
 ابن اسحق المعروف بأبناكر ولحقوا بعبد المؤمن ودخلوا في دعوته فبذل إليهم المرابطون العهد وإلى سائر
 مسوفة واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة فامتعت عليه وتولى كبرد قاعه عنها القاضي أبو الفضل
 عياض بن موسى الشهير الذكرو وكان رئيسها يومئذ بآبوتة ومنصبه وعلمه دينه * قال ابن خلدون * ولذلك
 سخطته الدولة يعني دولة الموحدين آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبتة مستعملا في خطة القضاء بالمدينة
 من نادلارجه الله وتماذى عبد المؤمن في غزاته إلى جبال غمارة وبطوينة فافتتحها ثم نازل ملوية فافتتح
 حصونها ثم تخطى إلى بلاد زناتة فاطاعته قبائل مديونة وكان قد بعث إليهم جيشا من الموحدين إلى نظر
 يوسف بن وانودين فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان من قبل المرابطين فيمن معه من جيوش
 لتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانقض جمع زناتة ورجعوا إلى بلادهم وولى تاشفين بن علي
 على تلمسان أبابكر بن هزدي وقدام علي عبد المؤمن وهو بكنانة من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن
 بدر من أمر بني وما نوا من زناتة فبعث معهم يحيى بن يعمر ويوسف بن وانودين في عسكر فأخضعوا
 بلاد بني عبد الواد بن يلاوي من زناتة سببا وأسر وألحق صرحتهم بتاشفين بن علي فأمدتهم بعساكر لتونة
 ومعهم الربرتير قائد الر وموزلو أمنداس وانضمت إليهم قبائل زناتة من بني يلاوي وبني عبد الواد مع
 شيخهم جامه بن مطهر وأخوانهم بني توجين وغيرهم فأوقعوا ببني وما نوا وقتلوا أبابكر بن ماخوخ في

ستائة من قومه واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وقل بنى وما نواجبيل سيرات ولحق تاشفين بن
ماخوخ صريحا بعد المؤمن ومستحيشابه على لمتونة وزانته فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز
الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزانته فوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل تيطرى
ونزل تاشفين بن على بالسبل على الى الصفصاف ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب
بجاية لنظر قائده طاهر بن كباب أمثوابه تاشفين بن على وقومه لعصية الصنهاجية وفي يوم وصوله
أشرف على معسكر الموحدين وكان يدل باقدام فعرض لمتونة وأميرهم تاشفين بن على لعودهم عن
مناجزة الموحدين وقال انما جئتمكم لخالصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتعض
تاشفين بن على من كلمته وأذن له في المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصموا اللقائه فكان آخر العهد به
وانقض عسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الازرير في عسكر ضخم فاغار على
قوم من زانته كانوا في بسط لهم فاكسهمهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن
فقتلوه وقتلوا الازرير في جملتهم ثم بعث تاشفين بن على بعثا آخر الى جهة أخرى فلقبهم تاشفين بن
ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل وتوالت
هذه الوقائع على تاشفين بن على اللتوني فأجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ولي عهده ابراهيم بن تاشفين
الى مراکش في جماعة من لمتونة وبعث كاتبه معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين
وخمسة مائة فأقام عليها شهرا ينتظر قائدا سطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة أساطيل
فأرسل قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أباحفص عمر بن يحيى
الهنثاني ومعه بنو وما نوا من زانته فتقدموا الى بلاد زانته ونزلوا مدينا وسط بلادهم وجمع له بنو يادين
كلهم وبنو بلوى وبنو ميين ومغراوة فأخن فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة ودخا لوفى دعوتهم
ووفد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم وكان منهم سييد الناس ابن أمير الناس شيخ بني بلوى وجماعة بن
مطهر شيخ بني عبد الواد وغيرهم فتلقاهم بالقبول وسار بهم في جوع الموحدين الى وهران فبقيت لمتونة
بعسكرهم ففضوهم ولبا تاشفين الى راية هناك فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم
الليل خرج تاشفين من الحصن راكب فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من
رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسة مائة وبعث برأسه الى تلمسان ونجا فل العسكر الى وهران فأحصروا بها
مع أهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا على حاكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة
فاستأصلهم القتل رحمهم الله وبلغ خبر مقتل تاشفين بن على الى تلمسان مع فل لمتونة الذين نجوا من وقعة
وهران وفيهم سير بن الحاج في آخرين من أعيانهم ففر معهم من كان بها من لمتونة ولما وصل عبد المؤمن
الى تلمسان استباح أهل تاكرات لما كل أكثرهم من الحشم بعد ان كانوا بعثوا ستة من وجوههم
فلقبهم بصليتين من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم أجمعين وافتتح عبد المؤمن تلمسان وعفا عن أهلها ورحل
عنها السبعة أشهر من فتحها بعد ان ولي عليها سليمان بن محمد بن واودين وقيل يوسف بن واودين

فتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين أن عبد المؤمن لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلته بيعة أهل
سجلماسة الى ان اعترزم على الرحيل الى المغرب فترك ابراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان وقصد مدينة فاس
سنة احدى وأربعين وخمسة مائة وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصمراوى من فل تاشفين بن على من
وهران فناز لها عبد المؤمن وبعث عسكر الحصار مكاثمة ثم غرض في اتباعه وترك عسكره من الموحدين
على فاس وعليهم الشيخ أبو حفص وأبو ابراهيم من صحابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة أشهر ثم دخلهم
ابن الجياني فمرب البلدا وأدخل الموحدين ليه الا وفر يحيى بن أبي بكر الصمراوى الى طنجة ثم أجاز منها الى

يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية بالاندلس وكان والياً على قرطبة من قبل المرابطين فأقام عنده الى ان كان من أمره ما نذكره وانتهى خبر فتح فاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكاسة فرجع اليها ودخلها بحدود حكي صاحب القرطاس في فتح فاس خلاف هذا الوجه فقال وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن فاسا بعد حصار شديد قطع فيها الماء النهر الداخلى اليها وسدده بالبناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بساط الارض وانتهى الى مرا كزه منها ثم خرق السد فانتحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفي دار بالثنية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكثرها ثم دخلها عبد المؤمن وأتم أهلها الا من كان بها من المرابطين فإنه أمر أن لا يمضى لهم أمان وقتلهم قتل عاد ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث كثيرة أو سورها حتى قال اننا لانتحاج الى سور وانما أسوارنا سيوفنا وعدلنا فلم نزل فاس لا سور لها الى ان تداركها فاده يعقوب المنصور فأبتدأ بناءه ومات فأتمه ابنه الناصر سنة ست مائة ولفتح عبد المؤمن فاسا ولي عليها ابراهيم بن جامع الذي خلفه على تلمسان فإنه لما فتحها ارتحل الى عبد المؤمن فأصل به وهو محاصر فاس ففتحها عبد المؤمن وولاه عليها وكان قد اعترضه في طريقه الخنضب بن عسكر شيخ بني مرين والواوامة ومن رفقة وكان معه أموال المتوننة وذخيرتهم التي استولى عليها عبد المؤمن بوهران وكان ابن جامع ذاهباً اليها الى تينمل فاعترضه بنو مرين وانتزعوا منه وانتهى الخبر بذلك الى عبد المؤمن فكتب الى عامر له على تلمسان يوسف بن واودين يأمره أن يجيز العساكر الى بني مرين فبعثها صحبة عبد الحق بن منقداً شيخ بني عبد الواد فأوقعوا بني مرين وقتل الخنضب شيخهم

✽ فتح مرا كش واستئصال بقية المتونيين ✽

ثم ارتحل عبد المؤمن من فاس عامداً الى مرا كش فوافقه في طريقه يبعه أهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف من مشيخة هنتانة ومر على مدينة سلا فافتتحها بعد مدة واقعة قليلة وثلث سورها كفاً ونزل منها يدار ابن عشرة وكانت هذه الدار قصر ابي يعقوب مدينة سلا لابن الفقيه أبو العباس بن القاسم من بني عشرة قشيدته وأتقنه ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الجارة ولم يكن أعديشياً فأفكر قليلاً ثم قال

يا أوحداً الناس قد شيدت واحدة * حل فيها حاول الشمس في الحل
فأكدارك في الدنيا الذي أمل * ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم ثم تهادى عبد المؤمن الى مرا كش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة فأثنى فيهم ورجع فلقبه في طريقه وانتهوا جميعاً الى مرا كش وقد انضم اليها جوع لمطة فأوقع بهم الموحدون وأخذوا فيهم قتلاً وانكسروا أموالهم وطمعائهم وأقاموا على مرا كش تسعة أشهر وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وكانوا قد بايعوا أولاً ابراهيم بن تاشفين بن علي فألقوه مضغفاً جازاً فخلعوه وبايعوا عمه اسحق بن علي المذكور وهو صبي صغير ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى المدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فأقتحموا عليهم المدينة في آخر يات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل عامة الملتين ونجا اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبه حتى نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك أو حفص بن واچاح منهم وانحى أن الملتين واستولى الموحدون على جميع البلاد وقد قيل في ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه فيقال ابن مطروح القيدي في الملبوع عبد المؤمن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مرا كش فحاصرها أياماً وذلك في شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ثم ارتحل عنها الى تادلا ثم الى سلا فقتلها أهلها سامعين مطيعين فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها في سنة سبع وعشرين بعد هاجم فتح عبد المؤمن بلاد

تازا في سنة ثمان وعشرين بعد هجرة تسمى عبد المؤمن بامير المؤمنين واعلم ان اللقب بامير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بني أمية أو من بني العباس بعدهم ولما قام عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى بامير المؤمنين لأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس ورأى أن له في الخلافة حقا اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق وكلاهما أعنى العبيدي والأموي قرشي من بني عبد مناف ثم لم يتجاسر أحد إلا من ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البر بالمر غرب على اللقب بامير المؤمنين لأنه لقب الخليفة الأعظم القرشي كما علمت إلى أن جاءت دولة المرادطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغرب والأندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما يده وتسمى بامير المسلمين أدامع الخليفة حسبا أشرفنا إليه سالفا ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بامير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده ولما ان الحال يند

لقد هزلت حتى بدان هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

في سنة تسع وعشرين وخمسائة هجرية أمر عبد المؤمن ببناء باب مدينة تازا فبنيت وحصن سورها ثم كانت محاربة تاشفين بن علي على نحو ما أسلفناه والله تعالى أعلم

بؤثرة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوي رجلا من سوقة أهل سلا وكان أبوه سمسارا يبيع السكايش وكان هو قصارا يامدته ثم لحق بعبد المؤمن عندما ظهر وباعه وشده ودمعه ففتح مراكش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالمهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة فأقبل إليه الشراد من كل جانب وانصرفت إليه وجوه الأغمار من أهل الآفاق وأخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة وبرجاجة وقبائل تامسنا وهوارة وفتت ضلالتهم في جميع المغرب وقال في القرطاس ببايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن إلا مراكش فسرّح إليه عبد المؤمن عسكريا من الموحدون لمنظر يحيى بن اسحق انكار الفارغ اليه من ايلة تاشفين بن علي حسبا تقدم فالتقى بالماسي وقتله فانصر الماسي عليه وعاد مهزوما إلى عبد المؤمن فسرّح إليه عبد المؤمن تازيا الشيخ أباحفص المنتاق في جيش عظيم من أشيخ الموحدون وغيرهم واحفصل عبد المؤمن في الاستعداد ونهض الشيخ أبو حفص من مراكش فاتح ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسائة وشيعه عبد المؤمن إلى وادي تانسيفت ثم دعا له وودعه وانصرف الشيخ أبو حفص في جيوش الموحدون حتى انتهوا إلى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد بن هود في نحو ستين ألفا من الرجال وسبع مائة من الفرسان فكانت بينهم حرب شديدة ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتل محمد بن هود في المعركة مع كثير من أتباعه وفضت جموعه وكان ذلك في ذى الحجة من السنة المذكورة وكان الذي باشر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص رئيس الجيش فلقبه الموحدون بسيف الله تشبها به بخالد بن الوليد رضي الله عنه وكتب الشيخ أبو حفص إلى عبد المؤمن برسالة الفتح من انشاء الفقيه أبي جعفر بن عطية القضاعي الكاتب المشهور يقول فيها كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصره تعالى اليهود القديم وما النصر الامن عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الأنوار اسرافا وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه للاماني السامعة جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق الاسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أشهتات الطلب والارب وتقلب في النعم أكرم منقلب ولادلاء الامل إلى عقد الكرب فتح تفتح أبواب السماء * وتبرز الارض في أتوام القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة حين لم تعط الحلال بشرحه مهلة كان أولئك الضالون قد بطروا واعدوا وناولوا
واقطعوا الكفر معنى واسما وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقي قد استمال
لنفوس بجزع لانه واستهوى القلوب بهولانه ونصب له الشيطان من جبالاته فأنته المخاطبات من
هدو كذب ونسبت اليه الرسل من كل حدب واعتقدته الخواطر اعجب عجب وكان الذي قادهم الى
ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك لسوا حد من رتسم برسم الانقطاع عن الناس
فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء لليالي والايام لبسوا الفاموس ثوبا
وتدبروا الزياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للنوفيق بابا ومنه في ذكر صاحبهم المسمى المذعي للهداية
فصرع محمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأنته وافدات الخطايا عن يساره وعينه
وقد كان يتدعى أنه بشر بأن المنية في هذه الاعوام لاتصيه والنوائب لاتنوبه ويقول في سواه قولا
كثيرا ويختلق على الله تعالى افكا وزورا فلما رأوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة في أعضائه
وأضلاعه ونفذه من أمر الله تعالى ما لم يقدر واعلى استرجاعه هزم من كان لهم من الاحزاب
وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا على بكره آيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم
الاعلى الا عقاب فامتلات تلك الجهات باجسادهم وأذانت الاجال بانقراض أمادهم وأخذهم الله
تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعان منهم الامن خصر يما وسقى الارض نجيعا ولقى من أمر
المنديات قطيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى في الوادي فن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ويسبح
طامعا في الخروج الى ما ينجيح اختطفه الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذعافا ومن لج في الترامى على
لججه ورام البقاء في بجمه قضى عليه شرفه وألوي يذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة
فيه يتداولون قتالهم طعنوا وضربا وياقونهم بأمر الله تعالى هو لا عظيم اوكريا حتى انبسطت مراقات
الدماء على صفحات الماء وحسكت حمرتها على زرقة حمر الشفق على زرقة السماء وجرت لعمرة
للمعتبر في جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة) فهي رسالة تبلغه وهي التي أورثت منشئها الرتبة العلية
والمنزلة السنية فان عبد المؤمن لما وقف عليه استحسنها ووقعت منه موقعا كبيرا فاستكتبه ودام
استوزره ثانيا ثم نكبته وقتله ثالثا كما سياتي ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسية أراح
بمراكش أياما ثم خرج غازيا بلاد القاطنين بدعوة محمد بن هود بجبال درن فأوقع بأهل نفيس وهي لانة
وأثنى فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للاطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلهم
وحصونهم ثم غرض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مراكش ثم خرج ثالثا الى برغواطة فخاربه
مدة ثم هزموه واضطرت نار الفتنة بالمغرب وكان ما نذكره

﴿ان تقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم﴾

قد تقدم لنا ان عبد المؤمن كان غزا سبتة في غزوة الطويلة وان القاضي عياض رحمه الله دفعه عنها وانها
قتل تاشفين بن علي وفتحت تلمسان وفاس واستعمل أمر عبد المؤمن بايع أهل سبتة في جملة من بايع من
أمصار المغرب قالوا بادر القاضي عياض الى لقاء عبد المؤمن فاجتمع به بمدينة سلاحين كان ذاهبا لفتح
مراكش فاجزل صلته وولى على سبتة يوسف بن محمد الوفي التينجلي وسأكن الموحدون أهل سبتة في
ديارهم واطمأنوا اليهم فلما انتقض المغرب على عبد المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من
الفتن انتقض أهل سبتة أيضا وكان انتقضهم كافي القرطاس برأى القاضي عياض رحمه الله فقتلوا عامل
الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالذار وركب القاضي عياض البحر الى يحيى بن
علي المسوفي المعروف بابن غانية وكان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين فبقية وأدى اليه البيعة
وطلب منه والياعلى سبتة فبعثه يحيى بن أبي بكر الصحراوي الذي كان معتصما بقاس أيام حصار عبد

المؤمن لها ففرّ ولحق بابن غانية كما قلنا وبقي في جلته الى ان بعثه مع القاضي عياض في هذه المرة فدخل
يحيى سبته وقام بامرها ولما اتصت بعد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطية الشيخ أبي
حقوق خرج من مراكش فاصدا بلاد برغواطية أولا ثم من بعدهم ثانيا فقتلهم برغواطية بخر ورجع عبد
المؤمن اليهم فكتبوا الي يحيى بن أبي بكر بمكانه من سبته يستنصرونه عليهم فاتهم وباعوه واجتمعوا
عليه وقتلوا عبد المؤمن فهزموه ثم كانت له الكفرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأقتهم
حتى انقادوا للطاعة وتبرؤا من يحيى الصعراوى ولتموتة وفر الصعراوى الى منجاته ثم طلب الامان من عبد
المؤمن وتشفع اليه باشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فباعه وحسنت طاعته لديه وكان ذلك سنة اثنتين
وأربعين وخمسة مائة ولما رأى أهل سبته ذلك كله سقط في أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا ببيعةهم الى
عبد المؤمن وقدم بها اشياخ سبته وطلبها تأييد فغفروا عنهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مراكش
والصحيح انه ولاء القضاء بتادلا ثم دخل مراكش قبل دخولها مريض مرض موته وقيل مات بالطريق
وحمل اليها وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبته فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا (واعلم) ان ما صدر من
القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على انه كان يرى ان لاحق لهم في الامر والامامة
وانما هم متقلبون وهذا امر لا يخفاه كما هو واضح ولما كانت شوكة عبد المؤمن لازالت ضعيفة
وتاشفين بن علي أمير الوقت لازال قائم العين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن
ودافعه عن سبته اذ لا موجب لذلك لان بيعة تاشفين في أعناقهم وهو لازال حيا فلا يعدل عن بيعته الى
غيره بلا موجب وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من ان المرابطين مجسمة وان جهادهم واجب من جهاد
الكفار فضعف الا عن ان تكون طاعتهم واجبة ففسطمة منه عما الله عنا وعنه ولما قتل تاشفين وفتحت
تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن ببيعة القاضي عياض حينئذ وقبل صلته لان من قويت شوكته
وجبت طاعته ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه واجراع قبائل المغرب على التمسك بدعوته
رجع القاضي باهل سبته عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الامامة بطريق الاصل
ولم يأخذ بدعوة الماسي لانه نأثر أيضا هذا مع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت نزعة خارجية عليه
وانه يقول بعصية الامام وذلك بدعة كما لا يخفى فتكون امامته وامامة أتباعه مقدر وحافيا من هذه
الحيثية لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة فالخاص ان ما فعله القاضي عياض أولا
وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعي فهكذا ينبغي ان تفهم أحوال أئمة الدين واعلام المسلمين
رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم وأما القتل والتخريب الذي صدر من أهل سبته فالظن بالقاضي عياض
رحمه الله انه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه لكن العامة تتسرع الى مجاوزة الحد ودلا سيما أيام الفتن وذلك
معروف من حالهم والله الموفق ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة فتح الموحدون مدينة مكاسة
القديمة بهدم حصارهم اياها سبع سنين اقتحموها عنوة يوم الاربعاء ثالث جمادى الاولى من السنة
المذكورة فخرت وقتل أكثر رجالها وسبي حريمهم وخسبت أموالهم ثم بنيت مكاسة تكرر
المدينة الموجودة الآن

❦ أخبار الاندلس وقتوحها ❦

كان عبد المؤمن لما فتح تلمسان وفاس بعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنجاد
الموحدين ووقال ابن خلدون بعث عبد المؤمن بهد فتح مراكش جيشا من الموحدين لنظر بدران
ابن محمد السوفي النزاع الى عبد المؤمن من جهة تاشفين بن علي وعقد له على حرب الاندلس ومن بها
من لمتونة والثوار وأمدّه بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح
الصنهاجي ولما أجاز والى الاندلس تزولوا بآبي الغمر بن عزرون صاحب شريش فكان أول بلد فتحوا

من الاندلس بلد شريش خرج اليهم صاحبها أبو الغمر فبين معه من المرابطين وبيعهم لعبد المؤمن
 ودخل في طاعته فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الاولين وحررت أملاكهم فلم تزل
 محررة سائر أيامهم فلم يكن في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة وكان ملوك الموحدين
 اذا قدم عليهم وفود الاندلس كان أول من ينادى منهم أهل شريش فكان يقال أين السابقون
 فيمدخلون للسلام فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حيثئذ وكان فتح شريش ففتح
 ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ثم زحف الموحدون الى بلجة وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد
 البطر ورجى فبذل لهم الطاعة ثم زحفوا الى شلب ففتحوها ثم نهضوا الى باجة وبطليوس ففتحوها أيضا ثم
 زحفوا الى اشيلية فحاصروها برا وبحرا الى ان فتحوها في شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وفر من
 كان بها من المرابطين الى قرمونة وقتل من أدركه القتل منهم وقتل في جملتهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر محمد
 ابن عبد الله بن العربي المعافى الحافظ المشهور أصيب في هجرة تلك الدخلة من غير قصد وكتب الموحدون
 بالفتح الى عبد المؤمن ثم قدم عليه وفدهم عمرا كش مبايعين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ورئيس
 الوفاة يوسف بن القاضي أبو بكر بن العربي المذكور فالقوا عبد المؤمن مشغولا بحرب محمد بن هوذا الماسي
 فأقاموا عمرا كش سنة ونهضوا ليقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة
 فلقوه بالمصلى فسلموا عليه سلام الجماعة ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام انخاص وقبلت بيعتهم
 وسأل عبد المؤمن القاضي أبو بكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عنده الامام أبي حامد الغزالي فقال
 ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما كان أبو حامد يقول فيه قال كان يقول ان هذا البربري لا بد أن سيظهر
 ثم صرف عبد المؤمن أهل اشيلية بعد ان أجازهم وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم فانصرفوا عنه
 في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فلما قرى بومان مدينة فاس توفي الامام أبو بكر بن
 العربي رحمه الله فعمل ودفن خارج باب المحروق منها بتراب القائد مظفر وقبره منارة الى الآن وعليه قبة
 حسنة وفي هذه السنة ملك الموحدون قرطبة وكان بها يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية مقبلا
 لدعوة المرابطين فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية
 الفرصة في بلاد الاسلام وصانق ابن غانية بقرطبة وألح على جهاته حتى نزل له عن يباسة وأبده وتغلب
 على اشبونة وطرطوشة والمرية وما ردة وأفرغة وشنترين وشنترية وغيرها من حصون الاندلس وطالب
 ابن غانية بالزيادة على ما بذل له والأفراج عن قرطبة فارسل ابن غانية الى بدران بن محمد أمير الموحدين
 واجتمعا باستحبة وضمن له بدران أمام الخليفة عبد المؤمن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ثم لحق
 بغرناطة وبها يمون بن بدر التوفى في جماعة من المرابطين وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدين
 وأن يحكمهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة فتوفى بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة
 ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن في القصبية بآزاء قبر باديس بن حبوس الصنهاجي وانتهز الطاغية الفرصة
 في قرطبة فزحف اليها وحاصرها فجهز اليه الموحدون الذين كانوا بشيلية بألغمر من عزرون لحمايتها
 ووصل اليه مدد يوسف البطر ورجى من لبلة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكرا من الموحدين
 لتظري يحيى بن يعقوب وما دخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادرتوار الاندلس الى يحيى بن
 يعقوب في طلب الامان من عبد المؤمن ثم تلاه نوابه عمرا كش فقبلهم وصفح لهم عاسلاف

وقدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة أهل الاندلس عليه بها

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مرا كش الى سلا فنظر في أمرها وأجرى
 اليها ماء عين غمولة حتى وصل الى رباطها ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت لان بانيها قاده يعقوب
 المنصور كما سياتي ان شاء الله وانما كان يقال رباط سلا ثم أذن عبد المؤمن لأهل الاندلس في الوفاة عليه

دسلا فقدموا عليه في نحو خمسمائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقوادقتلقاتهم
 الشيخ أبو حفص الهنتاني والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية وأشياخ الموحدين على نحو مئتين من المدينة
 فأمر عبد المؤمن بأنزلهم وأفاض عليهم سجال الأكرام وأنواع الضيافات والانعام وبقوا على ذلك ثلاثة
 أيام ثم أذن لهم في الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم ففتح سنة وأربعين وخمسمائة فسلموا عليه
 وأشار الوزير ابن عطية لاهل قرطبة بالتقدم فقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش
 ثم وصف حال قرطبة فقال يا أمير المؤمنين ان الفئس لعنه الله قد أضاعها فتلا فاه أبو بكر بن الجلبا لخطبة
 البليغة فجلس في ذلك المجلس واستحسن عبد المؤمن خطبته ووصل الجميع كلال على قدره وقضى مطالبهم
 وأوصاهم بما اقتضاه الحال وأمرهم بالانصراف الى بلادهم فانصرفوا فرحين معتبين ~~ب~~ وقال ابن
 خلدون ~~ب~~ استمدحى عبد المؤمن أهل الاندلس وهو بسلافوقدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الرؤساء من
 النوار على الانخلاع من الامم مثل سدراتي ابن وزير صاحب باجة ويايرة ويوسف البطر ورجي صاحب
 لبلبة وابن عزرون صاحب شريش ورزدة ومحمد بن الخيام صاحب بطايوس وعامل بن مهيب صاحب
 طليبرة وتختلف ابن القيسى وأهل شاب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعده وانصرف أهل الاندلس
 الى بلادهم ورجع عبد المؤمن الى مراکش واستحب الثوار فلم ير الواجب ضربه والله تعالى أعلم

بجزو افريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب بلاد افريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين
 واستطالة العرب عليهم بها فاجتمع الرحلة الى غزوها بعد ان شاور الشيخ ابا حفص وأبا ابراهيم وغيرهما
 من المشيخة فوافقوه فخرج من مراکش او اخر سنة ست وأربعين وخمسمائة واستخلف عليها الشيخ
 ابا حفص الهنتاني وسار حتى وصل الى سلافأقام بها شهرين ثم نهض منها الى سبتة مظهرا انه يريد العبور
 الى الاندلس بقصد الجهاد فلما وصل الى سبتة استمدحى فقهاء قرطبة واشيائية وأعيان الاندلس وقوادها
 فاستوضح منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما ايهم منها وودعهم ورحل عن سبتة مظهرا العود الى
 مراکش وسار حتى وصل الى القصر الكبير وهو قصر كتامة في زنجوشه وأزح عليهم وفرق فيهم الاموال
 وأمرهم بتجديد اوزاد وخرج بمسئف الالاعلى غير طريق فجعل مدينة فاس عن يمينه وجد السير حتى
 خرج على وادي ملوية ثم سار الى تلسان فاقام بها يوما واحدا ثم خرج منها وولى السير فاصدا بجاية فطرق
 الجزائر على حين غفلة من أهلها فدخلها وأمرهم وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز الى أبيه يحيى بجاية
 وخرج الى عبد المؤمن الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة وكان الفرغ قد آخر جوه منها فقصده
 ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فعدل به الى الجزائر وأنزله بها كالمسجون فلما طرق عبد المؤمن
 الجزائر في هذه المرة خرج اليه الحسن بن علي المذكور فحسبه ووصل يده بيده حتى كان من أمره
 ما ذكره ان شاء الله ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العاوفه زعمهم وصبح بجاية من الغد
 فدخلها وفر صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حماد أصحاب القلعة فركب البحر في أسطولين
 كان أعداهم لذلك واحتمل فيهما ذخيرته وأمواله وعزم على السير الى مصر ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه
 الحارث فانكر عليه سوء صنيعه وافرجه عن البلاد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتحتى
 له عن الامر وفي خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين
 اليها وأمر عليهم ابنة ابا محمد عبد الله فدخلوها وأضرموا النيران في مساكنها وقاتلوا بها نحو
 ثمانية عشر ألفا وامتلات أيدي الموحدين من الغنائم والسبي ثم جمع لهم العرب الذين هناك من الأبيح
 وزغبة ورياح وغيرهم بسطيف فاقومهم واستلموهم وسبوا نساءهم واكتسبوا أموالهم وأما يحيى
 ابن العزيز فانه بايع لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين وخمسمائة ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له

عبد المؤمن ونقله الى مراکش باهله وخاصة فسكنها وأفاض عليه مجال الاحسان وأنزله منزلة رفيعة ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فسكن بقصر ابن عشرة منها الى ان مات من سنته رحمه الله ووفد على عبد المؤمن بمراكش كبراء العرب من أهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعوا الى قومهم مغتبطين

فتح المرية وبياسة وأبدة

كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام فتنة الموحدين والمرابطين بالاندلس فلما كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص الى الاندلس بامر عبد المؤمن في جيش كثيف من الموحدين ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المؤمنين برسم الجهاد وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة فنزلوا المرية وضيعوا عليها بالحصار وبني السيد أبو سعيد على محامته سورا واستغاث نصارى المرية بالفرنس فأعانهم بمحمد بن مردنيش وكان واصلا يده بيده ووجهه معه السلطين أحد قواد الفرنج في جيش كثيف فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونهم المحصنة بالسور وفرجع ابن مردنيش والسلطين بخفي حين واقترا فاقم بجمعا بعد ثم عهد السلطين الى بياسة وأبدة فأخلاه من النصراري الذين كانوا بها خوفا عليهم ورجع عوده على يده وأما السيد أبو سعيد فإنه شد الحصار على المرية حتى نزلوا على الامان بواسطة الوزير ابن عطية في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ووجه عبد المؤمن على بصليتين قريب المهدي فأتى به مكبولا من سبتة فأمر بقتله وصلبه بباب مراکش لا من رقمة عليه ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل بصليتين الى تيفلل بقصد زيارة قبر المهدي فزار وفرق في أهلها أموالا عظيمة وأمر ببناء مسجدها وتوسعتها

وفد عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على النواحي بها

لما قضى عبد المؤمن أربه من تيفلل ارتحل منها الى سلا فأقام بقية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعد هافيا باع لابنه السيد أبي عبد الله محمد بولاية العهد وأمر أن يذكر في الخطبة بعده وكتب بذلك الى جميع الآفاق ثم عقد لابنه السيد أبي الحسن على فاس وأعمالها واستوزر له أبا الجاج يوسف بن سليمان وعقد لابنه السيد أبي حفص عمر على تلمسان وأعمالها واستوزر له أبا محمد عبد الحق بن وانودين واستكتب له أبا الحسن عبد الملك بن عياش وعقد لابنه السيد أبي سعيد عثمان على سبتة وطنجة واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليمان وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي واستكتب له أبا بكر بن طفيل القديسي وأبا بكر بن حبيش الداجي وعقد لابنه السيد أبي محمد عبد الله على بجاية وأعمالها واستوزر له أبا سعيد يخلف بن الحسن وعقد للشيخ زي زيد بن يكيث على قرطبة وأعمالها ويقال ان قرطبة كانت في هذا التاريخ بيد يحيى بن يعفور فالتة أعلم واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنه وصفاله المغربيان والاندلس والله غالب على أمره

ايقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك

كان عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي من مشيخة العسكرو وجوه الجيش باشيماية أيام فتحها و فادة أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبما تقدم ثم ساء أثرهما واستطالت أيديهما على أهلها واستباحا الدماء والاموال ثم اعترما على انقتك بيوسف البطر ورجي صاحب لبللة فلحق ببلده وأنجرح الموحدين لذين بها وحول الدعوة عنهم الى المرابطين ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ثم لحق أخوا المهدي بالدعوة في خبسطويل واستمر حالهما الى ان بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد وعقد لاختوته على العمالات والنواحي ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابن عمهما بصليتين وكانا يوهما بفساد وعبد المؤمن بسلا فخرجوا من فاس الى مراکش على طريق المعدن مضمرين للغدر

واتصل خبر خروجهما بعبدة المؤمن فخرج من سلافي أثرهما متلافيا أمرهما أكش وقدم أمامه وزيره
أيا جعفر ابن عطية فسبقاه اليهود اخلابعض الاوباش بهائي شأنهم ما فوثبوا بعاملهم أي حفص عمر بن
تافراكين فقتلوه بمكانه من القصبه ووصل على أثرهما الوزير ابن عطية ثم عبدة المؤمن على أثره فأطفا تلك
النائرة وتقبض عبدة المؤمن على عبد العزيز وعيسى فقتلها وصاحبهما وتبع المداخلين له ما فالحقهم بما
وانقطع الشعب وزال الفساد

في ايقاع يحيى بن يعقوب بأهل لبله واسرافه في ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة لبله وكان المتولى لفتحها يحيى بن يعقوب والى
قرطبة واشيلية حاصرهما مدة ثم اقتحمها عنوة وقبض على أهلها فخرجهم الى ظاهر المدينة وصفهم في
صعيد واحد ثم عرضهم على السيف أجمعين حتى خلس القتل منهم الى الفقيه المحدث أبي الحكم بن بطال
والفقيه الصالح أبي عامر بن الجدد وكان عددا من قتل من أهل لبله في ذلك الصعيد ثمانية آلاف وقتل
باحوازها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نساؤهم وأبنائهم وأمتعتهم وأسلابهم فمسل ذلك اقبيا تا على
عبدة المؤمن وبلغه الخبر وهو عمرا أكش فسخطه وبعث اليه عبد الله بن سليمان بخا به معتقلا الى الحضرة
يوم عيبد الفطر فأزماه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وسرحه مع ابنه السيد أبي حفص الى تلمسان
ولم يصرف الى أهل لبله شيئا مما أخذهم واستقام أمر الاندلس ونزل ميمون بن بدر التتوني عن غرناطة
للموحدين فذكرها وأجاز اليها السيد أبو سعيد صاحب سبته بعهد أبيه عبد المؤمن اليه بذلك وطبق
الملتون عمرا أكش

في أمر عبدة المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة

لما كانت سنة خمسين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين عبدة المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع
ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب
الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة فجزاه
الله خيرا

في نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ذكر ذلك
جماعة من المؤرخين منهم ابن شكوال وغيره وكان ذلك المصحف الكريم متدولا عند بني أمية وأهل
الاندلس واستقر بقرطبة الى دولة الموحدين فنقله عبدة المؤمن الى مراكش في قول ابن بشكوال في أخرج
المصحف العثماني من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادى عشر من شوال سنة
اثننتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبدة المؤمن بن علي وبأمره وهذا أحد المصاحف الاربعة التي
بعث بها عثمان رضى الله عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل من ان فيه دم عثمان
بعمدوان يكن أحددها فله الشامي في قول ابن عبد الملك قال أبو القاسم التميمي السبتي في أما الشامي
فهو باق في صورة جامع بني أمية بدمشق وعائنه هنالك سنة سبع وخمسين وستمائة كما عانت المسكي بقبة
الشراب قال فله الكوفي أو البصرى في قول الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن في
اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس فالقيت خطهما سواء وما توهم انه خطه بيمينه فليس
بصحيح فلم يخط عثمان واحد منها وانما جاع عليها بعض من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المادني ونص
ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله
ابن الزبير وسعيد بن العاص وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله عنهم

على كتب المصحف اه وكان من خبر نقله الى مراکش ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي زكريا يحيى
 ابن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جدّه الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن
 طفيل المذكور قال وصل الى عبد المؤمن ابنه السيدان أبو سعيد وأبو يعقوب من الاندلس وفي حجتهم ما
 مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو الامام الذى لم يختلف فيه مختلف قتلقي وصوله بالا جلال
 والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر
 لكرامة ما هو معتبر لاولى الالباب وذلك ان امير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره
 في خاطره وتروى مع نفسه في كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل مشواه القديم فتوقع ان يتأذى أهمل
 ذلك القطر برفاقه ويسـتوحشوا للفقدان اضاءته واشراقه فوقف عن ذلك فأوصله الله اليه تحفة
 سنية وهدية هنية دون ان يكثرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع
 الله تعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بارساله ما اطلع بالمشاهدة على صحة صدقه وعضدت
 مخايل برقه سواكب ودقه وعذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته ثم عزّم عبد
 المؤمن على تعظيم المصحف الكريم وشرع في انتخاب كسوته واختيار حليته فحشر الصنائع المقتنين
 من سكان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والانـدلس فاجتمع لذلك حدائق كل صناعة من المهندسين
 والصوائغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والتجارين والزواقين والرسامين والمجلمدين
 وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحدق في صناعة الأحضر للعامل فيه
 والاشتمال على من معانيه (وبالجملة) فقد صنعت له أعشمة بعضها من السندس وبعضها من الذهب
 والفضة ورصع ذلك بانواع اليواقيت وأصناف الاجار الغربية النوع والشكل العديعة المثال واتخذ
 للغشاء محمل بديع عما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة واتخذ للمحمل كرسى على شاكلته
 ثم اتخذ للجميع تابوت يصان فيه على ذلك المنوال ووصف ذلك يطول وفي خلال هذه المدة أمر
 عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراکش حرسها الله فبديت بنيانه وتأسيس قبلته في العشر الاول
 من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكل في منتصف شعبان من السنة المذكورة
 على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج
 ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف في هذا الامد
 اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع ان يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بئانه وصلبت فيه صلاة
 الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهض عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدي بمدينة تينخل فاقام بها
 بقية شعبان ومعظم رمضان وحمل في حجته المصحف العثماني في التابوت المذكور ومعه مصحف المهدي
 وختم القرآن العزيز في مسجد المهدي وعند ضريحه ختمات كثيرة وعاد الى مراکش ولم يزل الموحدون
 يعتنون بهذا المصحف الكريم ويحماونه في أسفارهم متبركين به كتابوت بنى اسراييل الى ان حمله منهم
 السعيد وهو على بن ادريس بن يعقوب المنصور الملقب بالعتضد بالله حين توجه الى تلمسان آخر سنة
 خمس وأربعين وستمائة فقتل السعيد قريبا من تلمسان ووقع النهب في الخزان واستولت العرب وغيرهم
 على معظم العسكر ونهب المصحف في جملة ما نهب منه وثر عليه مالوك بنى عبد الواد أحجاب تلمسان فلم يزل
 في خزانتهم الى ان اقتحمها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني أو آخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
 وسبعمائة وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة الى ان أصيب في وقعة طريف
 وحصل في بلاد البرتغال وأعمل أبو الحسن الحيلة في استخلاصه حتى وصل الى فاس سنة خمس وأربعين
 وسبعمائة على يد بعض تجار آزمور واستمر في خزانتة الى ان سافر أبو الحسن سفرته المعاومة الى افريقية
 فاستولى عليها ولما كانت سنة خمس وسبعمائة ركب أبو الحسن البحر من تونس قافلا الى المغرب وذلك

في ايام هيجان البحر ففرقت من اكبه وهما كفت نفوس تجبل عن الحصر وضاعت تفانس يعز وجود مثلها
ومن جللتها المصحف العثماني فكان ذلك آخر العهد به ومما يناسب ذكره هنا المصحف العقباني وهو
مصحف عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب وكان متداولاً عند ملوكه ومتبركابه وثاني المصحفين في المنزلة عند
أهل المغرب (قال أبو عبد الله اليفرنى في كتاب التزهة) ان السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله المعروف
بالذهبي لما جدد ولاية العهد لولده المأمون بعث اليه بالقدوم من مدينة فاس فوافاه بتامسنا وبأشر
المنصور أخذ البيعة له بنفسه وحضر الايمان وأهل العقد والحل وأحضر المصحف لذكره الذي هو
مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه قال وهو من ذخائر الخفاء وأحضر المصحفان الشيخين وقرئ
ظهير البيعة وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ولم يزل المصحف العقباني متداولاً بين الملوك
السعديين الى ان انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العاوية السجلماسية فانتقل المصحف المذكور
اليها وتداولته ملوكها الى ان جاء السلطان المولى عبد الله بن اسمعيل بن الشريف رحمه الله فبعث هدية
سنية مع ركب الحاج الحرم النبوي وبعث في جللتها المصحف المذكور وقال صاحب البستان **ب**ولما سافر
الركب النبوي يعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف وجهه معه السلطان المولى عبد الله ثلاث وعشرين
مصحفاً بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب متبنة بالدر والياقوت ومن جللتها المصحف الكبير العقباني
الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني وهو مصحف عقبة بن نافع الفهري نسخه بالقيروان من
المصحف العثماني فوقع هذا المصحف بيد الاشرف الزيدانيين يتداولونه بينهم الى ان بلغ الى السلطان المولى
عبد الله المذكور فغرت به من المغرب الى المشرق ورجع الدر الى صدفة والابريز الى معدنه **ب**قال الشيخ
المسنوي **ب**وقد وقعت عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة النبوية وظهر لي
ان تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظراً بعد ما ينهـ ما ووجهه مع السلطان المذكور اني حصة الثلثية
وسبع مائة حصة من الياقوت الختلف الالوان الى الحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وازكى
السلام وهذه الاخبار وان كانت متباعدة التاريخ فهي متناسبة المعنى جمعنا هاهنا ليعرف الناظر عليها
في محل واحد وتحصل فائدتها متسقة والله الموفق

بـ ذكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من أهل مراکش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية
وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لامير المسلمين علي بن يوسف اللتوني ثم لابنه تاشفين من بعده وتحصل
في قبضة الموحدين ففغانه عبد المؤمن ولما حاصر عبد المؤمن فاساً اعترم أبو أحمد هذا على الفرار فقبض
عليه في طريقه وسبق الى عبد المؤمن فاعتذر فلم يقبل عبد المؤمن عذره وصحب الى مصره فقتل رحمه
الله وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتباً لاصحق بن علي اللتوني بمراكش فشمه لعضو امير المؤمنين
فبين شمه من ذلك القل وخرج في جملة الشيخ أبي حفص الهنتاقي حين نهض لقتال محمد بن هود الماسي
فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المؤمن فاستحسنها واستكتبه لذلك ثم ارتفعت
مكانته عنده فاستوزره فظهر غناؤه وكفايته وجدت سيرته وادارته وقاد العساكر وجمع الاموال وبذلها
وبعد في الدولة صيته ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد في دولته وتحبب الى الناس باجال السعي
والاحسان فعمت صنائعه وفشامع روفه وكان محمود السيرة مجتنب المحاولات ناخ الماسي سعيد المأخذ
ميسر المآرب وكانت وزارته زينة بالوقت وكالاً للدولة رحمه الله ثم لما كانت سنة احدى وخمسين
وتسعمائة وفد أشبه اخ اشبيلية على عبد المؤمن ورغبوا منه في ولاية بعض ابناءه عليهم فعد لابنه السيد
أبي يعقوب عليها وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لباشرة الامور واصلاح الاحوال فانني في ذلك
الغناء الجليل ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل الى التسديد عليه والسعي به حتى

أوغر وأصدر الخليفة عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكوي وانهى لمطالبة ابن عطية وجدتي التماس عوراته وتشييع سقطانه وطرحته بمجلس السلطان أيات منها

قل للامام أطال الله مدته * قولاتبين لذي لب حقاثة
ان الزراجين قوم قدوترتهم * وطالب النشار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذلك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم في اطفاء نارهم * فرعا عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والا هم كهم * فاحذر عدوك واحذر من بصادقه
الله يعلم أني ناصح لحكم * والحق أبلغ لا تخفي طرائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الايات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره أبي جعفر وأضمره في نفسه شرا فكان ذلك من أقوى أسباب نكبته وقيل أفضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبي جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراکش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد في اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرر واعلى ما يملون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه في أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي فاستحجبها بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الآداب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب فلم تجد شيئا مع نفوذ قدر الله تعالى فيه وما انصرف من وجهته أعادها معه فافلا الى مراکش فلما حاذى تاجرا تأنف الا امر بقتلها بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هناك فضا السيلها وما وذلك في شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وما خاطب به الوزير المذكور عبد المؤمن مستعظفاه من رسالة تعالى فيها فغالت له المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالهية ولم يخرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبياء على غيرهم قوله سبحانه الله تالله لو أحاطت بى كل خطية ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطية حتى سخرت بنى في الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح في القلك الى نوح وأبرمت لحطب نار الخليل حبللا وبريت لقدار عمود بلا وحططت عن بونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فبذتها واقرت على العذراء لبتول فبذتها وكتبت بحيفة القطيعة بدار الندوة وظهرت الاحزاب بالقصوى من العدو وأبغضت كل قرشى وأكرمت لاجل وحشى كل حبشى وقلت ان يبعث السقيفة لا توجب امامة الخليفة وشهدت شفرة غلام المغيرة بن شعبة واعتنقت من حصار الدار وقتل أشعها بسبعة وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر وسفكو الدماء على الثريد الاعصر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ثم أنبت حضرة المعصوم لا ئذا وبقبر الامام المهدي عائذا لقد آن لمقاتلى أن تسمع وتغفر لى هذه الخطيئات أجمع مع انى مقترف وبالذنب معترف

فغفوا أمير المؤمنين فن لنا * بحمل قلوب هذها الخفقان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب مع ابن له صغير آخره
عظفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها الحج * ورحمة منك أنجى من السفن
وصادقتنا سهام كلنا غرض * وعطفة منك أوقى من الجن
هيئات للخطب أن تسطوحوا دنه * بن أجارته رجاءكم من الحن
من جاء عندكم يسبح على نقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن

فالتوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف يرهص بعد الر كض في سنن
 أنتم بذلت حياة الخلق كلهم * من دون من عليهم لا ولا تمن
 ونحن من بعض من أحييت مكارمكم * كلة الخيامين من نفس ومن بدن
 وصيبة كفراخ الورق من صغفر * لم يألموا النوح في فرع ولا فتن
 قد أوجدتم -م أباد منكم سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن
 فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة آلا آن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وما كتب به من
 السجن أنوح على نفسي أم انتظر الصفا * فقد آن ان تنسى الذنوب وأن تحما
 فهذا أنافي ليل من السخط حائر * ولا أهدي حتى أرى الرضى صباحا
 وامتنع عبد المؤمن الشعراء بمجوان عطية فلما أسمعه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب
 الادب معه وكان لابي جعفر أرح اسمه عطية قتل معه كما قلنا ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب
 عقيل بن عطية ومن نظمه في رجل تعشق فينة كانت ورثت ما لا من مولاها فكانت تنفق عليه منه
 فلما فرغ المال ماها فقال أبو طالب
 لا تلح ان مل من حبا * فلم يكن ذلك عن ود لما آها قد صفا ما لها * قال صفا الوجد مع الوجد
 ويروي * ان الوزير ابن عطية رحمه الله مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مرا كش فاطلت
 جارية بارعة الجمال من شباك فقال عبد المؤمن
 قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت * فقال الوزير بحجيزاله * حوراء ترنوا الى العشاق بالمثل
 فقال عبد المؤمن * كأنما لحظها في قلب عاشقها فقال الوزير سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي
 ولا يخفاء ان هذه طبقة عالية رحمه الله الجميع عنه

✽ غزوات إفريقية ثانية وفتح المهدي وغيرها من الثغور ✽

كانت بلاد إفريقية بيد بني زيري بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بما هو في هذا التاريخ
 كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم وكثر التنازع بينهم؛ زاحتهم الثوار من العرب وغيرهم بتلك الاقطار
 فانتز الفريخ أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرها
 ثم ملكوا بعد ذلك المهدي وهي يومئذ دار ملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك بني زيري بن مناد
 ففر الحسن عنها الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فآزره بالجزائر ولما طرقت عبد المؤمن ثغر الجزائر
 في غزوته الاولى الى افريقية خرج اليه الحسن بن علي هذا وحجبه وصار في جلته فكان الحسن يعزبه
 بغزواته افريقية واستنقاذها من يد العدو وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه الا انه كان ينتظر ان
 الفرصة تاتفق ان فرغ صقلية أو قعوا باهل زويله وهي مدينة بينها وبين المهدي نحو ميدان وقعة
 شنيعة حتى انهم قتلوا النساء والاطفال ففر جماعة منهم الى عبد المؤمن بن علي وهو بمرا كش يستغيثونه
 ويستصرونه على العدو فلما وصلوا اليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك
 الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه وأطرق ثم رفع رأسه وقال أشمروا
 لا نصر نكم ولو بعد حين وأمر بانزالهم وأطلق لهم ألفي دينار ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج
 اليه العسكر في السفر وكتب الى جميع توابه في المغرب وكان قدم ملك العدو تين الاندلس والمغرب
 واتسعت خطة ملكته الى قرب مدينة تونس فكتب الى من بطريقه من التواب بأمرهم بحفظ جميع
 ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع في سنبله ويخزن في مواضعه وأن يحفر والابار في الطرق ففعلوا
 جميع ما أمرهم به وجمعوا غلات الحب ثلاث سنين وقلوها الى المنازل التي على الطريق وطبنوا عليها
 فصارت كأنها تلال فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار عبد المؤمن من مرا كش يوم

بلاد افريقية **بجو** وقال ابن خلدون **بجو** كان عبدالمؤمن في هذه السفرة قد عزم على العبور الى الاندلس
 لسايلغه من اضطراب أحوالها واستطالة الطاغية بها فنقض يريد الجهاد واحتمل بسلا فباغاه انتقاض
 افريقية وأهمه شأن النصارى بالمهدية فلما توافقت العساكر بسلا استخلف الشيخ أبا حفص الهنتاقي على
 المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض بغد السير الى افريقية واجتمع عليه من العساكر
 مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم وكان ههنا الجندي عمداً ميالاً وبلغ من حفظه وضبطه
 انهم كانوا يعيشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبله واذ انزلوا صواباً امام واحد بتكبيره واحدة لا يتخلف
 منهم أحد كاتنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة وكان قد اتصل به كما قلنا
 فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها
 صاحبها أجد بن خراسان وأقبل اسطوله في البحر في سبعين شينياً وطريده وشلندة فلما نزلها راسل أهلها
 يدعوهم الى الطاعة فامتنعوا فقاتلهم من الغداً شد قتالاً ولما حن الليل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيان
 أهلها الى عبدالمؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم عبدالمؤمن بان لهم الامان في أنفسهم وأهلهم
 وأموالهم لمبادرتهم الى الطاعة وأمان عداهم من سائر أهل البلاد فيؤتمت في أنفسهم وأهلهم ويقاسمهم
 على أموالهم وأملاكهم نصفين وأن يخرج صاحب البلد هو وأهلها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلاد
 وبعث اليهم من يمنج العساكر من الدخول عليهم وبعث أمناه ليقاسموا الناس على أموالهم وأملاكهم
 وأقام أهل تونس بها على أجرة تؤخذ عن نصف مساكينهم وعرض عبدالمؤمن الاسلام على من بها من
 اليهود والنصارى فن أسلم سلم ومن أبي قتل وأقام عليها ثلاثة أيام ثم سار الى المهديّة واسطوله يحاذيه في
 البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة وكان بالمهدية يومئذ نحو اربعين ألفاً من أولاد
 ملوكها وأبطال فرسانها وقد أخذوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبدالمؤمن وامتلأت بالعساكر
 والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف
 اليه من صنهاجة والعرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهديّة مدة أيام فلا يوثر
 فيها الحصانها وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لان البحر دائراً كثيراً فكانت كنف في البحر وزندتها
 متصل بالبر وكانت الفرغ يخرج شجعانها الى أطراف العسكر فتتال منه ويعودون سر يعافاً من عبد
 المؤمن بنناء سور غربي المدينة يمنهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبدالمؤمن شينياً
 ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وتطوف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانها وعلم انها لا تقف
 بقتال بر أو البحر اوليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلته من يوثق
 به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد عبدالمؤمن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك
 القتال فلم يرض غير قليل حتى صار في المعسكر مثل الجبلين من الخنطة والشعير فكان من يصل الى
 المعسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال هي خنطة وشعير فيتعجب من ذلك وتماذى الحصار
 وفي مدة هذا الحصار استولى عبدالمؤمن على طرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقصور افريقية
 وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه السيد أبا محمد من مكان حصاره للمهدية في جيش ففتح بلاداً
 أخرى ثم أطاعه أهل مدينة قفصة وقدم عليه صاحبها فوصله بالقد دينار (وبالجملة) فانه استخلص في هذه
 المدة جميع بلاد افريقية من أيدي القاعين بها ولما كان الثاني والعشرون من شعبان من السنة
 المذكورة جاء اسطول صاحب صقلية في مائة وخمسين شينياً غير الطرائد عمداً لاهل المهديّة وكان هذا
 الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبأ أهلها وأسرهم وجعلهم معه فارتسل اليهم
 ملك الفرغ يأمرهم بالسير الى المهديّة ليمتدوا اخوانهم الذين بها فقدموا في التاريخ المذكور فلما قاربوا
 المدينة حطوا سرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبدالمؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على

جانب البحر فاستمعظم الفرغ ما رأوا من كثرة العساكر وداخِل الرعب قلوبهم ونزل عبد المؤمن الى الارض فجعل يمرغ وجهه ويبيح ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا في البحر فانهم زمت شواني الفرغ وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع مئتين شواني وكان أمر اجمييا وفتحنا غربيا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويش أهل المهديّة حينئذ من النجاة ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى الى آخر ذى الحجة من السنة فزل حينئذ من فرسان الفرغ الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمن فيها من الفرغ على أنفسهم واموالهم ليخرجوا منها الى بلادهم وكان قوتهم قد قفى حتى أكلوا الخيل فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ودعاهم اليه فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وكان من جملة ما استعطفوه به ان قالوا أيها الخليفة ما عسى ان تكون المهديّة ومن بها بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا أرقاءك في أرضنا ففأعزهم وكان الفضل شيمته وأعطاهم سفنار كبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء ففرق أكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن أحسبنا بالمهديّة فتنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم واموالهم فأهلك الله الفرغ غرقا وكان مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشرة سنة فدخلها عبد المؤمن صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسة فكان يقال لهذه السنة سنة الاتحاس وأقام عبد المؤمن بالمهديّة عشرين يوما حتى رتب أحوالها وأصلح ما انتم من سورها ونقل اليها الذخائر والاقوات والرجال والعدد واستخلف عليها ابا عبد الله محمد بن فرج الكومي وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وأمره ان يقتدي برأيه في أفعاله واقطع الحسن بها اقطاعا وأعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل بأولاده وصفت افرقيّة كلها عبد المؤمن ودخل أهلها في طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ففرق فيها أعماله وقضائه وضبط نفوسها وأصلح شؤونها وثنى عنائه الى المغرب أول صفر من السنة المذكورة وانقطعت عادية الفرغ عن بلاد افرقيّة مدة مديدة والله تعالى أعلم

﴿توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب﴾

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين وخمسة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افرقيّة والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد نول من السوس الاقصى في جهة الغرب بالفراسخ والاميال طولاً وعرضاً ثم أسقط من التكسير الثلث في الجبال والغيابض والانهار والسبخان والحزون والطرق وما بقي قسط اعياه الخراج وأزيم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب عفا الله عنه

﴿بناء عبد المؤمن جبل طارق﴾

كان عبد المؤمن رحمه الله وهو بافرقيّة قد أمر ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيّد حصنه وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وخمسة المذكورة وكل بناؤه في ذى القعدة منها

﴿بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء﴾

لما كان عبد المؤمن قافلا من بلاد افرقيّة بنى مدينة البطحاء وسبب بنائه اياها انه لما طالت بالموحدين الاقامة بالشرق والتغرب عن أوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه اذ انهم فأتى شيخ من أشياخ الموحدين ممن اطلع على ذلك الى عبد المؤمن فأخبره الخبر وقال له دعني أبت الليلة في موضعك وأنم على فراشك فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد قديتك بنفسي في حق المسلمين وأجري

في ذلك على الله وان حصلت السلامة فن الله تعالى ويكون أجرى على قدر نيتي فبات على فراشه فاستشهد في تلك الليلة فلما أصبح عبد المؤمن وصل على الصبح افتقده فوجدته قتيلا على فراشه فأخذه ووجهه بين يديه على ناقة لا يقودها أحد فسارت الناقة عينا وشمالا حتى بركت وحدثها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأزله عنها وأخذ بزمام الناقة فأزبلت عن مبركها وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبنى بازاء القبة جامعا ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيل من قبائل المغرب فقبر الشيخ هنالك منزلة عند أهل تلك البلاد الى اليوم قاله في القرطاس ولما دخل عبد المؤمن الى تلمسان في هذه الرحلة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمه في جرعة لبن هلاك بها من ليلته

✽ عبور عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك ✽

كان عبد المؤمن وهو باقر ربيعة قد بلغه ان محمد بن مردنيش النائر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليهما محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونه وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن يكيث لحر به فهزمه ابن مردنيش وقتله فكتب عبد المؤمن الى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افرريقية عليه وانه واصل اليهم فلما نفض من تلمسان في رجعتهم هذه عدل الى طنجة فدخلها في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وأقام بها الى ان دخلت سنة ست وخمسين بعدها فمير منها الى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهريين واستشرف منه أحوال الاندلس ووقد عليه قوادها وأشياخها فأمر بغزو غرب الاندلس فنفض اليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرينكش من أحواز بطلموس وقتل جميع من كان به من النصاري وخرج الفتنش من طلمطلة لا غائتته فوجده قد فتح وصمد الموحدون لقتاله فهزمه الله وقتل من عسكره ستة آلاف وساق المسلمون السبي الى قرطبة وأشيلية وفي هذه السنة ملك الموحدون بطلموس وباجة ويابورة وحصن القصر فولى عليهم عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد الى مراکش

✽ قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك ✽

تقدم لنا ان عبد المؤمن لم يكن من المصامدة وانما كان من كومية احدي بطون بني فاتن من البرابرة البتر وكانت مواطنهم بالمغرب الاوسط الى ان استدعاهم عبد المؤمن الى مراكش سنة سبع وخمسين وخمسة مائة والسبب في ذلك انه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي فداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى انه غريب بين أظهرهم ليس له قبيل يستند اليه ولا عشير يثق به ويعتمد عليه أو سئل في خفية الى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ويأتوه في أحسن زى وأكمل عتة وسرّب اليهم الاموال والكسبي فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ثم أقبلوا الى عبد المؤمن وهو بمراكش برسم خدمته والقيام بين يديه ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهلهم من قدوم هذا الجيش الخليل من غير ان يتقدم لهم سبب ظاهر وتقول الناس الا قال بل فسار جيش كومية حتى نزلوا على وادي أم الربيع وتسامع الموحدون باقبالهم فارتابوا منهم وعرفوا أمير المؤمنين عبد المؤمن بخبرهم فأمر عبد المؤمن الشيخ بأحفص الهنتاتي أن يخرج اليهم في جماعة من الموحدين وأشياخهم ايتعرفوا خبرهم فسار حتى لقيهم على وادي أم الربيع فقال لهم ما أنتم أسلم لنا أم حرب قالوا بل نحن سلم نحن قبيل أمير المؤمنين نحن كومية قصدنا زيارته والسلام عليه فرجع أبو حفص وأصحابه وعرف عبد المؤمن الخبر فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقاءهم ففعلوا واحتفلوا لذلك وكان يوم دخولهم مراكش يوما مشهودا فرتبهم عبد المؤمن في الطبقة الثانية من أهل الديوان وجعلهم بين قبيلة تيممل والقبيلة التابعة لهم وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه اذا خرج ويقومون على رأسه اذا جلس فاعتضدهم عبد المؤمن وبنوه سائر دولتهم الى انقرضها والله

غالب على أمره

استعد عبد المؤمن للجهاد وانشأه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله
 لما تهدد عبد المؤمن ملك المغربين وافر يقية والانديس وطاعت له سائر الاقطار وخضعت له الرقاب في
 البوادي والامصار تفرغ لشأنه وناقت نفسه للجهاد فعزم على غزو بلاد القربنج برا وبحرا فأمر رحمه
 الله في هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسة مائة بانشاء الاساطيل في جميع سواحل شماله
 فأنتهى له منها أربع مائة قطعة فنهاج خلق العمورة وهي التي تسمى اليوم المهديية مائة وعشرون
 قطعة ومنها بطيخة وسبنة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها بلاد افريقية ووهران ومرسى
 هنين مائة قطعة ومنها بلاد الاندلس ثمانون قطعة وتظر في استجلاب الخيل للجهاد والاستكثار
 من أنواع السلاح والعدد وأمر بضرب السهام في جميع عماله فكان يضرب له منها في كل يوم نحو
 عشرة قناطير جديية فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة في خلال هذا وفدت عليه قبيلة كومية
 كما مر ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراكش قاصدا
 الاندلس برسم الجهاد وكان خروجه يوم الخميس خامس ربيع الاول من السنة المذكورة فوصل الى
 رباط سلا فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافر يقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم الى الجهاد
 فأجابه خلق كثير واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتقة من قبائل العرب والبربر وزناته أزيد
 من ثلاثمائة ألف فارس من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الارض
 وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلامن عين غبولة الى عين نخيس الى حلق العمورة فلما
 استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار اليه القائل

اذاتم أمر بدينقصه * ترقب زوالاذا قيل تم

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتمادى به ألمه فخاف أن يفجأه الجمام فأمر بعزل ولده محمد عن
 ولاية العهد واسقط اسمه من الخطبة لما ظهر له من العجز عن القيام بأمر الخلافة وكان ذلك يوم
 الجمعة الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك الى جميع طاعته وتمادى به مرضه
 واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحمل الى
 تينليل فدفن بها الى جنب قبر الامام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبدي ملكه ولا ينقض عزه ونقل
 ابن خلكان في كيفية عزل ولي العهد وجهها آخر قال ناقلا من خط العماد بن جبريل ان عبد المؤمن كان
 في حياته قد عهد الى أكبر اولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تحليف الجنده وكتب بييعته الى البلاد
 فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على أمور لا يصح لمعه الاملاكة من ادمان شرب الخمر
 واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب
 أمره واختلف الناس عليه فخلع وكنيت مدته ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك في شعبان من سنة ثمان
 وخمسين وخمسة مائة وكان الذي سمي في خلعه أخويه أبا يعقوب يوسف وأبا حفص عمر ابني عبد المؤمن
 ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجب اولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأي فتأخر
 منهم ما أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه أبي يعقوب يوسف فبايعه الناس وانفقت عليه الكلمة
 والله تعالى أعلم

بوقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

وقال ابن خلكان كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقي البياض قال ونقلات من تاريخ فيه سيرته
 وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخا معدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شن الكفين
 طويل القعدة واضح بياض الاسنان بخذه الامين خال وكان رحمه الله فصيحاً فقيهاً عالماً بالاصول

والجدل والحديث مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدينية ذاهم وسياسة واقدام في الحرب ومهمات الامور سرى الهمة ميمون النقيبة لم يقصد قط بلدا الا فتحه ولا جيشا الا هزمه محبا لاهل العلم والادب مكرما لو فادتهم من منفق البضاعتهم ذكر العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة ان الفقيه ابا عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي لما أنشده

ما هز عطفه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار وقد تقدم مدار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذي تجاذبه في أمر الحاربية التي أطلت من الشباك وذلك دليل على سراوة طبعه وخفة روحه رحمه الله

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون * لما هلك عبد المؤمن أخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لآخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدين كافة ورضى من الشيخ أبي حفص المنتاقى خاصة واستقل في رتبة وزارته * وذكروا القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم * ان أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بويع بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بستين لانه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدين وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعة وتسمى بالامير ولم يتسم بأمر المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس (وذكر ابن مطر ورح في تاريخه) انه لما مات عبد المؤمن كان ولده يوسف باشيلية فأخفى أصحابه موته وأرسلوا الى يوسف فوصل من اشيلية الى سلا في أقرب وقت فبويع بها ولم يتخلف عن بيعته الا ناس قليلون فليلتغف اليهم وكان أول شئ فعله بعد البيعة ان سرح الجيوش المجتمعة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم وكتب الى البلاد يتسريح السجون وتفريق الصدقات في جميع عماله وتسمى بالامير ثم ارتحل الى مراکش فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدين يطالبهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ما خلا قرطبة وبجاية فان ولائهم ما وهما أخواه توقفا عن ذلك وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف في أقطار البلاد ودان له من بالعدوتين من العباد وفرق الاموال في القبائل والاجناد * وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة * قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة نائبين مبايعين وقدم معهما أشياخ بلادهم واقفا وهما فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال وانخلع وأحسن اليهم وفي هذه السنة نار مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة باسمه وكتب فيها مرزدغ الغريب نصره الله عن قريب وكانت ثورته ببلاد غمارة فبداه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسبنا فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين فقتل وجعل رأسه الى مراکش * وفي سنة ستين وخمسمائة * كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرغ مع ابن مردنيش وكانت الفرغ ثلثة عشر ألفا فهزم ابن مردنيش وقتل من معه من الفرغ باجمعهم وكتب السيد أبو سعيد بالفتح الى أخيه أمير المؤمنين يوسف * وفي احدى وستين وخمسمائة * عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لآخيه السيد أبي ذكريا وعلى اشيلية للشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ثم أдал منه بأخيه السيد أبي ابراهيم وأقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة لآخيه السيد أبي اسحق وأقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليه اجنط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى آخذ دولتهم والله أعلم

﴿تورة سبع بن منغداد بجبال غمارة﴾

﴿وفي سنة احدى وستين وخمسة مائة﴾ ثار سبع بن منغداد وسماه ابن أبي زرع يوسف بن منغداد بجبل تيزران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها واجانبهم فيها جيرانهم من صنهاجة فبعث اليهم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين الى نظر الشيخ أبي حفص الهنتاقي ثم دعا عظمت فتنة غمارة وصنهاجة فخرج اليهم أمير المؤمنين بن نفسه وأوقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منغداد وجل رأسه الى مراکش واتحسب داؤهم وعقد يوسف لآخيه السيد أبي علي الحسن على سبنة وسائر بلادهم ﴿وفي سنة ثلاث وستين﴾ اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المؤمن واللقب بأمر المؤمنين وذلك في جمادى الآخرة منها وخطب العرب بأفريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم في ذلك بقصة ميدة ورسالة مشهورة بين الناس فكان من احتفالهم ووفودهم عليه ما هو معروف ﴿وفي سنة أربع وستين بعدها﴾ وفد عليه أهل الامصار من افريقية والمغرب والاندلس القضاء والفقهاء والخطباء والشعراء والاشياخ والاعيان برسم التهنية والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراکش فذخروا عليه وهنؤه بالخطبة ووصل الجميع كل على قدره وأوصاهم بما اقتضاه الحال وكتب لهم الظهار بمطالبهم واصلاح شؤونهم وانصرفوا شاكرين ﴿وفي هذه السنة﴾ ايضا بعث أمير المؤمنين الشيخ أبي حفص الهنتاقي في جيوش الموحدين الى الاندلس لاستنقاذ بطليوس من حصار العدو واحتفل أمير المؤمنين في ذلك فلما انتهوا الى اشبيلية بلغه ان الموحدين وأهل بطليوس هزموا العدو وأسروا قائده جيشه فسار الشيخ أبو حفص الى قرطبة ﴿وفي سنة خمس وستين بعدها﴾ وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبو حفص الى الاندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف في عشرين ألفا من الموحدين والمتطوعة فدخلوا بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أبو سعيد الى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية ابن اذفونش وهو يومئذ أعظم مالوك فرنج الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن هشك كان من قواد ابن مردنيش فترجع عنه الى الموحدين فحاصروا ابن مردنيش الثالث بمرسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلادها واتصل الخبر بالخليفة بمرآكش وقد خف الى الجهاد ﴿وفي سنة ست وستين﴾ أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيفت وكان الشروع في بنائها يوم الاحد ثالث صفر من السنة المذكورة

﴿الجواز الأول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد﴾

لما اتصل بأمر المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما تنفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض مالوك الفرنج يهاجم بزوايا شغبون على المسلمين بالتمارات على أطراف بلادهم تأقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو بها وقد توافقت لديه وهو بمرآكش جموع العرب من افريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان وكان يوم قدمهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكرهم ونهض الى الاندلس في مائة ألف من العرب والموحدين واستخلف على مراکش أخاه السيد أبو عمران فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك فنصر فام بعض غزواته ولما نزل أمير المؤمنين يوسف بأشبيلية خافه محمد بن مردنيش وجل على قلبه فمرض ومات وقيل ان أمه سمته لانه كان قد أساء الى خواصه وكبراء دولته فنهضته فتمتدها وخافت بطشه فسمته ولما مات محمد بن مردنيش جاء اولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بأشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لا ييهم فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أخته م وأصبحوا عنده في أعز منزلة وصنع في وليتها مهر جانا عظيما بقصر الوصف

عنه ولما صفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازي بالبلاد العسة وقبزل على مدينة له
تسمى وبذة فقام محاصر الهاشهورا الى ان اشتمت عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة
وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتمت عليهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لفظ
عظيم وأصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فياءهم مطر عظيم ملاما كان عندهم
من الصاريج فارتوتوا وتقفوا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادتهم مدة سبع سنين
فلمعتبر الواقف على هذه القضية وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى ما لا يليق به من
التثليث وأنواع الكفر ومع ذلك لما انقطع رجائهم ورجعوا اليه ته الى بالاضطرار الصادق رحيم سبحانه
وهو أرحم الراحمين فلا ينبغي بعد هذا المؤمن الموحد اذا حصل في شدة ان يياس من رحمة الله فانه لا يياس
من روح الله الا القوم الكابرون والسرفى الاضطرار فانه عند أبواب البصائر هو اسم الله الاعظم الذي
اذا عي به أجاب واذ اسئل به أعطى اللهم اجعنا يا مولانا عندك من المرحومين واجعل كل من برحمتنا
عندك من المرحومين فانت أهل ذلك والقادر عليه ثم بلغ أمير المؤمنين خروج العدو الى أرض المسلمين
مع القومس الاحدب نخرج اليهم وأوقع بهم بناحية قلعة رباح وأثنى فيهم ورجع الى اشبيلية وفي هذه
السنة أعنى سنة سبع وستين وخمسة مائة شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم
وصابت به الجمعة في ذي الحجة منها وفي هذه السنة أيضا عقد أمير المؤمنين الجسر على وادي اشبيلية
بالقوارب وبني قصبها الداخلة وبني الزلايق السور وبني سور باب جوهر وبني الرصفان المندرجة
بضفتي الوادي وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله اشبيلية وأنفق في ذلك أموالا لا تحصى ثم انتقض
ابن اذفونش وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبا حفص اليه فغزاه بعقد داره واقترح
قنصرة بالسيف وهزم جموعه في كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراكش سنة احدى
وسبعين وخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لآخيه أبي الحسن وعلى اشبيلية لآخيه
أبي علي وأصاب مراكش طاعون فهلك من السادة أبو عمران وأبوسعيد وأبوزكريا وقدم الشيخ
أبو حفص الهنتاني من قرطبة فهلك في طريقه ودفن بمدينة سلا وهو وجد الملوك الحفصيين أصحاب تونس
وفريقية واسم تدعى الخليفة أخويه السيدين أبا علي وأبا الحسن فعقد لآبي علي سجلماسة ورجع
أبو الحسن الى قرطبة وعقد لآبي أخيه السيد أبي حفص لآبي زيد منهم ما على غرناطة ولآبي محمد على
مالقة **﴿وفي سنة ثلاث وسبعين﴾** سطا بذرية بنى جامع وزرائته وغربهم الى ماردة **﴿وفي سنة خمس
وسبعين وخمسة مائة﴾** عقد اقام بن محمد بن مرديش على اسطوله واغزاه مدينة اشبونة فغتم ورجع
ونهبها كانت وفاة أخيه الوزير السيد أبي حفص بن عبد المؤمن بعدما أبلى في الجهاد وبالغ في نكابة العدو
وقدم ابنه من الاندلس فأحبر الخليفة بانتعاض الطاغية واعترم على الجهاد وأخذ في استدعاء العرب
من افريقية والله تعالى أعلم

﴿غزوا أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة والسبب في ذلك﴾

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استبدهم ابنو الرند وأخر دولة صنهاجة من بني زيري بن مناد كان جد
عبد الله بن محمد بن الرند عاملا لهم ما قتموار ثم ابنوه من بعده فاستبدواهم آخر الدولة ولما غزا عبد المؤمن
بلاد افريقية استتزلهم في جملة من استتزل من الثوار بها ولما مات عبد المؤمن وبويع ابنه يوسف بلغه
سنة أربع وسبعين وخمسة مائة ان بعض بني الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطررت لاجل ذلك
أحوالها فحضر اليها في سنة خمس وسبعين بعد ما قامت الى افريقية ونزل على مدينة قفصة ووضيق
عليها بالقتال والحصار حتى دخلها وظهر بان الرند القائم بها فقتله وذلك في سنة ست وسبعين وخمسة مائة
ثم عاد الى مراكش فدخلها في سنة سبع وسبعين بعد ما هلك في القرطاس ونحوه لابن خالدون في أخبار

بنى عبد المؤمن وذكروا عند الكلام على بنى الرند وجهها آخر فقال كان عبد المؤمن قدولى على قفصة عمران
ابن موسى الصنهاجى فأساء الى الرعية فبعثوا عن علي بن العزيز بن المعتر الرندى من بجاية وكان بها
في مضيفة يحترف بالخطاطة فقدم عليهم ثم وثار وابعمران بن موسى عامل الموحدىن فقتلوه وقدموا مراكبه
على بن العزيز فأساس مراكبه وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسمائة أجاه
السيد أبا زكريا فحاصره وضيق عليه وأخذته وأشخصه الى مراكش باهله وماله واستعمله على
الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك بها ووقيت دولة بنى الرند والبقاء لله وحده اه كلامه فالله أعلم أى ذلك كان
في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لله خراج أمير المؤمنين يوسف من مراكش لبناء حصن از كندر
فبناءه على المعدن الذى ظهر هنالك

الجواز الثاني لأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد
ويوما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قفصة سنة سبع وسبعين وخمسمائة قدم عليه ولاية
الاندلس ورؤساؤها يهتونه بالاياب فاكروم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه الخبر بان اذفونش بن سانجة نازل
قرطبة وشقن الغارات على جهة معلقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتقلب على حصن شقيلة وأسكن به
النصارى وانصرف فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ونازل الحصن نحو من أربعين يوما
ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة بمده فانكها راجعا وخرج محمد بن يوسف بن واودين من اشبيلية في
جوع الموحدىن ونازل طليطلة فبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد
المؤمن على معاودة الجهاد وولى على الاندلس أمناة وقدمهم للارحنتشادفة قد لابنه السيد أبي زيد على
غرناطة ولابنه السيد أبي عبد الله على مرسية ونهض سنة تسع وسبعين وخمسمائة في وى القوطاس
كان خروجهم من مراكش في التاريخ المذكور على باب ذكالة قال برسم غزو افريقية فلما وصل الى
سلا أتاه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية فأعلمه به ودعواها وسكنها فصرف عزمه الى
الاندلس فنهض من سلا نحو يوم الخميس الموفى ثلاثين من ذى القعدة من السنة المذكورة فنزل
بظاهرها وبات هناك ثم نهض يوم الجمعة الموالى له فوصل الى مكاسة يوم الاربعاء السادس من ذى
الحجة فعيدها عيد الاضحى خارجها ثم ارتحل الى فاس فدخلها وأقام بها بقية الشهر ثم دخلت سنة ثمانين
وخمسمائة في اليوم الرابع من فاس وسار حتى انتهى الى سبتة فأقام بها بقية شهر المحرم وأمر
الناس بالجواز الى الاندلس فجازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم مغراوة وصنهاجة
واوربة وأصناف البربر ثم عبرت جيوش الموحدىن والاغزاز والرماة فلما استكمل الناس الجواز عبر هو
في آخرهم في الحاشية والعييد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة فنزل بجبل
الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين
من صفر خرج اليه ولده السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشبهيا خها فبعت اليهم بأمرهم بالوقوف
بالنحر المنية حتى يصل اليهم فلما صلى الظهر وركب اجتماعهم فلما دنوا منهم نزلوا عن دوابهم فوقف لهم
حتى سلوا عن آخرهم وركبوا ثم نهض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتهى اليها في
السابع من ربيع الاول فنزل عليها وأدار به الجيوش وشدد عليها في الحصار والقتال وبذل الجهود الى
ليلة الثاني والعشرين من ربيع المذكور فانتقل من موضع نزوله بجوفى شنترين الى غريبها فأدكر
المسلمون ذلك ولما علموا له سببا فلما جئت الليل وصلى العشاء الاخرة بعث الى ولده السيد أبي اسحق
صاحب اشبيلية فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة لغزو اشبونة وشقن الغارات على أنحائها وأن يسير اليها
في جيوش الاندلس خاصة وأن يكون رحيه له ثم أرفأساء الفهم ووطن انه أمره بالرحيل لئلا يلاصر

الشیطان في محلة المسلمين ان أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة وتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ورحلت طائفة منهم بالليل ولما كان قرب الفجر ألقع السيد أبو اسحق وأقلع من كان مواليا له وتتابع الناس بالرحيل وتسبقوا الاختيار المنازل وأمير المؤمنين مقيم في مكانه لا علم له بذلك فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا الا يسيرا من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله والاقواد الاندلس فانهم الذين كانوا يسرون أمام ساقته وخاف محلة من أجل من يتخاف عنهما من الضعفاء فلما طاعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة من سور البلدوروا وأمير المؤمنين منفردا في عبيده وحشمه وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحروا البلد وخرج جميع من فيه خرجة منكورة وهم ينادون الرى الرى أى اقصدا السلطان فصرىوا في محلة العبيد الى ان وصلوا الى أخبية أمير المؤمنين فزقوها واقتحموها فبرز اليهم وقتلهم بسيفه حتى قتل ستة منهم ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من جواريه كقدا كبين عليه ولما طعن وقع بالارض وتصاح العبيد ونادوا بالفرسان والاجناد فتراجع المسلمون وقتلوا النصارى حتى أزالوا حوهم عن الأخبية واشتمت القتال بينهم وتوافقوا ساعة ثم انهزم الفرج وركبهم المسلمون بالسيف حتى أدخلواهم المدينة وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف واستشهد من المسلمين جماعة وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنقذته الطعنة وارتحل الناس ولا يدرون أين ثم اهتمدوا بالطبول فقصدوا جهة اشبيلية ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاستدأ له ومات بالطريق رحمه الله قاله ابن مطروح * وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسائة قرب الجزيرة الخضراء فحمل الى تيفل فدفن بها الى جنب قبر أبيه وقيل انه لم يمض حتى وصل الى مراكش وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذى يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى ان مات قالوا لكم ولده موته حتى وصل الى مدينة سلا فافشاه وكان قبل موته باشهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويردده
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره * وأنكرتني ذوات الاعين النجل
ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها أو لها
جل الاسى فأسل دم الاحفان * ماء الشون لغير هذا الشأن

بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته *

قال ابن خلد كان * كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه جرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ماهو في صوته جهارة رقيق حواشي الطبع حاول اللفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لا يأمها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك واتى فضلاء اشبيلية أيام ولايته بها وكان فقيها حازما قظا متقنا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف فنشأ في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء وكان ميلا الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة صالحة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا وكان ممن حجبه من العلماء هذا الشأن الوزير أبو بكر محمد بن طفيل كان متحقا بجميع أجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ولابن طفيل هذا تصانيف كثيرة وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة ولم يزل يجمع مع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكة بعيد الهمة جماعا مناعا ضابطا للخراج مملكته عارفا بسياسة رعيتيه وكان مخفيا

جواد في محل السخاء والجود قد استغنى الناس في أيامه وكان من ضبطه وسياسته تهر بما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يدركه حتى لا يكاد يحضر وله في غنمته ثواب وخلفاء وحكام قد قوض الامور اليهم لم يعلم من صلاحهم وأهليتهم لذلك قال ابن خلدان وكان والدانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه * وعما يستطرف من أخبار رده الله ان الاديب أبا العباس أحمد بن عبد السلام الكرواني وكروان قبيلة من البربر منازلهم بصواحي فاس كان نهاية في حفظ الاشعار القديمة والحديثة وتقدم في هذا الشأن وله فيه تأليف وكان مع ذلك صاحب فواد رجالس بها عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب فمن نوادره أنه حضر يوماً الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور وحضر اليه أيضاً الطبيب سعيد الغماري فقال أمير المؤمنين لبعض خدمه انظر من بالباب من الاحباب فخرج الخادم ثم عاد اليه فقال يا سيدي به أحمد الكرواني وسعيد الغماري فقال أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من عجائب الدنيا اشاعر من كروان وطبيب من عماره فبلغ ذلك الكرواني فقال وضرب لنا منة لا ونسي خلقه أعجب من هذا والله خليفة من كومية فيقال ان أمير المؤمنين يوسف لما بلغه ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه ففيه تكذيب له ومن شعر الكرواني من جملة قصيدته يدح بها أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو يدح ان الامام هو الطبيب وقد شفا * على البرايا ظاهراً ودخيلاً جل البسيطة وهي تحمل شخصه * كالروح وجد حاملاً لا محمولاً

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي *

قال ابن خلدون * لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على حصن شنترين في التاريخ المتقدم يبيع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي واستنصر الناس للغزو مع أخيه السعيد يحيى فاستولى على بعض الحصون وأثنى في بلاد الكفار ثم أجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد أبو بكر بن السعيد أبي حفص قادماً من تلسان مع مشيخة بني زغبة من عرب هلال ومضى الى مراکش فغير المناكر وبسط العدل ونشر الاحكام اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه * وقال ابن أبي زرع * لما تمت له البيعة وطاعته الامم كان أول شيء فعله ان أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من ميوات المغرب وكتب الى جميع بلاد المغرب يسرح السجون ورد المظالم التي ظلمها العمال في أيام أبيه وأكرم الفقهاء ورأى الصالحين وأهل الفضل وأجرى على أكثرهم الانفاق من بيت المال وفرق في الموحدين وسائر الاجناد أموالاً جمة وكان أول شيء حدث في دولته شأن بني غانية المسوفيين أصحاب جزيرة ميورقة وأعمالها فلتأت بشيء من ذلك

خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور *

قد تقدم لنا في أخبار الدولة الملتونية ان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الملتوني كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة وياسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وهي أهم قناراتها بنوه من بعده الى أيام يوسف بن عبد المؤمن فبعث اليه محمد بن اسحق ابن محمد المسوفي المذكور بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن وبعث اليه قائده علي بن الروبرتير ليختم برأمره ويعقد له البيعة عليه ويؤكد الامر في ذلك وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرياسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير وعلما الامر الذي قدم لاجله أنكروا على أخيهم ذلك لانه لم يكن أعلمهم بكتابتهم يوسف بن عبد المؤمن من نفاذ وانبجاده ونبهوا عليه وعلي ابن الروبرتير وقد صوامكانه أخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

المنصور فرسك ب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها وعلماها ابو مئذ السيد
 أبو الريح بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجا في بعض مداخله فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة
 احدى وعثمانين وخمسمائة وهو وحكي ابن أبي زرع في استيلاء ابن غانية على بجاية وجهها آخر ما دخل
 الميورقي وهو علي بن اسحق المذكور مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة
 والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تغلق وقت صلاة الجمعة فارتقب ابن غانية الناس
 حتى أحرموا صلاة الجمعة ثم اقتحم عليهم المدينة وعمد الى الجامع الاعظم وأدار به الخيل والرجل فن بايعه
 خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه قال وأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده قال ومن ذلك
 اليوم اتخذ الناس غلق أبواب المدن يوم الجمعة وقت الصلاة والله أعلم ثم استولى علي بن اسحق على الجزائر
 ثم على مازونة ثم على مدينة ثم على القلعة ثم نازل قسنطينة فامتنعت عليه واتصل الخبر بالمنصور فسرح
 السيد أبا زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وعقد له على حرب ابن غانية وعقد محمد بن ابراهيم بن جامع على
 الاساطيل والى نظره أبو محمد بن عطوش وأجد الصقلي فوصل السيد أبو زيد الى افريقية وشرد ابن غانية
 عنها الى الصحراء في أخبار طويلة ثم عاد ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية وظاهره على ذلك قراقوش
 الغزي من موالي السيد سلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي صاحب مصر وكان قد تغلب على
 طرابلس وما والاها وبلغ المنصور ان ابن غانية قد استولى على قفصة فنقض بنفسه من حضرة مراکش
 ثالث شوال سنة اثنتين وعثمانين وخمسمائة ووصل الى فاس فأراحها ثم سار الى رباط نازا ثم سار على
 التعمية الى تونس وجع ابن غانية من اليه من المثلثين والعرب وجاء معه قراقوش الغزي صاحب طرابلس
 فسرح اليهم المنصور مقدمة من جيشه انظر السيد أبي يوسف يعقوب ابن السيد أبي حفص عمر
 ابن عبد المؤمن فقيمهم ابن غانية في جموعه فانتصر عليهم وانهمزم الموحدون وقتل جماعة من وجوههم
 وأسرع على بن الروبرت في آخرين وامتلأت أيدي العرب من أناسهم وأسلاهم ووصل سرعان الناس الى
 المنصور وهو بتونس فنقض اليهم في الحال ونزل القيروان ثم أغد السيد الى الحامة فالتقى الجمعان
 وأنشبو الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأحزابه وأقلت من المعركة بذمائه نفسه ومعه خليله قراقوش
 وأتى القتل على أكثرهم ثم صبح المنصور مدينة قابس وكانت في يد قراقوش فاقتحمها ونقل من كان بها
 من حرم ابن غانية وذويه في البحر الى تونس وثنى العنان الى توزر فاقتحمها وقتل من وجد بها ثم الى قفصة
 فنزلها أياما حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وهدم سورها واستبقى أهلها وجعل
 أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاة ولما فرغ من أمر قفصة فنقض الى عرب افريقية فقتلهم واستباح
 حللهم وأموالهم وشردهم في كل وجه ثم بعد ذلك جاؤه تائبين خاضعين فنقل أهل القننة والخلاف منهم
 الى المغرب الأقصى ورجع الى مراکش فدخلها في رجب سنة أربع وعثمانين وخمسمائة

الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم الى أرض افريقية ثم منها الى المغرب الأقصى والسبب في ذلك

اعلم ان أرض افريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الايام السالفة لاني الجاهلية ولا في صدر الاسلام
 وانما كان المغرب وطن الامة البربر خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم ولما جاءت الملة الاسلامية وأظهرها الله
 على الدين كاه زحفت جيوش المسلمين من العرب الى أرض المغرب في جملة ما زحفت اليه من أقطار
 الارض لكن العرب الداخلون الى المغرب في ذلك العصر انما كانوا يدخلون اليه غزاة مجاهددين على
 ظهور خيولهم فيقتضون الوطرن فتح الأقطار والامصار ثم ينقلب جهورهم الى وطنهم ومقرهم
 من جزيرة العرب وان بقي القليل منهم به فذمعا كانوا يستوطنون منه الامصار دون البادية ويسكنون
 القصور دون الخيام فلم تكن العرب تسكن المغرب زمنا ثم ذبقا تلهم وخيامهم ولا استوطنوه باحياتهم
 وحللهم كما هو شأنهم اليوم لان الملك الذي حصل لهم والغلب الذي مكثهم الله منه كان يمنعهم من سكني

البيادية ويعدل بهم الى الحاضرة ولا بد فكانت الخيمة بارض المغرب معدومة رأساً وقليلة جداً البعض البربر عن كان يتخذها منهم وهم قليل وانما كان يسكن الجمهور منهم بالداشر وكهوف الجبال واستمر الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة فدخلت العرب أرض افريقية واستوطنوها بحملهم وخيامهم ثم لما كانت أواخر المائة السادسة في دولة يعقوب المنصور روجه الله نقل الكثير منهم الى المغرب الأقصى فاستوطنوه بحملهم وخيامهم كذلك وصارت أرض المغرب منقسمة بين أمة العرب أهل اللسان العربي وأمة البربر أهل اللسان البربري بهدان كانت بلاده خاصة بالبربر لا يشاركونهم فيها غيرهم كما قلنا **وهو اعلم** ان أمة العرب تنقسم اولاً الى قسمين عدنان وقحطان ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين فاما عدنان وهم الاسماعيلية ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فينقسمون الى ربيعة ومضر واما قحطان وهم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن صالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فينقسمون الى حير وكهلان وهذا هو المعروف المشهور من نسب الفريقين وقد ذكر النسابون اسكل منهم ماشعوباً آخر كما لم نعتبرها المانقرضها اولقوة الخلفاء فيها ولعلتها جذا واندر اجها فيمن ذكرناه ثم يتشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعماير وبطون وأنفاذ وفصائل لاحصر لها لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول من جملة قبائل مضر بنوسليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ومن قبائلها أيضاً بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور المذكور في النسب السابق وقد نسبت الخنساء جشم هذا الى جده فقالت تم جود ريد بن الصمة معاذ الله ينكحني حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

ومن قبائلها أيضاً بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر المذكور أيضاً ومن جملة قبائل كهلان القحطانيين بنو الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جاد بن مذحج بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان وكهلان هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (واعلم) ان هؤلاء القبائل الاربعة التي ذكرنا هي التي ذكر المؤرخون انها انتقلت الى افريقية والمغرب وقد بضاف اليهم غيرهم من قبائل العرب لكنهم ليسوا بمتشهورين كالاربعة المذكورة **وهو اعلم** خبر دخولهم الى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون ان بنى سليم بن منصور وبني هلال بن عامر لم يزالوا يجزيرة العرب برهة من الدهر الى ان مضى الصدر من دولة بنى العباس وكانوا احياء ناجحة بارض الحجاز ونجد فبنو سليم مالى المدينة المنورة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ثم تحيز بنو سليم والكثير من هلال بن عامر الى البحرين وعمان وصاروا جند القرامطة ثم غلب القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال ثم انتقلت دولة العبيديين من افريقية الى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعه منهم وردوهم على أعقابهم الى البحرين ونقلوا أشياعهم من بنى سليم وبني هلال فانزلوهم بصعيد مصر في العدو الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك وكان لهم أضرار بالبلاد ولما انتقلت الدولة العبيدية من افريقية الى مصر كما قلنا استنابوا على افريقية بنى زيري بن مناد الصنهاجيين فأكوها وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على مذابحهم ويضربون السكة بأسمائهم ويؤدون اليهم آتاوة معلومة وطاعة معروفة ولما انشق ملك افريقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي كان له رغبة في مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ المستنصر بالله معز بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله والمعز هذا هو الذى انتقل الى مصر وبني مدينة القاهرة وكان المعز بن باديس الصنهاجي لا تزال المراسلات والهدايا تختلف بينه وبين المستنصر العبيدى صاحب مصر كما كانت أسلافهما ثم ان المعز بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذاهبه وذلك في أول ولايته فكباه فرسه فنادى مستغيثاً بالشيعين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فسمعت العاقبة

وكان جمهورهم سنية فناروا بالرافضة وقتلواهم أبرح قتل وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الإيمان
 وقطعوا من الأذان حتى على خير العمل وكانت هذه الواقعة في أيام الظاهر العبيدي والد المستنصر
 فكاتب المعز بن باديس في ذلك فاعة ذر إليه بالعامية فاعضى عنه واستمر ابن باديس على إقامة الدعوة
 لهم والمهاداة معهم وهو في أثناء ذلك يكتب وزيرهم القائم بأمور دولتهم أبا القاسم علي بن أحمد
 الجرجاني ويستميله ويعرض بيني عبيد وشيعتهم ويغض منهم ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين
 وأربع مائة وولى الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن علي اليازوري أصله من قرى فلسطين وكان أبوه فلاحا
 بها قبل ما لى الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء كان يقول في كتابه
 اليهم عبدكم وصار يقول في كتاب اليازوري صنيعتكم فخذ ذلك عليه وصارت القوارص تسرى من
 بعضهم الى بعض الى ان أظلم الخوي بين المعز بن باديس وبين المستنصر العبيدي ووزيره اليازوري فقطع
 ابن باديس الخطبة بهم على مناره سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وأحرق بنود المستنصر ومحيى اسمه من
 السكة والطرز ودعا للقائم العباسي خليفته بعد ادوجاه خطابه وكتاب عهده فقرئ بجامع القيروان
 ونشرت الايات السود وهدمت دور الاسماعيلية وبلغ الخبر بذلك كله الى المستنصر بالقاهرة فقامت
 قيامته ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري في أمر ابن باديس فأشار عليه بان يسرح له العرب
 من بني هلال وبني جشم الذين بالصعيد وان يتقدم اليهم بالاصطناع ويستميل مشائخهم بالعطاء وتولية
 أعمال افرريقية وتقليد هم أمر هابلا من صنهجة الذين به المنصر والشيعه ويدافعوا عنهم فان صدقت
 الخيلة في ظفرهم بان باديس وقومه صنهجة كانوا اولياء للدولة وهم الابلت القاصية وارتفع عدوانهم
 من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى فلها ما بعدها وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر
 صنهجة الملوك فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء وأرضخ لامرئهم في العطاء ووصل عامتهم
 بغير ودينار لكل واحد منهم وأباح لهم اجازة النيل وقال لهم قد أعطيناكم المغرب وملاك ابن باديس العبد
 الا تبقى فلا تنفقروا بعدهم وكتب اليازوري الى المعز أما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فخولا وأرسلنا
 عليهم جالا كهولا ليقضى الله أمرنا كان مفعولا فشرهت العرب اذ ذلك وعبروا النيل الى برقة فنزلوا
 بها واستباحوها واقتحموا أمصارها وأعجبهم البلاد فكاتبوا اخوانهم الذين بقوا شرقي النيل يرغبونهم
 في البلاد فأجازوا اليهم بعد ان أعطوا المستنصر لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضغاف ما أخذوه
 وتنازعوا على البلاد فحصل لبني سليم شرقها ولبنى هلال غربها ثم انتشروا في أقطار افرريقية مثل الجراد
 لا يعرفون بشيء الا أنواعه (وبالجمل) فلم تمر الامدة يسيرة حتى استولوا على ضواحي افرريقية ونزلوا
 أمصارها واقتضوا من أهلها الاتاوة وحصروا ابن باديس في مصره وصاهرهم بيناته تاليفالهم ومع
 ذلك فلم يجد شيئا والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من غرضنا قال ابن خلدون وهو هؤلاء الهلاليين
 في الحكاية عن دخولهم الى افرريقية طرق يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة
 ويسمونه شكري بن أبي الفتوح وانه أصهر الى الحسن بن سرحان في أخته جارية فأنكحه اياها وولدت منه
 ولدا واسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتته فاجعوا الرحلة عن أرض نجد الى
 افرريقية وتحموا عليه في استرجاع أختهم جارية المذكورة فطالبته بزيارة أبيها فأزارها اياهم وخرجها
 الى حلهم وأقام معها مدة الزياره فارتحوا به وبها وكنتموار حلهم عنه ومقوهوا عليه بانهم يباكرون به
 للصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى
 حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من جهاد اعد خييل وانها من
 بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها الى ان ماتت من حبه ويتناقلون من أخبارها في ذلك ما يعنى على خبر
 قيس وابي و يرون كثيرا من أشعارها محكمة المبانى مثقفة الاطراف وفيها المطبوع والمنتمل والمصنوع

لم يفقد فيها من البلاغة شيء وانما فقد منها الاعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة وفي هذه الاشياء عارضي
كثير دخلت فيه الصنعة وفتدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد
بآياتهم ووقائعهم مع زناتة وحرورهم ووضوح لاسماء رجالاتهم وكثير من أحوالهم لكان لا يثق بروايتها
وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمنوع منها وغيره وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف
خلفا عن سلف وجب الا عن جميل ويكاد القادح فيها والمسيب في أمرها أن يرى عندهم الجنون
لتواترها بينهم وهذا الشريف الذي يشيرون اليه هو من الهوامم وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن
جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر ابن موسى الثاني ابن عبد الله أبي الكرام ابن موسى
الجون ابن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وأبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي وبيع له بنو الجراح أمر اطيء بالشام
وبعثوا عنه فوصل الى احيائهم وبيع له كافة العرب ثم غلبته م عساكر الحاكم العبيدي ورجع الى مكة
وهلك سنة ثلاثين وأربع مائة فولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى بعده ابنه محمد
الذي يزعم هؤلاء الهلاليون انه من جازية هذه **وقال ابن حزم** ان شكر بن أبي الفتوح لم يولد له قط
وانما صار أمر مكة من بعده الى عبد كان له **وقال ابن خلدون** بل أخبرني من أتق به من الهلالين لهذا
المهداته وقف على بلاد الشام الشريف شكر بن أبي الفتوح وانما بقعة من أرض نجد مما يلي القرات وان ولده
به لهذا العهد والله أعلم **(واعلم)** ان جازية بنت سرعان هذه كانت من بني دريد بن اشجع بن أبي ربيعة بن نمير
ابن هلال بن عامر بن صعصعة فهي هلالية انجيبة دريدية ومن مزاعمهم انما الماصرت الى افرريقية
وفارقت الشريف بن هاشم المذكور خلفه عليها منهم ماضي بن مقرئ من رجال دريد فقامت عنده
مدة ثم غاضبه ولحق بأخيها الحسن بن سرعان فذمه امنه فقامت عشيرة ماضي بن مقرئ مع وقتلوا
الحسن بن سرعان وعشيرته وارت الفتنة بينهم وقتل فيها الحسن بن سرعان واستمرت العداوة بينهم الى
أيام الموحدين فهذا سبب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد الى افرريقية وأما سبب انتقالهم من
افريقية الى المغرب الاقصى فقد ذكرنا ان بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر اقترعوا على بلاد
افريقية فكان لبني سليم شرقها وللبني هلال غربها ثم تغلبوا على ضواحيها وأمصارها وضايقوا ملوكها
بها وانضم الى بني هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر فغلبت أيديهم على الجميع واستمر أمرهم على
ذلك الى ان كانت دولة بنو جشم المنصور الموحدي رحمه الله وثار ابن غانية ببلاد افرريقية كما تقدم فظاهرته
العرب من جشم وهلال على الموحدين وأوقعوا بدمية المنصور فقبض اليه من تونس وأوقع بالتمثير
أولاً ثم بالعرب ثانياً وقل جمعهم واتبع آثارهم الى ان شردهم الى صحارى برقة وانتزع تلك البلاد من
أيديهم ثم راجعوا بآثارهم فاتوه طائعين خاضعين حسيماً قد من الخبر عن ذلك مستوفي وكان الذين
قاتلوه أولاً ثم راجعوا طاعته ثانياً هم قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا راجعهم
أصحاب غرب افرريقية وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد فلذلك بقي بنو سليم يارض افرريقية
ونقل المنصور رحمه الله بنو هلال وبني جشم الى المغرب الاقصى حين أتوه طائعين وكان ذلك سنة أربع
وثمانين وخمس مائة فانزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر
الكبير الى أزغار البسيط الأفعج هناك الى ساحل البحر الأخضر فاستقروا وطاب لهم المقام وانزل
قبائل جشم ببلاد تامسة بالبسيط الأفعج ما بين سلاوس اكنش وهو أوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها
عن الثنايا المفضية الى القفار لاحاطة جبل درن بما قلم يعموا بعد ما قفروا لا بعد وارحلة **(واعلم)** ان هذين
البسطين يسميان اليوم في عرف عامة أهل المغرب بالمغرب والحوز فالعرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار
وما في حكمهما والحوز عبارة عن بلاد تامسة وما اتصل بها الى مراكنش فكان لرياح بلاد المغرب وكان

لجشم بلاد الحوز (ثم اعلم) أيضا ان قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
ابن صعصعة وهم بطون كثيرة وجاهلهم قد بقي بارض افريقية والذين اتفقوا منهم الى المغرب الاقصى كان
رئيسهم في ذلك العصر مسعود بن سلطان بن زمام الذواذي من بني ذواد بن مراد بن رياح فاقام معهم
مدة ثم جمع جماعة من قومه وفر الى افريقية وذلك في حدود التسعين وخمسمائة وأبدأ وأعاد هنالك في
الاجلاب مع التوار الى ان هلك في بعض تلك المدة وأقام الباقون بعد فرار كبيرهم مسعود المذكور
ببلاد الهبط وازغار الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون الموحدي
وقتل سنة ثلاثين وستمائة ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء
البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية ضواحيهم وانضم اليهم بنو عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا
اخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف الملوك منهم فكانت بين الفريقين جولة قتلى فيها عبد الحق بن محيوا
ابن أبي بكر بن حمامة أبو الملوك المرينيين وقتل معه ابنه ادريس فاجتدت رياح السبيل لبني مرين على
أنفسهم في طلب الثار فأتحنوا فيهم بعد ان ملكوا المغرب واستلموهم قدام سيما مرة بعد أخرى وكان
آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المريني سنة سبع وسبعمائة تبهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس
الهضاب وأسماها بالمتوسطة في المرج المستبحر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة
وزهدت رياح أدرج الرياح هذ اخبرهم على الجملة (وأما بنو جشم أصحاب تامسنا) فان المنصور
لما نقلهم اليه انقل معهم قبائل أخر كانوا قد قاتلوه معهم ولم يكونوا من نسبهم ولكنهم كانوا مندرجين
فيهم فكان يطلق على الجميع جشم وهؤلاء القبائل هم المتقدم والعاصم من بني هلال بن عامر ثم من
الأبجج منهم وقرة من بني هلال أيضا والخلط من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر فهؤلاء القبائل
ليسا ومن جشم كما ترى ولكنهم لما انعموا وافهم وانتقلوا الى المغرب بانتقالهم أطلق على الجميع جشم
فاما المتقدم والعاصم فهما النامشرف بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة وأما قررة
فهم بنو قررة بن عبد مناف بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال فهؤلاء القبائل الثلاثة أعنى المتقدم والعاصم
وقرة هلاليون وأما الخلط فهم بطن من بنى عقيل بالتصغير ~~وقال~~ أبو الحسن على بن عبد العزيز
الجزباني في الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة المذكور في الانساب المتقدمة فقد بان لك هذا ان هذه القبائل الاربع أعنى العاصم ومقدم
وقرة والخلط ليسوا من بنى جشم بن معاوية بن بكر من حيث النسب وان الثلاث الاول من بنى هلال بن
عامر وان الاربعة وهى الخلط من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر وفي
معاوية بن بكر يجتمع الجميع كما ذكرناه أولا والله تعالى أعلم ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة
فنعول لما نزل بنو جشم ببسيط تامسنا أقاموا به برهة من الدهر ثم غلب جمهورهم الى العاصم ومقدم
وبنى جابر وسفيان والخلط (فاما مقدم والعاصم) فكانوا مع اخوانهم ببسيط تامسنا المذكور وكان
للموحدين عليهم عسكرة وجباية وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ثم عهد المأمون بن المنصور منهم حسن
ابن زيد وكان له أثر في الفتنة التي نارت بين المأمون وبين يحيى بن الناصر بن المنصور ولما هلك يحيى
المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد وفائد
ابنى عامر من شيوخ بنى جابر كل منهم ما اسمه قائد فقتلوا جميعا ثم صارت ارياسة لابى عياد وبنيه وكان
رئيسهم لعهد بنى مرين عياد بن أبى عياد وكان له تلون على الدولة في النفرة تارة والاستقامة أخرى فرأى
تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة وفر الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ولم يزل هذا أبه
وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من قبل ذلك ومقاما ته فى الجهاد معه مذ كورة
وبقيت رياسته فى بنيه الى ان انقرض أمرهم وتلاشوا والله خير الوارثين (وأما بنو جابر بن جشم) فكانت

لهم شوكة أيضا وكان لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ويحيى بن الناصر بن المنصور فكانوا
شيعية ليحيى ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد ابني عاصم وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا
وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد وولي أمر بني جابر بعدهما
يعقوب بن محمد بن قيطون ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعقوب وكان ذلك بأمر أبي حفص
المرتضى الموحدي وولي رياسته بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن
احياء جيشهم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صناعة من البربر الساكنين بقنته وهضابه
فيسهلون الى البسيط تارة ويأوون الى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى اذا دعتهم مخافة من
السلطان (قال ابن خلدون) والرياسة فيهم لهذه العصور يعني أو اخر المائة الثامنة في ورديفة من بطونهم
قال أدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان حسين بن علي الورديني ثم هلك وأقيم مقامه ابنه الناصر
ابن حسين ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوحه عن السلطان أبي سالم المريني سنة ستين وسبع مائة
ونمضت اليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند قراره من
مراكش سنة ثمان وستين ونزله السلطان عبد العزيز المريني وأحاط به وبهم فخلق برباطة صناعة
ثم أمكنوا منه على مال حل اليهم ولحق بهم أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمن بن أبي بغاوس المريني على
عهد الوزير عمر بن عبد الله المتخاب على المغرب وطلبه الوزير عمر فاخر جوه عنهم وطال بذلك مراسي
الناصر هذه الفتنة فنكرته الدولة وتقبضت عليه وأودعته السجن فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة
من بعد ذلك وأطلقته ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ولد
السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ونقلوا الرياسة عن بيته الى غيرهم والله تعالى مقاب الامور وقد
يزعم كثير من الناس ان ورديفة من بني جابر ليسوا من جنس وانهم بطن من بطون سدرة احدى
شعوب لواتة من البربر ويسعدون على ذلك بطونهم وجوارهم البربر والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك
وأماسغيان يفهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول العرب الى المغرب كانت رياستهم
يومئذ في أولاد جرهمون على سائر بطون جنسهم واستمر واعي ذلك سائر أيام الموحدين ولما ضعف أمر بني
عبد المؤمن استكثروا بهم في حروبهم فكانت لهم عزة ودالة على الدولة بسبب الكثرة وقرب العهد بالبدوة
وخبوا ووضعوا في الفتن مع أعقاب الملوكة من بني عبد المؤمن المتنازعين على الملك وظاهروا البعض
منهم على البعض وساءت آثارهم بالمغرب وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدي
جرهمون بن عيسى السغياني وكانت بينهم وبين الخلط عدوة فصارت الخلط شيعية للمأمون وبنيه وصارت
سغيان بسبب ذلك شيعية ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بجرا كس ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود
ابن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد فصاروا الى يحيى بن الناصر وصارت سغيان الى الرشيد ثم ظهر بنو
مهرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين وتزعجهمون سنة ثمان وثلاثين وستمائة عن الرشيد ولحق
بمحمد بن عبد الحق المريني حياء مما وقع له مع الرشيد وذلك انه نادى ذات ليلة حتى سكر فقام يرقص طربا
ثم حل عليه وهو سكران وعربد وأساء الادب ثم أفاق فندم وفر الى محمد بن عبد الحق وهلك سنة تسع
وثلاثين بعدها وعلا كعب ابنه كانون بن جرهمون عند السعيد بن المأمون ثم خالف عليه عندئذ ووجه الى
بني مهرين سنة ثلاث وأربعين وستمائة ورجع الى آزمور فلما هافت ذلك في عضد السعيد فرجع عن
حركته وقصد كانون بن جرهمون ففرأما منه ثم حضر معه بعد ذلك حركته الى تلسان وقتل بحمص
ناصر دكت قبل مقتل السعيد بيوم واحد قتله الخلط في قننة وقعت بينهم في محلة السعيد وهي التي جرت
عليها تلك الواقعة وقام بامر سغيان من بعده أخوه يعقوب بن جرهمون وقتل ابن أخيه محمد بن كانون
وحضر مع عمر المرتضى الموحدي حركة امان ايمولين سنة تسع وأربعين وستمائة فرحل يعقوب عن

السلطان واختل عسكره بسبب ذلك فرجع واتبعه بنو مرين فكانت الهزيمة ثم عقاله المرتضى عنها ثم قتله
 مسعود وعلى ابنا أخيه كانوا بنار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وثمانمائة ولحقا يعقوب بن عبد الحق
 المريني وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فجهز عن القيام بأمره فقدم معه عبد الله بن جرهمون فجهز أيضا فقدم
 مسعود بن كاتون فأقام شيخا على سفينان واستمرت حالهم مع الموحد بن وبنى مرين على هذا النحو من
 إخلاص الطاعة والنصرة تارة والتمريض فيهما أخرى **وقال ابن خلدون** وواصلت الرياسة على سفينان
 في بني جرهمون هؤلاء إلى عهدنا قال وأدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي بن
 منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرهمون بن عيسى وكانت سفينان هؤلاء أحياء حاولوا بالطرف تامسنا
 مما يلي آسفي وغلبتهم الخلط على بساطها الفسيحة وبقى من أحيائهم الحارث والكلابية ينتجعون أرض
 السوس وقفاره ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس ورياسة ثم
 في أول دمطاع من الحارث وطال عيبتهم في ضواحي مراکش وافسادهم فلما استبدد سلطان مراکش
 الأمير عبد الرحمن بن أبي يفاوس المريني سنة ست وسبعين وسبع مائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم
 ثم استقدمهم في بعض أيامه للعرض بخيلهم ورجلهم على العادة وشيخهم يومئذ منصور بن عيش من
 أولاد دمطاع فتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين سجونه فذهبوا مثل الأخرين
 وخضعت شوكتهم والله قادر على ما يشاء **وقال الخلط** فقد كانوا يبسط تامسنا أولى عدد وقوة وكان
 شيخهم هلال بن جيدان بن مقدم ولما ولي العادل بن المنصور الموحدى خالفوا عليه وهزموا عساكره
 وبعث هلال يبعته إلى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وثمانمائة وتبعه الموحدون على ذلك ثم جاء
 المأمون قطاهره على أمره وتخيرت أعداؤهم إلى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال بن جيدان مع
 المأمون إلى أن هلك في حرصته سنة وبيع بعده لابنه الرشيد وجاءه إلى مراکش وهزم سفينان
 واستباحهم ثم هلك هلال بن جيدان فولى مكانه أخوه مسعود بن جيدان ثم خالف على الرشيد فاحتال
 الرشيد عليه حتى وقد عليه جراح فقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وثمانمائة وولى أمر الخلط
 بعده يحيى بن هلال وفر بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصروا مراکش ثم استولوا عليها وعاثوا فيها
 وخرج الرشيد إلى سجلماسة ثم عاد إليهم سنة ثلاث وثلاثين بعد ها وغلبهم عليها ثم راجعوا طاعة الرشيد
 وطردوا يحيى بن الناصر إلى بني معقل عرب الصحراء فتقبض الرشيد على وشاح وعلى ابني هلال وسجنهم
 بأزمور سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ثم أطلقهم ثم بعد ذلك غدر بشيختهم بعد الاستدعاء والتأيس وقتلهم
 أجمعين ثم بعد ذلك حضر وامن السعيد بن المأمون حركته إلى بني عبد الواد أصحاب تلمسان وجر وعلية
 الواقعة حتى قتل فيها بسبب قتلهم مع سفينان يومئذ فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم إلى أن تقبض على
 أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة فقتلهم ولحق عوارج بن هلال بن جيدان ببني مرين وقدم المرتضى
 عليهم على بن أبي علي من بيت الرياسة فيهم ثم رجع عوارج إلى الموحد بن سنة أربع وخمسين وثمانمائة
 فأغزاه على بن أبي علي فقتل في غزاته تلك ثم كانت واقعة أم الرحلين ببني مرين على المرتضى سنة ستين
 وثمانمائة فترغ على بن أبي علي إلى بني مرين ثم صار الخلط كلهم إلى بني مرين وكانت الرياسة فيهم أول دولة
 بني مرين لاني عطية مهلهل بن يحيى الخلطى وأصهر إليه السلطان يعقوب بن عبد الحق فأنكحه مهلهل
 ابنته عائشة التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ولم يزل مهلهل كبيرا عليهم إلى أن هلك سنة
 خمس وتسعين وثمانمائة ثم قام بامر الخلط ابنه عطية وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه السلطان أبي
 الحسن وبعثه السلطان أبو الحسن سفيرا عنه إلى سلطان مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون ولما هلك
 عطية قام بامر الخلط ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن إبراهيم بن عطية وهو الذي بلغ المبالغ من
 العز والترقى والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك فولى أمر الخلط بعده أخوه أجد بن

ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم ثم اخوه مبارك بن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان المريني ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان أبي سالم المريني واستولى على المغرب أخوه السلطان عبد العزيز وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مرا كس فكان مبارك بن ابراهيم بن عطية هذا معه ولما تقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك المذكور وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد الهنتاتي وقتله فقتل معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من محبة به ومداخلة في الفتنة كما يذكر في أخبار بني مرين وولي ابنه محمد بن مبارك على قبيل الخلط **✽** قال ابن خلدون **✽** الان الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن **✽** أصابهم من الخصب والترف منذ ما تلتين من السنين بذلك البسيط الافيج زيادة على الغزو والدعة فأكثرهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره **✽** اه ولما انقرضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي انحاشت الخلط اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة وغلب محمد الشيخ المذكور على فاس وأخرج أبا حسون الوطاسي عنها فذهب أبو حسون المذكور الى دولة الترك بالجزائر واستصر بهم على السعديين فلبوا دعوتيه وقدم معه منهم عسكري جرار الى فاس فآخر جو محمد الشيخ السعدي عنها بعد حروب عظيمة جرت الخلط هؤلاء عليه فيها المنزعة فلما استقل بالامر محمد الشيخ المذكور خلع الخلط من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحي اسمهم من ديوان الخدمة ونقل أعيانهم الى مرا كس واتخذهم رهائن عنده ولم يزل الامر على ذلك الى دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي فرأى جلا د الخلط وقتالهم يوم وادي المخازن وابلاءهم البلاء الحسن فاختر النصف منهم وردة الى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاس متوطنوه فعاثوا في تلك البلاد وأكثروا فيها الفساد ومثروا أيديهم الى أولاد مطاع فنبهوهم وضايقوا بني حسن فكثر الشكاية بهم الى المنصور السعدي فغضب عليهم مغرماسعين ألفا فلم يزيدوا الا شدة فغضب عليهم بعنا الى تسكرار بن من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك فبعث اليهم القائد موسى بن أبي جادة العمري فانترع منهم الخليل وأبقاهم رجالة ثم حكم فيهم السيف فزقهم كل عزق ومن ثم خدت شوكتهم ولانت العامر قناتهم ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء التي ملأت الافواه وأسالت من الجفون الامواه وهي قتلهم ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبا عبد الله سيدي محمد العياشي المالكي رحمه الله فازلنا نسمع ان قبيلة الخلط انما سلبوا العزم منذ قتلهم الولي المذكور وكان ذلك في المحرم سنة احدى وخمسين وألف والله تعالى أعلم

✽ الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم **✽**

✽ قال ابن خلدون **✽** هذا القبيل لهذا العهد من أفرق قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبني عامر من زغبة الهلاليين في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جهة الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عميد الله وذوى منصور وذوى حسان وذوى عميد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما واجهها من القبلة ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ماوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يجاذيها من التل مثل تازوغساسة ومكاسة وفاس وبلاد نادالا والمعدن ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملتين من كدالة ومسوفة وتمونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المائتين واعترضتهم بنوسليم فاجزؤهم وتجزؤوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا باخر مواطنهم عمالي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زانة في القفار فغفوا وكثروا وأثر وافي صحارى المغرب الاقصى فمروا رماله وتقبلوا في فيا فيه وكانوا هنالك أحلافا لزانة سائر أيامهم وبقي منهم بأفريقية جمع

قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا زواء لهم في الاستخدام للسلطان واستتلاف
 العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخاوا الى الامصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتفردوا
 في البسداء فتموا غوا الا كفاء له وما كوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا
 ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ثم واز كلان ثم تاسبيت ثم تيكراير بن شرفا وكل واحد من هذه وطن منفرد
 يشتمل على قصور عديدة ذات تخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة وبينهم قن وحروب على رياستها الخازن
 عرب معقل هذه الاوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون
 فيها ملكا وكانوا في تلك المدة السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطوائل
 ويسمونهم اجل الرحيل وكان لهم الخيار في تعينها ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من أطراف المغرب وتولاه
 حتى ولا يعرضون لسابله سبحانه ولا غيرهما من بلاد الصحراء بأذية ولا مكر وهذا كان بالمغرب من
 اعزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة من بعدهم وكان لهم باراء ذلك اقطاع
 من الدول يعتدون الى أخذه اليد السفلى وعددهم قليل كما قلنا وانما كثروا بما اجتمع اليهم من القبائل
 من غير نسبهم فان فيهم من فزارة بن ذيبان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر
 وفيهم من أشجع بن ريث بن غطفان احياء كثيرة يظعنون مع بني معقل بجهات سجلماسة ووادى ماوية
 ولهم عدد وذكروا فيهم الصباح من الاخضر ويقولون انهم من ولد اخضر بن عامر وعامر هذا هو
 والله أعلم من ولد رباح الهلاليين وفيهم المهابة من عياض احدى بطون الانبج الهلاليين وفيهم العمور
 من الانبج أيضا وفيهم بطون آخر من بني هلال وبني سليم وغيرهم وأما انسابهم عند الجمهور خفية
 ومجهولة والنسابة من عروب هلال يعتدونهم من بطونهم وهو غير صحيح وهم أعني بني معقل يزعمون
 ان نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضا صحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا
 أهل بادية ونجدة هكذا ذكر ابن خلدون لكنه لما تكلم على جهينة احدى بطون قضاة وذكر انهم
 نزلوا بلاد الصعيد وملوها قال وازل معهم في تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن أبي طالب
 حين علمهم بنو الحسن على نواحي المدينة وأخرجوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون
 في غالب أحوالهم بالتجارة اه كلامه فعلى هذا لا يعد ان تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا
 من أرض الصعيد ودخاوا مع بني هلال الى بلاد المغرب وأوطنوا صحراء وهم بنو معقل المذكورون
 والناس مصدقون في انسابهم والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم قال ابن خلدون وهو الصحيح والله أعلم من
 أمرهم انهم من عرب اليمن فان في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهم مامعقل ذكرها ابن السكبي وغيره
 فاحدهما من قضاة بن مالك بن حير وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب وينتهي نسبه الى قضاة
 والاخر من بني الحرث بن كعب أصحاب نجران الذين كان منهم بنو عهد المدا مملوك نجران في الجاهلية
 والاسلام وهو معقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب وينتهي نسبه الى كهلان قال
 والانساب ان يكونوا من هذا البطن الاخر وقد عده الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افرقيمة
 لمجاورتهم في الوطن قال ومن املاء انسابهم ان معقلا جدتهم له من الولد سمير ومحمد فولد سمير عميد الله
 ونعاب بن عميد الله ذوى عميد الله البطن الكبير منهم ومن ثعلب الثعلبية الذين كانوا يسيط متيجة من
 نواحي الجزائر وولد محمد مختار ومنصور واولادهم واولادهم واولادهم واولادهم واولادهم واولادهم
 حسان ذوى حسان البطن المذكور أهل السوس الاقصى ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك
 ومن جلال وسالم وعثمان الرقطات بادية في ذوى حسان ينتجعون معهم وولد منصور بن محمد حسينا
 وأبا الحسين وهما شقيقان وعمران ومنبا وهما شقيقان أيضا وهما الاحلاف ويقال لعمران العمارة ولنبا
 المنبات ثم يقال لجميع البطن الاربعة وولد منصور بن محمد ذوى منصور وهم احدى بطونهم الثلاث

المذكورة والله تعالى أعلم بغيه فهذه أصول عرب المغرب الأقصى وكيفية دخولهم اليه واستيطانهم اياه وبعض فصولهم قد ذكرناها لمختصة من تاريخ امام الفن أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون ومن جهمرة الانساب لابن خزم وزدنا ما يحتاج منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق **﴿وارجع﴾** الى ما كتبنا بسيله من اخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور رجه الله فانه لما رجع من افريقية الى مراکش سنة أربع وثمانين وخمسة مائة رفع اليه ان أخاه السيد أباحفص صاحب مرسية الملقب بالشيخ وعمه السيد أبالربيع صاحب تادلا عندما بلغه ما خبر الواقعة التي كانت على مقدمة المنصور بأفريقية حدثا أنفسيهما بالتوثب على الخلافة فلما قدم عليه للهنئة أمر باعتقالهما خلال ما استملى أمرهما ثم قتلهما وتعد السيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية وفي سنة خمس وثمانين وخمسة مائة شرع المنصور في ادخال ساقية الماء الى مراکش ثم ناقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما ذكره

﴿الجواز الاول ليعقوب المنصور رجه الله الى الاندلس بقصد الجهاد﴾

﴿قال ابن ابي ذرعة﴾ وفي سنة خمس وثمانين وخمسة مائة تحرك أمير المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غرناطة وهي أولى غزواته فعبر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم مضى من الخضراء حتى نزل شنترين وشنق الغارات على مدينة اشبونة وأنحائها فقطع الثمار وحرق الزروع وقتل وسببا وأضرم النيران في القرى وأبلغ في النكابة وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألفا من السبي فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة

﴿مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر ليعقوب﴾

﴿المنصور رجهما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد﴾

كانت الفرغ قد ملكها كواسوا وحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة قبل هذا التاريخ وملكها امهها بيت المقدس شرقه الله فلما استولى السلطان صلاح الدين رجه الله على ديار مصر والشام اعترم على جهادهم وصار يفتتح حصونهم او واحد بعد واحد حتى أتى على جميعها واقترح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسة مائة وهدم الكنيسة التي بنوا حيه وانقضت أمم النصرانية من كل جهة وتتابعت اساطيلهم الكفريه بالمدد من كل ناحية لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس واعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ما نعتهم فبعث صلاح الدين صريخه الى المنصور سنة خمس وثمانين وخمسة مائة يطلب اعانتته بالاساطيل لمنازلة عمك وصور وطرابلس الشام وأودعاياهه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ مالوك شير من حصون الشام وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا الى يعقوب المنصور طالبا مدد الاساطيل لتحول في البحرين اساطيل الفرغ وبين امداد النصرانية بالشام ولنازلة الثغور التي ذكرنا وبعث معه الى المنصور هدية تشتمل على مصحفين كريمين منسويين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستائة منقار من المسك والعنبر وخمسين قوسا عريسة باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة مثقلة فوصل الى المغرب فصادف المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى ان رجع فلقبه وأدى الرسالة وقدم الهدية وكان الكتاب الذي بعث به صلاح الدين من انشاء الاديب عبد الرحيم اليبساني المعروف بالقاضي الفاضل وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده الحمد لله الذي استعمل على الملة الخنيفية من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجر من أجرى على يده النافلة والفرض وزين سماء الملة بدراري الذواري التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل ولما وقف

عليه المنصور ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بأمير المؤمنين لم يهبه ذلك وأسرها في نفسه وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة وورده إلى مرسله ولم يجبه إلى حاجته ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين اسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام والله تعالى أعلم ﴿ قال ابن خلدون ﴾ وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالساطيل الجهادية وعدم غناية الدول بمصر والشام لذلك العهد بها وكان ابن منقذ المذكور قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها

سأشكر بحر اذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لا خراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سميت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول ترجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نذاك الغمر بالنجح كافل
وخرت بقصدك العلى فبلغتها * وأدنى عطائك العلى والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيسا * تبلغك الا مال ما أنت آمل

وعندئذ أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيتناك لفضلك وليبتك يعني لاجل صلاح الدين

﴿ يعود المنصور الى افريقية والسبب في ذلك ﴾

لما قدم المنصور من الاندلس الى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ توارثت لديه الاخبار بان ابن غانية قد ظهر بافريقية فهض اليها من فاس في ثامن شعبان من تلك السنة فدخل تونس في أول ذي القعدة منها فالتى بلاد افريقية ساكنة وقد فرغ ابن غانية عنها الى الصحراء حين سمع بقدمه وفي سنة ست وثمانين وخمس مائة استولى الفرنج على مدينة شلب وباجة ويا بورة من غرب الاندلس وذلك لما علموا ان المنصور قد أبعده عنهم واشتغل بامر افريقية فاعتصموا الفرصة فيها واتصل الخبر بالمنصور فغاضه ذلك وأعظمه وكتب الى قواد الاندلس يوجههم ويأمرهم بغزو بلاد الفرنج ويعلمهم انه قادم عليهم في أثر كتابه فاجتمع قواد الاندلس الى محمد بن يوسف والى قرطبة فخرج بهم في جيش كثيف من الموحدين والعرب وأهل الاندلس حتى نزل على شاب فشد عليه الحصار وتابع عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويا بورة ورجع الى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألفا من السبي وثلاثة آلاف أسير قدمهم بين يديه في القطان خمسون علفا في كل قطينة وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمس مائة وفي هذا الشهر رجع المنصور من افريقية فانتفى الى تلمسان فاقام بها الى آخر السنة المذكورة وفي فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهى سنة آ كروا وخرج المنصور من تلمسان الى فاس وهو مريض فتمكن بركب في آ كروا فدخل فاسا واقام بها مريضاً سبعة أشهر حتى أبل من علته ثم نهض الى مراكش فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخمس مائة ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد وكان ما نذر ان شاء الله

﴿ الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس ﴾

﴿ قال ابن خلدان ﴾ كان يعقوب المنصور رحمه الله قد خافه الفتن صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه الى خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فقبوا وسبوا وعاثوا عينا فظيما فانتفى الخبر الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو بمراكش فجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل في ذلك وعبر البحر الى الاندلس سنة احدى وتسعين وخمس مائة واتصل بالفرنج عبوره اليهم فجمعهم معوا خلقا كثيرا من اقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوهم ﴿ قال ابن خلدان ﴾ وقد رأيت بدمشق جزأ بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن جويرة المرخسى وكان قد سافر الى مراكش واقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة

فن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره ههنا قال لما انقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب
 المنصور وبين الأذفونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة مملكته يومئذ طيلة وذلك
 في أواخر سنة تسعين وخمسة مائة عزم يعقوب المنصور وهو يومئذ نجرا كش على التوجه الى جزيرة
 الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب الى ولاية الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون
 اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن
 تدبير تلك الجيوش ورجل يعقوب المنصور الى مرا كش وهو مرض فطمع المجاورون له من العرب
 وغيرهم في البلاد وعاتوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد
 المسلمين بالأندلس واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا واشتغلوا
 بالمدافعة والممانعة فكثرت طمع الأذفونش في البلاد وبعث رسولا الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهدد
 ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له من
 ضعفاء المسلمين يعرف بان الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح
 روح الله وكتبه الرسول الفصيح (أما بعد) فانه لا يخفى على ذى ذهن ناقد ولا ذى عقل لازب انك
 أمير الملة الحنيفة كما فى أمير الملة النصرانية وقد علمت الا ان ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل
 والتواكل واهمال أمر الرعية واخلاصهم الى الراحة وأنا أسوهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبى
 الذرارى وأمثل بالرجال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون ان الله
 فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ونحن الان نقاتل
 عشرة منكم بواحد منا لا نستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي لى عندك انك أخذت فى
 الاحتفال وأشرفت على روبة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدر رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري
 أكان الجبن قد أطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعله
 لا يسوغ لك التعمم معها وهما أنا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعنك على ان تفي بالعهود
 والمواثيق والاستكبار من الرهان وترسل الى جملة من عبيدك بالمرأى والشوانى والطرائد المسطحات
 وأجوز بجملى اليك فأقاتلك فى أعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنمة كبيرة جلبت اليك وهدية
 عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدي العلياء عليك واستحقت اماراة للمتين والحكم على
 البرين والله تعالى يرفق للسعادة ويسهل الارادة لارب غيره ولا خير الاخيه فلما وصل كتابه
 الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور مرضه وكتب على ظهر قطعة منه وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن
 التوقيع كما يأتى فى بقية أخباره ارجع اليهم فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولخرجهم منها أذلة وهم
 صاغرون ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا وأنشد ممتثلا

ولا كتب الا المشرفية والفتى * ولا رسل الا الخيس العرمم

ثم أمر بالاستفغان واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب الممرات بظاهرها بالمدن يرمه وجمع
 العساكر وسار الى البحر المعروف برفاق سبتة يريد الأندلس وقال ابن أزرع خرج أمير المؤمنين
 يعقوب المنصور من حضرة مرا كش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة احدى وتسعين
 وخمسة مائة بوالى السير ويطوى المناهل ولا يابى على فارس ولا راجل والجيوش تتابع فى اثره من
 سائر الاقطار فلما انتهى الى قصر الحجاز أخذ فى اجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة الا وقد
 لحقت بها أخرى فاجاز أول قبائل العرب ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم المتطوعة من قبائل المغرب
 ثم الاغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم اجاز أمير المؤمنين فى اثرهم فى موكب عظيم من أشيخ
 الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاء واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة

الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقامها يوماً واحداً ثم نهض إلى العدو قبل أن تخمد قراخ
المجاهدين وتضعف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو تازل أبارازه نحو مرحلتين
فتزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة في جمع الناس ذلك اليوم فواظهم ووعظهم ثم
اختص أهل الأندلس بعزيم المشورة وقال لهم إن جميع من استشرته وإن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب
لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم فأحالوه في الرأي على القائد
أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور رجه الله في ذلك على رأيه **و** وقال ابن الخطيب في رقم الحلال **و** إن
أمير المؤمنين المنصور رجه الله عرض جيشه وأخذ في تقريب القرب إلى الله تعالى بين يدي جهاده
فسرح السجون وأدر الأرزاق وعين الصدقات ورحل فتزل الأرك وقد خيمت بأحوازها محلات العدو
يضيق عنها المتسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحال من المسلمين وقال أيها الناس اغفروا لي
فيعاسي أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه
محرزين ومدكرين فنشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح
والبروز إلى اللقاء فكانت التعبئة تحت العباس **و** وحكى ابن أبي ذر **و** أن المنصور بات تلك الليلة عاكفاً
بمسلاه على الركوع والسجود وأنه أغفى اغفاه فرأى ملكاً نزل من السماء في صورة بشريه يده راية
خضراء وبشره بالفتح وأنشده في ذلك آيةً ما بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على
وجوه الجنود فازداد الناس طمأنينة وبصيرة فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبة
الجزء المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له
رايته وقدمه بين يديه فخرفت على رأسه الآيات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيل هنتانة وبين
يديه القائد ابن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرموني بن رياح على قبائل العرب ولتديل
ابن عبد الرحمن المقرائى على قبائل مغراوة ولحميد بن أبي بكر بن جماعة المريني جد الملوكة المرينيين على
قبائل بني مرين ولطاب بن يوسف العبد الوادى على قبائل بني عبد الواد والعباس بن عطية التوجيني
على قبائل بني توجين ولتلمين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولحميد بن منغداد على قبائل
غمارة وعقد للفقهاء الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة **و** وقال ابن خلدون **و** إن الذي
كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والسكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن
أبي حفص وبقي المنصور رجه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبي يحيى بالرحيل والتقدم
أمامه إلى جهة العدو وكان المنصور قد صفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخراً في الموحدين
والعبيد والحشم على مسافة يخفي بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبي يحيى ببعض الآيات والطبول في
هيئة السلطان فيباقي العدو فإن كانت للمسلمين فهو المطاوب وإن كانت عليهم **و** كان المنصور ردأهم
ثم بدأ القتال مع العدو وقد انفل حده ولانت شوكته فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن
صناديد أمامه في فرسان الأندلس وجاتهما فكان الشيخ أبو يحيى إذا أفلح بجيشه عن موضع صباحاً خلفه
المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع الفرنج وهي يومئذ إلى جنب حصن
الأرك ويقال الأركو بزيادة الواو في آخره قد ضربت أخيمته اعلى ربوة عالية ذات مهاو وأحجار كبار
قدملات السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في السيمط نخوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان
سنة إحدى وتسعين وخمسائة وعند ابن خلدون أن ذلك كان يوم الخميس قال واقفي المنصور في ذلك
طريقة أبيه وجده فانهم أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر فبعث الشيخ أبو يحيى
عساكره تعبئة الحرب وعقد الآيات لأهراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها جعل
عسكر الأندلس في الميمنة وجعل زناته والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة وجعل المتطوعة

والاعزاز والرماة في المقدمة وبقى هو في القالب في قبيل هنتانة ولما أخذ الناس من اكرهم من حومة القتال خرج جرهمون بن رباح عيسى في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر وبينما الناس على ذلك اذا انفصلت من جيش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفئس لعنه الله قد انتخبهم وصلت أهسته عليهم صلاة النصر ورشوهم بعماء العمودية وتحالفوا عند الصلابة ان لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا وادونهم فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادى الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين ائتوا في مصافكم واخلصوا الله تعالى نياتكم واذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عاصم الزعيم من أمراء العرب فخص الناس على الصبر وثبتهم وجلت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ثم تقهرت قبائلها ثم عاودت الحملة فكانت كالاولى ثم تهبأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها الى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور فاستشهد بدرجة الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتانة والمنطوقة وغيرهم وسمى بنوا الشيخ أبي يحيى بنى الشهيد وعرفوا به من يومئذ وأظلم الجوباء الغبار واختلطت الراجال بالراجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت الى الشيخ أبي يحيى وزحفن زناة والمصامدة وغماره الى الاربوة التي فيها الفئس وجوعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فتوغل المسلمون في تلك الاوعار اليهم وخالطوهم بها واشتمت القتال واستمر القتل في الكتيبة التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهنتانة فظنوههم طمنا وانكسرت شوكة الفئس بهم لآكلهم اذ كان اعتمادهم ومعولهم عليهم وأسرع خيل من العرب الى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بان الله تعالى قد قفل شوكة العدو وأشرف على الانهزام فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا القتال العدو وحقق البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة فلم يبرح الفئس العين الا الرايات قد أقبلت تتحقق من كل جهة وزعقات الطبول والابواق وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض فقال ما هذا فقبيل هذا المنصور قد أقبل في جيشه وما قاتلك سائر اليوم الاطلائعه ومقدماته فعد في الله الرعب في قلبه وخشعت نفوس جوعه ووزلزلت بهم الارض زلزلا فلو الا دبار لا يلوون على شيء وأسعدهم يومئذ من وجد في فرسه بقية تخبه واتمهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأحاط بعضهم بحصن الارك يظنون ان الفئس قد تحصن به وكان عدو الله قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى واقفح المسلمون الحصن عنوة وأضرمو النيران في أبوابه واحتوا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التي تفوت الحصر **و** وقال ابن خلدون **و** كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ابن اذفونش وابن الرند واليبوج قال واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزهم المنصور على حكمه حتى فودى بهم عددهم من المسلمين **و** وفي القرطاس **و** ان عددا سارى الارك كانوا أربعة وعشرين ألفا فلق عليهم المنصور وأطلقهم قال فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين وعدت للمنصور سعة من سقطات الملوك **و** وقال ابن الاثير **و** كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهمزمو أفضح هزيمة وكان عددا من قتل من الفرنج أزيد من مائة ألف وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا فبن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ومن الخيل ستة وأربعون ألفا وقيل ثمانون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الخيول مائة ألف **و** قال في فتح الطيب **و** جاءها الكفار لجل أنقالمهم لانهم لا يبل لهم قال وأما الجواهر والاموال فلا تحصى ويبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والجار بدرهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في فتح الطيب **و** وفي كامل ابن الاثير **و** ان يعقوب المنصور رحمه الله

نادى في عسكره من غم شياً فهو له سوى السلاح وأحصى ما حل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألفاً
لبس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفاً ثم تقدم المنصور بجيوشه إلى بلاد الفرج وأخذ يخرب
المدن والقرى ويفتح الحصون والمعاقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل إلى جبل سليمان ثم تني عنانه
راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرج معارض حتى وصل إلى أشبيلية
فاستقر بها وأما الفتنش فانه لما انهزم وصل إلى طليطلة في أسوأ حال فخلق رأسه ولحيته ونكس صليبه
وركب حماراً وأقسم أن لا يركب فرساً ولا بعلاً ولا يتألم على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية
لجمع جوعاً عظيماً وبلغ الخبر بذلك إلى المنصور فبعث إلى بلاد المغرب مراكش وغيرها يستنصر الناس
من غيرا كراه فأتاه من المتطوعة والمرتفة جمع عظيم ثم مضى إلى الفتنش فالتقوا في ربيع الأول سنة
اثننتين وتسعين وخمسة مائة فانهزم الفرج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح
والدواب وغيرها ثم تقدم المنصور إلى مدينة طليطلة فحاصرها وقتلها قتالاً شديداً وقطع أشجارها ووشق
الغارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبل
سليمان وأقلج وكثير من أحواز طليطلة ثم ارتحل عن طليطلة إلى مدينة طلمسكة فدخلها عنوة بالسيف
فقتل مقاتله وسبب النساء والذرية وغنم أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعاً
صفصفاً وثنى عنانه إلى أشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة فرفع إليه في القاضي
أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها إلى المرض في دينه ومعرفته وكان أحد فلاسفة
الاسلام وربما ألقى بعض بخط يده فحبس ثم أطلق وأخصص إلى مراكش وبها كانت وفاته رحمه الله
ثم خرج المنصور من أشبيلية غازياً ببلاد ابن اذفونش فسار حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب
برشلونة قد أمد ابن اذفونش بعساكره وانهم جميعاً يحصن مجريط فمضى إليهم ولما أطل عليهم انفضت
جوع ابن اذفونش من قبل القتال ثم انكفأ المنصور راجعاً إلى أشبيلية ثم اجتمع ملوك الفرج وأرسلوا
يطلبون الصلح فأجابهم إليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد ان كان عازماً على الامتناع مما يريد الملائمة
الجهاد إلى ان يفرغ منهم فأتاه خبر على بن اسحق السوفى المعروف بابن غانية وانه دخل افريقية وأراد
الاستيلاء عليها فقتل ذلك في عزمه وصالحهم على المدة التي ذكرنا وعقد على أشبيلية للسيد أبي زيد بن
الخليفة وعلى مدينة بطايوس للسيد أبي الربيع ابن السيد أبي حفص وعلى المغرب للسيد أبي عبد الله ابن
السيد أبي حفص ثم عبر البحر إلى المغرب فوصل إلى مراكش في شعبان سنة أربع وتسعين وخمسة مائة
وهو في نصح الطيب عليه السلام ان يعقوب المنصور لما حاصر طليطلة وضيع عليها ولم يبق الا فتحها خرجت إليه
والدة الاذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقاء البلد عليهن ففرق لهن ومن عليهن به ووهب
لهن من الأموال والجواهر ما حل وردهن مكرمات وعقاب بعد القدرة والله تعالى أعلم بالحقيقة قال
الشيخ محي الدين بن عربي الخاتمي رحمه الله في كتاب الفتوحات المكية ما نصه ولقد كنت بمدينة فاس سنة
احدى وتسعين وخمسة مائة وعساكر الموحدون قد عبرت إلى الاندلس لقتال العدو حين استعمل أمره
على الاسلام فليقترب رجلا من رجال الله ولا أزكى على الله أحداً وكان من أخص أودائي فسالني ما تقول
في هذا الجيش هل يشق له وينصر في هذه السنة أم لا فقلت له ما عندك في ذلك فقال ان الله تعالى قد
ذكره في كتابه ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك
في كتابه الذي أنزله عليه وهو قوله انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فوضع البشرى فتحاً مبيناً من غير تكرار الألف
فانها الاطلاق الوقوف في تمام الآية فانظر أعدادها بحسب الجمل فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة
احدى وتسعين وخمسة مائة ثم جرت إلى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين وفتح الله به قلعة رباح
والاوكون وكركروا ما انضاف إلى هذه القلاع من الولايات هذا عاينته من الفتح عن هذه صفته فأخذت

الغنائم اثنين وثلثاء أربع مائة وثلثمائة ثمانية وللذلف واحدا وللميم أربعين وللباء اثنين والياء عشرة
والنون خمسين وأما الالف فقد أخذ عددها وكان المجموع احدى وتسعين وخمسمائة وهي سنو الهجرة الى
هذه السنة فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص انتهى

✽ ذكر ما شيده المنصور رجه الله من الآثار بالمغرب والاندلس ✽

كان يعقوب المنصور رجه الله لما عزم على المسير الى الاندلس بقصد الجهاد أوصى الى توابه ووكلائه
ببناء قصبية مراكش والاعتناء بتشييد قصورها فن أناره الباقية بها الى الآن بابها المعروف باب
آكناو ولا يزيد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الاعظم بالمنسوب اليه الى اليوم وتشييد
مناره المائل به ومنار جامع الكتبيين المصروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل ✽ قال ابن سعيد ✽
طول صومعة الكتبيين عمرا كشمائة ذراع وعشر أذرع ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا
أمر أيضا ببناء مدينة بطريق الفتح فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأكمل سورها ورقت أبوابها
وأمر ببناء المسجد الاعظم بطالعة سلا ومدرسته الجوفية منه ✽ قال صاحب الروض المعطار ✽ كان
يعمل في بنائه ونقل حجارتها وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفريخ في قيودها وأمر ببناء جامع حسان
ومناره الاعظم المصروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة قالوا ولم يتم بناؤه ولما فرغ المنصور من
وقعة الارك واحتل بمدينة اشبيلية أخذ في اتمام بناء جامعها الاعظم وتشييد مناره المشاكل للنايرين
المتقدمين فهو ثلاثة الأتافي بالنسبة لها بل قيل انه ليس في بلاد الاسلام منار أعظم منه وعمل لهذا المنار
تفانج من أمه ما يكون ✽ قال في القرطاس ✽ بلغت من العظم الى ما يعرف قدره الا ان الوسطى منها
لم تدخل على باب المنار حتى قامت الرخامة من أسفلها وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون ربا من
الحديد وكان الذي صنعها ورفعها في أعلى المنار المذكور المعلم أبو الليث الصقلي وموهبت تلك التفانج
بمائة ألف دينار ذهبيا ولما اكمل جامع اشبيلية وصل في فيه أمر ببناء حصن البرج على وادي اشبيلية وقد
تقدم لنا في أخبار عبد المؤمن انه هدم أسوار مدينة فاس وان حافده المنصور وهذا شرح في بنائها ثم أتتها
ابنه الناصر من بعده ولما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش وجد كل ما أمر به من البناء قد تم
على أكمل حال وأحسنه مثل القصبية والقصور والجامع والصوامع وأنفق على ذلك كله من أجناس
الغنائم وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا بنائها ذلك لانه سعى اليه بانهم احتجوا الاموال
وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتطوق به أعجبه فسأل عن عدد
أبوابه فقيل انها سبعة أبواب والثامن هو الذي يدخل منه أمير المؤمنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس
بالعالي اذا قيل حسن واتخذ المنصور رجه الله في جامع هذه المصلا به مقصورة بحجيرة كانت مدبرة
بحيل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزرأوه بمصلا منها وتحتفي اذا انفضوا عنها ✽ حكى
الشرىف الغرناطى شارح الحازمية عن الكاتب البارع أبي الحسن عبد الملك بن عياش أحد كتاب
المنصور قال كانت لابي بكر يحيى بن مجير الشاعر المشهور وفادة على المنصور في كل سنة فصادف في
احدى وفادته فراغهم من احداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش
وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها الخروجه وتنخفض لدخوله وكان جميع من يباب المنصور
يوميئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوا اياها في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزية به الخبير
فيما جئتم من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير فأنشد
قصيده التي أولها أعلمتني أتي عصا التسيار * في بلدة ليست بدار قرار
واستمر فيها حتى أم بدكر المقصورة فقتل بصفها

طورات تكون من حوته محيطة * فكأنها سور من الاسوار

وتكون حينئذ منهم خبوة * فكانها سرت من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * في قومسه قامت الى الزوار
بيد وفتبدو ثم تخفى بعده * كئسكون الهالات للارقار
فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها * وقال أبو العباس المقرئ في نوح الطيب * وقد بطلت
حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله وارث الارض ومن
عليها ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله

له حلبة أنجيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرانس أغنتها الخجول عن الحلبي * فلم تبغ خلخالاً ولا التمسست وقفا
فن يقق كالطرس تحسب انه * وان جردوه في مـلاءته النفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
ووردتغشى جلده شفق الدجا * فاذحازه دلى له الذبيل والعرفا
وأشـقرجج الراح صرفا أديمه * وأصفـفر لم يمسح بها جلده صرفا
وأشـهب فضى الاديم مدنز * عليه خطوط غير مفهومة حرفا
كما خطط الراهي بهرق كاتب * فجرت عليه ذيله وهو ماجفا
تهب على الاعضاء منها عواصف * ستمسف أرض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمتري * أظيما ترى تحت الجمجمة أم طرفا
وقد كان في البيداء بألف سربه * فربته مهرا وهي تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجـواد لانه * اذا ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا
ومما مدحه المنصور رجه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه القنشق الصلح فأجاب به اليه

أهل بان يسبحي اليه ويرتجبي * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكر مات مقلدا * وموشحا ومختما ومتهوجا
عمرت مقامات الملوك بذكوره * وتعطرت منه الرياح تأرجا
ودخل عليه الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكافى الاسود الشاعر فأشده

أزال حجاب عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنوعهم تكرورو وليس اسمهم الا لتساب لاب أولام وانما كانم
اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس بها وكذلك تكرورو اسم للارض التي هم بها فسموا بها والله أعلم

ببقية أخبار المنصور وسيرته

قال ابن أبي زرع * كان المنصور رجه الله ذارأى وحزم ودين وسياسة قال وهو أول من كتب العلامة
بيده من ملوك الموحدين الحمد لله وحده بخبري عملهم على ذلك وقد تقدم لنا ان ذلك كان في دولة أبيه
فأله أعلم وهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذي ضخم الدولة وشرفها وكانت أيامه أيام دعة وأمن
ورخاء ورفاهية وبهجة صنع الله عز وجل في أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والاندلس فكانت الطعينة
تخرج من بلاد نول قنتهى الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء ضبط النغور
وحسن البلاد وبني المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والاندلس وبني المارستانات للرضى
والمجانين وأجرى عليهم الاتفاق في جميع أعماله وأجرى المرتبات على الفقهاء وطبسة العلم كل على قدر
مرتبته وبني الصوامع والقناطر وحفر الآبار للساء في البرية واتخذ عليها المنازل من السوس

وقد تقدم لنا ما وقع به على كتاب الفنش **و**وحكى ابن الخطيب في رقم الحل **و** ان المنصور طلب يرامان قاضيه أن يختاره لرجلين لغرضين من تعليم ولد ووضبط أمر فعره برجلين قال في أحدهما وهو بحرف في علمه وقال في الآخر وهو برقي دينه ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصر ابن يديه وأكذبا الدعوى فوقع المنصور على رقعة القاضي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر قال ابن الخطيب وهذا من التوقيع العريق في الاحادة والصنعة وكان مجلس المنصور رحمه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون (حكى) أبو الفضل التيفاشي قال جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب يعقوب المنصور وكانت بين الفقيه أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد والرئيس الوزير أبي بكر بن زهر بنضم الزاي وكان الاقل قرطيبا والثاني اشبيلية قال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عام باشبيلية فاريد بيع كسبه جملة الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته جملة الى اشبيلية وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية وزير للمنصور ولا يبه من قبله **و** قال ابن خلدان **و** كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء ورؤساء حكام وزراء انالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم وكان يتكرورو روده على الحضرة بمر اكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ومما قاله بمر اكش يتشوق الى ولده صغير تركه باشبيلية

ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلفت قلبى لديه
نأت عنه دارى فواوحشتى * لذاك الشخصى وذلك الوجيه
تشوقى وتشوقته * فيبكي على وأبكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا * فنه الى ومنى اليه

و قال العلامة الاديب أبو العباس المقرئ في نفع الطيب **و** أخبرني الطيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير العسافى الاندلسى الاصل الفاسى المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان أبى العباس المنصور بالله السعدى ان ابن زهر لما قال هذه الايات وسمها يعقوب المنصور رحمه الله أرسل المهندسين الى اشبيلية يعنى من غير علم من ابن زهر وأمرهم أن يحيطوا علمائى بيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم به فى أقرب مدته وفرشها بمثل فرشها وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتمال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ ببيوته وحارته فاحترار لذلك رظن انه نائم وان ذلك أحلام فقبل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى يتشوق اليه ياب فى البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه * هكذا هكذا والافلالا * ومن أطباء المنصور الوزير الطيب الشهير أبو بكر بن طفيل من أهل وادى آس كان حاذقا بصناعة الطب والجراحات ومن أطبائه أيضا الحفيد بن رشد المتقدم الذكر ومن كتابه الكتاب البارع أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي النشأة الياورى الاصل والفقيه البارع أبو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجدد والفقيه القاضي أبو عبد الله بن الصقر وغيرهم رحم الله الجميع

و وفاة يعقوب المنصور رحمه الله **و**

و قال ابن أبي زرع **و** لما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش أخذ البيعة لولده أبى عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والاقطار فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس فى محل الخلافة وجرى الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه فى حياة أبيه دخل المنصور قصره فلزمه **و** وقال ابن خلدان **و** لما وصل المنصور الى مراكش يعنى بعد قدومه من الاندلس أمر بانخاذ الاحواض والزوايا والاسس فرللتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له

باسدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فثنا من له خمس سنين وغير ذلك فتتم علينا بالهلة هذا العام وتكون
الحركة في أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأجابهم الى سؤالهم وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها
من المنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على
هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحسينه وبنائها على البحر المحيط
الذي هناك وهو على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتزهر فيها ثم رجع الى مراکش
وقال ابن خلكان وهو بعد هذا اختلفت الروايات في أمره فن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد
وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه لما
رجع الى مراکش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الاولى وقيل في ربيع الآخر في سبع عشرة وقيل
في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته وقيل توفي بمدينة سلا وقال ابن خلكان
ثم حكى لي جمع كثير بدمشق ان بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها
جسارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على
ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب قال
وكان أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه من يمر به وقال المقرئ في نفع الطب هذه مقالة
عاقبة لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا
ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ثم نقل عن التمرغيف الغرناطي مثل ذلك فانظره وقال مؤلفه
عفا الله عنه وعندى ان انكار ما حكاه ابن خلكان ليس بجيد وهب ان أهل المغرب قالوا ذلك تولع به فما
بال أهل المغرب يتولعون به ويثخذون له المشهد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على انه قبر يعقوب ملك المغرب
من غير أصل ولا مستند هذا بعيد في العادة بل لا بد ان يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته ونعم ما ترجمه
عامة المغرب في حجة أبي يعقوب التي بقرب مدينة فاس انها منسوبة ليعقوب المنصور هذا وان رصدها
عفريتين يوقدان عليها الى الابد وان حرارة ماؤها بسبب ذلك الايقاد وان الشفاء الذي يحصل للمستحمين
بها انما هو ببركة يعقوب المنصور وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شفافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل
بتلك العين كله باطل وانما حرارة العين لخاصية أو دعها الله في أصلها ومنعها وكذا الشفاء الحاصل بها
انما هو بخاصية في ذلك الماء ولعلها ما فيه من الكبريتية فانازرى أصحاب الجرب يلبطخون بالكبريت
المعالج فيشفون وكمن عين على وجه الارض في المشرق والمغرب وبلاد المسلمين ولا كفار على هذه الحالة
كما أخبر بذلك غير واحد وقال الجوهرى في الصحاح الحجة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى
وفي الحديث العالم كالحجة اه ومنسلة في القاموس بل ذكر فيه ان مدينة نغليس وهى قصبة
كربستان عليها سوران قال وجياماتها تنبع ماء حارا بغير نار وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس حجة
أبي يعقوب هذه وذكر معها حجتين أخريين فقال وبالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة أربعة أميال
منها حجة عظيمة تعرف بحمة خولان ماؤها في أشد ما يكون من السخونة وبالقرب أيضا منها حجة وشنة
وحجة أبي يعقوب وهى من الحجات المشهورة بالمغرب اه كلامه فقد ذكر أبا يعقوب بلفظ الكنية فهو
غير يعقوب المنصور قطعا ولعله أبو يعقوب الأشقر الا أنى ذكره في احداث المائة السابعة
ولنرجع الى الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول وقال ابن الخطيب في رقم الحلل
توفي يعقوب المنصور رجة الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة
ودفن بمجلس سكاك من مراکش وكذب العامة بموته ولوعا وتمسك به فادعوا انه ساح في الارض اه
وقال ابن أبي زرع لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شيء فعاتته في خلافتي الا على ثلاث
وددت انى لم أفعلها (الاولى) ادخال العرب من افريقية الى المغرب مع انى أعلم انهم أهل فساد (والثانية)

بنا ورباط الفتح أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعسر (والثالثة) اطلاق أسارى الأرك ولا بد لهم ان يطلبوا بثأرهم * قات * ما ذكره رحمه الله في رباط الفتح من انه لا يعمر قد تخاف ظنه فيه فهو اليوم من أعمار أمصار المغرب وأحضرها حرسه الله وحرس سائر أمصار المسلمين من آفات النقصان وطوارق الحدثن * ولذا كرم * ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول * في سنة أربعين وخمسمائة * هدم على ابن عيسى بن ميمون وكان من رؤساء البصر في دولة الممتونيين صنم قانس وقانس هذه هي الجزيرة المسماة في لسان العامة اليوم بقالص وكان بها صنم عظيم على صورة رجل ويده مفتح يقال ان حكام اليونان اتخذوه طلسماً هناك كان من خاصيته ان يمنع هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط فكانت السفن لا تجرى هناك على ما قيل فلما نار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن ان تحت الصنم ما لا فهمه فلم يجد شيئاً * وفي السنة المذكورة * توفي أبو علي منصور بن ابراهيم السطاسي دفن في آز مور وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشياخ أبي شعيب السارية * وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة * توفي الامام المهمام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي * وقال ابن خلكان * توفي عمرا كس يوم الجمعة سابع جادى الاخرة وقيل في شهر رمضان من السنة المذكورة ودفن بباب آبلان داخل المدينة وذلك في دولة عبد المؤمن بن علي * وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة * توفي الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم ينتهى نسبه الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو من أهل مدينة فاس وها توفي آخريات شعبان من السنة المذكورة وكان فقيها زاهدا صوفيا قال أبو الحسن المذكور اعتهكفت على قراءة الاحياء سنة فخرت المسائل التي تتقد عليه وعزمت على احراق الكتاب فتمت قرأيت قائلاً يقول جردوه واضربوه حد الفرية فضربت عثمانين سوطا فلما استيقظت جعلت أقاب ظهري ووجدت الالم الشديد من ذلك فتبت الى الله ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلطان في جنازة أبي الحكيم بربان * وفي سنة احدى وستين وخمسمائة * توفي الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الملقب بسارية من أهل مدينة آز مور وها توفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثانى من السنة المذكورة وكان رضى الله عنه شديداً للمراقبة والورع والخوف من الله تعالى وكان اذا وقف في صلواته يطيل القيام فلذلك لقب بالسارية ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات انظر التشوف * وقال مؤلفه عفا الله عنه * كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ومدحته بقصيدة ساكت فيها مسالك الادياء من النسب وغيره وأنشدتها عند ضريحه فرأيت لها بركة والحمد لله فأحببت أن أذكرها هنا وهي هذه

لله ياربع ما هيبت من تحسن * على الفؤاد ومن ضنى على البدن
وقفت فيك ركبا طالما وقعت * على القصور على الاطلال والدمن
أيام فيك حسان ما أشبهها * بالشمس حسنا ولا في اللين بالعين
وفيك أسد من الماولك عادت * بقل النضار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراضا كنت أعهد لها * ماوى السرور فعدت موقف الحزن
عانت يد الدهر فيهم منذ أرمته * كأن بأسهم المحذور لم يكن
قوم عرفت ندامهم قبل معرفتى * نفسى وفاجأتى فى المهسد بالسن
ومذتر عرت لم أعلق بغيرهم * حتى كأتى رصعت الحب فى اللين
قضيت حق الشباب فى منازلهم * أيام عيش لنا أحلى من الوسن
من ظن بالدهر خيرا فهو منخدع * فوده همدته تبنى على دخن
لا أنتهى منها الا انشرفت به * ولا أحل مكانا ليس بالخشن

ولا أصحاب من هذا الوري بشرًا * الا حصلت على زق من الاحن
 حتى توهت انى جنيت لهم * حرب البسوس واننى أبو الفستق
 وما لذى الفضل من ذنب يلام به * سوى فضيلته في دهره الزمن
 فعدت قلب عن شكوى أضيق بها * ذراعاً شكواك لى ضرب من الوهن
 ولست أحسب هذا الدهر مرعوباً * ولو تعلقت منه بين ذى وزن
 حلالاً لقد عقلت يدي عن علق * أيدى العفافة في الشام واليمن
 بأعظم الناس منزلاً ومنزلة * وأسمح الناس كفاً بالندى الهتن
 وأشخ الناس قدرانى الورى وعلا * وأحكم الناس للفروض والسنن
 ذلك الولى الذى كل الانام غدا * يتساو مناقبه في السر والعلن
 أبو شعيب الذى من بحره انشعبت * جداول اليمن في الاحياء والمدن
 بدرغدا في سماء المجد مكتملاً * به عملاً ذكر آرمور في الوطن
 أرض اذا الضرع المحسروم يمهها * ألنى بها بذل الاهلين والسكن
 أود من أجل ناوبها حجارتها * وأجعل التراب لى مسكاب لائن
 وكيف لا تطبى قباى منازل من * به أكون من الاحداث فى حن
 مجلى الغياهب مبدول المواهب مقف * فمواهب بالجنيد والقرن
 بحر الحقيقة والغوث الذى لهجت * به القبائل فى المقام والظعن
 ما زال يرقى الذرامن كل صالحته * حتى اكسى شهرة النيران فى الفن
 يا خير من أمته العاقى ولاذبه * أهل الجرائم والاوزار والمحن
 انى خدمتك فى شعر عنت به * وايس لولا حلاك الزهر بالحسن
 أشكو اليك سقاماً أنت مبرته * ولست أرجو سواك منه ينعشى
 وشذا زرى فانى كنت معتقدا * اذا بلغتك قدت الدهر بالرسن
 وانظر بفضلك من وافاك معتفياً * فان نظرت فكل الخير يشملى
 وأعظم السؤل منك النفس تصلحها * وطهر القلب بالامراض والدرن
 وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة * أرى بها عملى والبر فى قرن
 فجد بما رمت من جد والى بأملى * فبجر جودك عذب ليس بالاجن
 سقى ضميرى حث ما زال به * بستان أنسك وهو مورق الفن
 بجاه أفضل خلق الله كلهم * محمد ذى المزاي العر والمين
 عليه أزكى صلاة الله ماتيت * صحف وما نسج القريض ذولسمن
 والال والصعب والازواج قاطبة * ومن قفا بهمهم فى كل ما زمن

﴿واعلم﴾ ان التعلق بأولياء الله رضى الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار ان الله تعالى هو المطلوب على
 الحقيقة والفاعل للاشياء كلها لا معبود غيره ولا مر جوسوا وانما التمسك بأهل الله لاجل التبرك بهم
 والاستشفاع بهم الى الله تعالى لانهم أبواب الله والدون عليه نفسنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم
 آمين ﴿وفى سنة تسع وستين وخمسة مائة﴾ توفى الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق ابراهيم بن يوسف المعروف
 بابن قرقر صاحب كتاب مطالع الانوار الذى وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضى عياض
 كان من الافاضل وصحب جماعة من علماء الاندلس وتوفى بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس
 شوال من السنة المذكورة وكان قد صلى الجمعة فى الجامع ذلك اليوم فلما حضرته الوفاة تلى سورة

الاتحلاص وجعل يكررها بسرعة ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوق ميتارجه الله
 في سنة سبعين بعدها توفي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الانصاري المعروف
 بالمتيطي وميتطة قرية باحواز الجزيرة الخضراء وهو الموثق المشهور ولازم بمدينة فاس خاله أبا الحاج
 المتيطي وبين يديه تعلم عقد الشروط وله كتاب كبير في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق
 والاحكام ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم مجالس علمائها بالمنظرة والتفقه ومهر في كتابة الشروط
 واشتغل بها حتى لم يكن في وقته أقدر منه عليها وكان له في السجلات اليد الطولى وطبع عليها حتى كاد
 طبعه لا يواتيه في سواها بل كان طبعه في ذلك أكثر من فقهه ثم ولى القضاء بشريش وأصابه حسد
 لازمه فمخو السنتين ثم توفي مستهل شعبان من السنة المذكورة في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
 توفي وحيد عصره وأعجوبة دهره الولي العارف الشيخ أبو يعزى بلثور بن ميمون قال قوم انه من
 هزميرة ارجان وقيل من بني صبيح من هسكورة مات وقد نيف على المائة نحو الثلاثين سنة ودفن بجبل
 ارجان في أوائل شوال من السنة المذكورة كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول رأيت أخبار
 الصالحين من زمن أويس القرني الى زماننا هذا فأرأيت أعجب من أخبار أبي يعزى قال وتظرت
 في كتب التصوف فأرأيت مثل الاحياء الغزالي وكان لباس الشيخ أبي يعزى برنسا أسود مر قوعا الى
 أسفل من ركبتيه وجبة من تليس مطرف وشاشية من عزف وكان يتعش من نبات الارض ولا يشارك
 الناس في معائشهم وكان طويلا رقيقا أسود اللون وكان اذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع يتعبد
 فيها فاذا قرب الفجر أعلم أصحابه وأحواله رضي الله عنه وكراماته كثيرة في سنة ثلاث وسبعين
 بعدها توفي الشيخ العارف أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي دفين قصر كتامة نشأ بشلب من
 بلاد الاندلس وقرأ بقربة واستقر آخر بقصر كتامة وبه توفي في السنة المذكورة وقيل ان وفاته كانت
 سنة ثمان وستين قبل هذا التاريخ والله أعلم وكان رضي الله عنه متمسكا في علوم القوم وكان الاولياء
 يحضرون مجلسه وهو من تلامذة أبي العباس بن العريف المتقدم الذكر في سنة ثمانين وخمسمائة
 توفي الشيخ أبو عبد الله التاودي المعلم من أهل مدينة فاس ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى وكان يعلم الصبيان
 فيأخذ الاجر من اولاد الاغنياء فيرده على اولاد الفقراء ومات بفاس في السنة المذكورة وهذه النسبة
 الى بني تاودي وهي قبيلة بقرب فاس في سنة احدى وثمانين بعدها توفي الامام المشهور أبو زيد
 عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أحمد السهيلي الخنوعي صاحب كتاب الروض الاتف وغيره
 من التأليف الحسان وصاحب الايات المشهورة في الدعاء وهي

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعدل لكل ما يتوقع
 يا من يرجي للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفرع
 يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
 ما لي سوى فقري اليك وسيلة * فبالاقتدار اليك فقري أدفع
 ما لي سوى قربي لبابك حيلة * فلتن رددت فأى باب أقرع
 ومن الذي أدعوا وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
 حاشي لمجدك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان يبلده سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة يتسوق بالعقاف ويتبلى بالكفاف حتى غي خبره
 الى السلطان بمرآكش فطلبه اليها وأحسن اليه وأقبل بوجهه غاية الاقبال عليه فأقام بها نحو ثلاث
 سنين ثم توفي بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ودفن وقت الظهر
 خارج باب الرب أحد أبواب مرآكش وكان رحمه الله ضريرا نفعنا الله تعالى به في سنة تسعين

وخمسمائة توفى ولي الله تعالى أبو محمد عبد الحلیم بن عبد الله المرادی المعروف بالنعماد من صلحاء سلا
 كان رحمه الله عبدا صالحا يدور على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبيكي على نفسه وله كرامات
 وتوفى ببلده المذكور وقبره معروف ملاصق للمسجد الأعظم قرب باب الكبير من جهة القبلة وتوفى
 سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة توفى الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلي المعدود في سبعة رجال من
 صلحاء مرآ كش كان رضي الله عنه كبير الشأن فاضلا صابرا راضيا على ربه فيما ابتلاه به من داء الجذام
 سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاما كثيرا لفقراء شكر الله تعالى على ذلك وكان يسكن بحارة الجندی
 العتيقة قبل مرآ كش وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة ودفن خارج باب انعامات عند رابطة
 الغار واحتفل الناس لجنائزه رضي الله عنه توفى سنة أربع وتسعين بعد هجرة توفى الشيخ العارف بالله
 تعالى أبو مدين شعيب بن الحسن الانصاري الولي الكبير المشهور أصله من حصن قطنية من عمل
 اشيلية ثم انتقل الى العدوة فأخذ عن الشيخ أبي الحسن بن حزم وعن الشيخ أبي يعزى وبه انتفع وعليه
 تخرج وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه من العارفين الراسخين قد خاض من الاحوال بحارا ومن
 المعارف أسرا وجال في حدائة سنه في بلاد المغرب من سنة ومرا كش وفاس ولازم بفاس الشيخ
 ابن حزم كما قلنا ثم سمع بخبر الشيخ أبي يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه برهته **قال الشيخ**
أبو مدين لما قدمت فاسا لقيت بها الاشياخ فسمعت وعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حزم وكتاب
 السنن للترمذي على أبي الحسن بن غالب وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن
 السلوى قال وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا فقال لي جماعة من الفقهاء المجاورين لابي يعزى قد
 بنيت عندنا ولاية أبي يعزى ولكنا نشاهده يلبس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيمرآن ونحن
 نرى ان لمسهن حرام فان تكلمنا في هذا هللكا وان سكنا حرا فقلت لهم أرأيتم لو ان ابنة أحدكم أو اخته
 أصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد من يعانیه الا طبيب يهودى أو نصرانى ألستم تحبون ذلك
 مع ان دواءه مذنون ودواء أبي يعزى أنتم على يقين منه فبلغ كلامي أبا يعزى فاستحسنه **قال محمد بن**
ابراهيم الانصاري خرج الشيخ أبو مدين ألف تلميذ وجاءه رجل لم يعترض عليه فاس في الحلقة فقال له
 أبو مدين لم جئت قال لا تقبس من نورك فقال له ما الذى فى كك فقال له صحيف فقال له افتحه وقرأ أول
 سطر يخرج لك ففعل فخرج له قوله تعالى الذين كذبوا شيعيا كانوا هم الخامسین فقال له أبو مدين
 أما يكفئك هذا فاعترف الرجل وتاب وكرامته رضي الله عنه كثيرة وكان استوطن في آخر عمره
 بجاية وكثر عليه الناس وظهرت على يده كرامات فوشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المتصور
 وقال له انا نخاف منه على دواتكم فان له شهابا بالامام المهدي وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع منه ذلك
 فكتب لصاحب بجاية يعينه اليه وأوصاه بالاعتناء به وان يحمله اليه خيرا يحمل ففعل ولما كان الشيخ
 أبو مدين رضي الله عنه بالطريق مرض مرض موته فلما وصل وادى بسر قرب تلمسان اشتد به مرضه
 فنزلوا به هنالك فكان آخر كلامه الله الحق توفى ودفن برابطة العباد قرب تلمسان وسمع أهل تلمسان
 بجنائزه فحضروها وكانت من المشاهد العظيمة توفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة توفى الشيخ الفقيه
 الصالح أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي صاحب كتاب الهداية أقام نحو أربعين سنة لم تفتحه صالة
 في جماعة الا يوما واحدا لعدو عاقه عن ذلك دخل مدينة فاس ومعه نحو من أربعين ألفا من المال
 فما زال ينفقها في سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه فقباها من بعض أهل فاس وأمره المشتري لها
 فلما خرجت منها جنازته حازها المشتري المذكور وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى
 الاولى من السنة المذكورة (واعلم) اننا قد قدمنا ان الشيخ أبا مدين كان تلميذا للشيخ أبي يعزى وكان الشيخ
 أبو يعزى تلميذا للشيخ أبي شعيب السارية وكان الشيخ أبو شعيب تلميذا للشيخ أبي بنور والد كالى نفعنا الله

بجميعهم وأفاض علينا من مددهم آمين ولنرجع الى أخبار الدولة الموحدية فنقول

✽ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله ✽

بويج لأبي عبد الله محمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو اليوم الذي توفي فيه أبوه فأقام بجراكنش ببيعة ربيع الأول وجميع الثاني ثم نهض في فاتح جمادى الأولى الى فاس فأقام بها بقية السنة المذكورة ثم غزا جبال غمارة من أجل علودان الغماري الناثر بها ففتحها ثم رجع الى فاس فاتم بناء سورها الذي كان تحربه عبد المؤمن وبنى قصبتها ورتب أمورها وأقام بها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فعاد الى مراكنش وأقام بها الى ان كان ما ذكره

✽ وغزا الناصر بلاد افريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك ✽

لما هلك المنصور رجه الله قوى أمر يحيى بن اسحق المسوق المعروف بابن غانية بافريقية واستولى على أعمال قراقوش الغزى صاحب طرابلس وعلى المهديّة وتغلب على بلاد الجريد ثم نزل تونس سنة تسع وتسعين وخمسمائة وافتتحها غنوة لاربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة وقبض على السيد أبي زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق وبسط عليهم العذاب حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم دخل في دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد وانتظمت له أعمال افريقية وفرق العمال وخطب للخليفة العباسي واتصل بالناصر وهو يعراكنش هذا كله فامتعض لذلك وشاور الموحدين في أمر افريقية فأشاروا عليه بمسالة ابن غانية وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه ونهض اليها سنة ستمائة وبعث الاسطول في البحر لنظر يحيى بن أبي زكريا المرزجي واتصل ذلك بابن غانية فبعث ذخائره وجرمه الى المهديّة مع علي بن الغاني من قرابته وولاه عليها ولما قرب الناصر من افريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع وسار الى حامة مطماطة ثم الى جبل بني دمر فحصن به ووصل الناصر الى تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهديّة فمسكرك عليها واتخذ الآلة لحصارها وصرح الشيخ أبو محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة فلقبه بجبل تاجورة من نواح قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله وأما الناصر فانه استمر محاصرا للمهديّة وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعى بالحاج وكان شهما محر باقامت مع علي الناصر وأبدي من مكائد الحرب وخذعه ما يقصر عنه الوصف وأتجى الموحدون وبالغ في زكياتهم فكانوا يدعون له الحاج الكافر ثم نزل على الامان وأحسن اليه الناصر احسانا تاما وسماه بالحاج الكافي بالياء بدل الراء لما رأى من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه واستشهد الحاج الكافي هذا في وقعة العقاب الاتية وكان فتح المهديّة في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثنتين وستمائة وتولى الناصر عليها محمد بن يعقوب المرغني وارث محل عنها في عشرين من جمادى الثانية فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة وأكثر التي بعدها ولما كان رمضان من سنة ثلاث وستمائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب واستخلف على افريقية نفته ووزيره الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص المنتاني جد المملوك الحفصيين بعد مراجعة وامتناع ✽ قال ابن خلدون ✽ امتنع الشيخ أبو محمد الى ان بعث اليه الناصر في ذلك بانيه يوسف فاكبر جيته وأذعن ويقال ان الناصر قال له يا أبا محمد أنت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر في استنقاذ هذا القطر ولا آمن عليه من عدو متوثب ولا يقوم بحمايته الا أنا وأنت فامض الى حفظ

عالم الكا المغربية وأقيم أنا وأقم أنت وأرجع أنا فتنه الحياء حينئذ وأذن للاقامة واشترط شروطه
 العروفة، هي ان يقيم ثلاث سنين ريثما ترتب الاحوال ثم يعود الى وطنه وأن يحكمه الناصر فيمن يحبسه
 معه من الجنود ورضاه من أهل الكفاية وأن لا يتعقب أمره في ولاية ولا عزل فقبل الناصر شروطه
 ولما عزم الناصر على النهوض الى المغرب خرج اليه أهل تونس رافعي أصواتهم بين يديه اشفاقا من عود
 ابن غانية اليهم فاستدعى وجوههم وكلهم بنفسه وقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به
 على شدة حاجتنا اليه وهو فلان قنباشر الناس بولاية شيع الناصر الى باجة ورجع واليا على جميع
 بلاد افريقية واستقل بامرها ونهياها * فن هنا ورتت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وافريقية وقبيل
 الناصر الى المغرب فدخل مرا كاش في ربيع سنة أربع وستمئة ولما اسنقر بالحضرة وفدت عليه الوفود
 وهنأت الشعرا بالفتح فكان من ذلك ما أنشده ابن مريح السكحل وهو قوله

ولما تولى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الا وهام في الوصف حده
 تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الا لى عنده
 فلانمة الانودي حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع وأشار بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين
 فانها كانت ان يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وقد تقدم ذلك والله أعلم

فتح جزيرة ميورقة

كانت جزيرة ميورقة لبني غانية المسوفيين من عهد علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني وكان يعقوب
 المنصور قد بعث اليها اسطوله مرارا فامتنعت عليه ولما ولي ابنه الناصر وغزا افريقية وجه اليها
 من ثغر الجزائر اسطولا مع عمه السيد أبي العلاء والشج أبي سعيد بن أبي حفص فصار لونها ثم اقتحموها
 عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف السيد الى مرا كاش بعد ان ولي عليها عبد الله
 ابن طاع الله الكوي ووفد أهلها على الناصر فآكرمهم وقادتهم وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحمّد
 أبي محمد عبد الله بن سليمان الانصاري المعروف بابن حوط الله ذكره ابن الخطيب في الاطحة فقتل كان
 مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامراء والمحافل
 الجمهورية مقدما في ذلك ذابلاعة وفصاحة الى بعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة
 وسلا وميورقة فتطاهر بالعدل وعرف بما بطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا
 لاهل البدع والاهواء ابراع الخط حسن التقيد الى غير ذلك ثم ولي الناصر على ميورقة عمه السيد أبا
 زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد أبي زيد وياها السيد أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد
 المؤمن ثم أبو يحيى بن علي بن أبي عمران التينمالي ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمئة
 وكان الحادث بها عظيما

ثورة ابن الفرس وما كان من أمره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالماهر وحضر مجلس يعقوب
 المنصور في بعض الايام وتكلم بما خشى عاقبته في عقده فخرج من المجلس واحتفي مدة ثم بعد مهلك
 المنصور ظهر في بلاد جزولة وانتحل الامامة وادعى انه القحطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم
 الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا علاءها عدلا كما ماتت جور الحديث وكان
 مما نسب اليه من الشعر قوله

قولوا لآباء عبد المؤمن بن علي * تاهبوا الوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان وعالمها * ومنتهى القول والذلاب للدول
 والناس طوع عصاه وهو سائقهم * بالامر والنهي بحر العلم والعمل
 وبادروا امره فالله ناصره * والله خادع أهل الزينغ والمبيل
 فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه وقتل وسبق رأسه الى مراكش فنصب بها وسكنت الغنمة وقد ثار
 أيضا في سنة ست مائة رجل من آل البيت من العميد بن واسمه محمد بن عبد الله بن العاضد وهذا العاضد
 هو آخر خلفاء الشيعة بمصر فثار حافده محمد بن عبد الله المذكور بجبال ورغة من أحواز فاس قطفربه
 وقتل وعلق رأسه بباب الثرية بعد أبواب فاس وأحرق جسده في وسط الباب المذكور وكان ذلك
 في اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس وبناء الباب المذكور وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق
 بعد ان كان يسمى باب الثرية ثم في سنة عشر وست مائة ثار ولده هذا المحروق بجبال غمارة وادعى انه
 الفاطمي وتابعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية فبعث اليه الناصر جيشا قطفربه وقتل وفي سنة
 احدى وست مائة نبى عامل الرب من قبيل الناصر واسمه بعيش سور بادس ولديه ومليحة حياطة
 وتحصننا من بغاة العدو وفي سنة أربع وست مائة أمر الناصر بتجديد سور مدينة وحدة واصلاحها فشرع
 في ذلك في فاتح رجب من السنة المذكورة وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بآزاء جامع
 الاندلس بهاس فبنيت وجلب اليها الماء من العين التي خارج باب الحديد وأمر ببناء الباب الكبير
 المدرج الذي يحصن الجامع المذكور وأنه في ذلك كاه من بيت المسال وفيها أيضا أمر ببناء مصلى
 القرويين وأمر أن لا يصلى بمصلى الاندلس فاقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين
 ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين معا كما كانوا أولا بعد ان شهد أنها قديمة وفي شوال من السنة
 المذكورة نهض الناصر من فاس الى مراكش فاقام بها الى ان كان ما ذكره

السبب في تسمية باب
 المحروق

بغزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الاخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفتن اعنه الله فداستطال على نفور المسلمين بالاندلس
 وأنه يغير على قراها وينهب الاموال ويسبي النساء والذرية فاهم ذلك وأقلعه وكتب الى الشيخ أبي محمد
 عبد الواحد بن أبي حفص صاحب افرقية يستشير في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد
 وكان الناصر مهيبا رايه مستبدا بأموره ففرق الاموال على القواد والاجناد وكتب الى جميع بلاد
 افرقية والغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابهم خلق كثير وأزم كل قبيلة من قبائل
 العرب بمحصة من الخيل والرجل فخرج للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الاقطار وتسارع الناس
 اليه خفا وافتقارا من البوادى والامصار فلما تكاملت لديه الحشود وتوافقت بمحضرة الجنود خرج
 من مراكش في ناسع عشر شعبان سنة سبع وست مائة فانتهى الى قصر المجاز فاقام به وشرع في اجازة
 الجيوش من أوائل شوال الى أوخر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم عبر في آخرهم واحتل بطرير يوم
 الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة المذكور وقتلناه هناك قواد الاندلس وقتلها واور وسأوها
 وأقام بطرير ثلاثا ثم نهض الى اشيلية في أمم لا تحصى وجيوش لا تستصحي فدملات السهل والوعر
 وحكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب انه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب
 والاندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رحمه الله قد أعجمه مارأي من كثرة جنوده وأيقن بالظفر
 فقسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناته وصنحاجة والمصامدة وغماره وسائر اصناف قبائل
 المغرب فرقة وجعل المتطوعة فرقة وجعل جنود الاندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة ان تنزل
 ناحية واهتزت جميع بلاد الفرج لظهوره وتمكن رعبه من قلوبهم فأخذوا في تحصين بلادهم واخلاء
 ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو

وقد عليه منهم ملك يباؤنة مستسما خاض ما طالب الصلح فيقال انه قدم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه
 وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به وقد كان هذا الكتاب وقع اليه ورائته من بعض سلفه
 فاحتفل الناصر لقدمه وصف له الجيوش من باب مدينة قرونة الى باب اشبيلية أربعين ميلا ثم عقده
 الصلح ما دامت دولة الموحدين وصرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه **و** وعند ابن خلدون **و**
 ان الذي وفد على الناصر في هذه الغزوة هو البيبوج أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك قال
 وهو الذي مكر بالناصر يوم العقاب قدم عليه وأظهر له التنصح وبذل له أموالا ثم غدر به وجر عليه
 الهزيمة والله أعلم ثم خرج الناصر من اشبيلية غازا ببلاد قشتالة في أوائل صفر سنة ثمان وستمائة فسار
 حتى نزل حصن سلبطرة وهو حصن منيع وضع على قفة جبل وقد تعلق باكتاف السحاب ليس له مسلك
 الا من طريق واحد في مضائق وأوعار فنزل عليه الناصر وأدار به الجيوش ونصب عليه أربعين منجنيقا
 فهتك ارباضه ولم يقدر منه على شيء قالوا وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر فاقصى شيوخ
 الموحدين وأعيانهم وذوى الحفكة والرأى منهم عن بساطه وانفرد هو به فكان يشير على الناصر في
 غزواته هذه بأراء كانت سبب الضعف والوهن وجلبت الكثرة على المسلمين من ذلك ان الناصر لما أعياه
 أمر الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره فأشاور عليه ابن جامع بان لا يتجاوز حتى يفتح فيقال انه أقام
 على ذلك الحصن ثمانية أشهر فبقيت فيها أزد الناس وقلت علوفاتهم ونفدت نفقاتهم وكنت عزائمهم
 وفسدت نباتهم وانقطعت الامداد عن المحلة فغلبت بها الاسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب
 المسلمين كل ضرر ويقال انه من طول مقام الناصر على ذلك الحصن عشى خطاف في جانب خبائه
 وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو مقيم على حاله واتصل بالفتن لعنه الله ما بل اليه أمر المسلمين من
 الضجر وقلة المادة وتشتت البواطن واختلاف الرأى فاعتتم الفرصة وبعث الخاسرين في مدائنه
 ودعا كل من قد وعى حل السلاح من رعيته فاجتمع له من ذلك ما لا يحصره ثم خالف الناصر الى قلعة
 رباح فنازلها يوم ايوامه ذابوا الخجاج وسف بن قادس من قواد الاندلس وزعمائها كان قد ترتب في ذلك
 الحصن في جماعة من الخليل لحمايته وضبطه فخاصه الفتنس وبالغ في التضييق عليه فكان ابن قادس
 يكتب لامير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله ويستمدد على عدوه وهو على حصن سلبطرة فكان الوزير ابن
 جامع اذا وصلت اليه كتب ابن قادس أحفها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن قبل فتحه فلما طال
 الحصار على ابن قادس وفي ما عنده من الاقوات والسلاح ويئس من امداد الناصر اياه ونخس على من
 في الحصن من النساء والذرية صالح الفتنس على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على أنفسهم ففعل
 واستولى الفتنس على قلعة رباح وسار ابن قادس الى الناصر ليجتمع به ويعلمه بالامر على وجهه وسار معه
 صهره بعد ان عزم ابن قادس عليه أن يرجع فأبى وقال ان قتلت قتلت معك ولما وصل الى الوزير ابن جامع
 أمر بحبس وسار صهره معه ثم دخل على الناصر فقال له ان ابن قادس قد دفع الحصن الى العدو ثم قدم
 عليك وأراد الدخول عليك وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس واتهمهم بكتمان أمر العدو
 عنه حين كان عبرا كس فلما قدم ابن قادس في هذه المرة وقال له ابن جامع ما قال أمر بقتله فقتل هو
 وصهره قسما بالرمح رجما الله فخذت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نباتهم على الناصر
 وأحسن ابن جامع بذلك فأمر باحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعترفوا جيش الموحدين فلا حاجة
 لنا بكم كما قال الله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا واستنظر بعدها في أمر كل فاجر ولما علم الناصر
 بحال الفتنس وما هو عليه من القوة وكثرة الجوع واستيلائه على قلعة رباح التي هي أمنع نفور المسلمين
 شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ثم شد في قتال سلبطرة وبذل
 الاموال الجارية حتى فتحها صلحا وذلك في أوخر ذى الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفتنس الى

الناصر ونهض الناصر اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصافق وضرب للناصر
 قبته الجراء المدّة للقتال على رأس ربة وقعد أمامها على درفته وفرسه قائم بأزائه ودارت العبيد بالقبعة
 من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقت الساعات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع
 وأقبلت جوع الفرغج على مصافحها كأنها الجراد المنتشر فتقدمت اليهم المتطوعة وجاوا عليهم أجمعون
 وكانوا مائة وستين ألفا فغابوا في صفوفهم وانطبقت عليهم جوع الفرغج فاقمتا وقتا شديدا فاستشهد
 المتطوعة عن آخرهم هذا وعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك اليهم منهم
 أحد وما فرغ الفرغج من المتطوعة جاوا باجمعهم على عساكر الموحدين والعرب جملة منكرا فلما انتشب
 القتال بين الفريقين فرت قواد الاندلس وجيوشها لما كانوا قد حقه دوه على ابن جامع في قتل ابن قادن
 أولا وتمهيدهم وطرد لهم نانيا جفرا والمهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله وتبعهم قبائل البربر
 والموحدون والعرب وركبتهم الفرغج بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التي دارت
 عليه من العبيد والحشم فلقوها كالبنيان المرصوص لم يقدر وانها على شيء ودفع الفرغج بجيولهم المدرعة
 على رماح العبيد وهي مشرعة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درفته أمام خيائه يقول صدق
 الرحمن وكذب الشيطان حتى كادت الفرغج تصل اليه وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو عشرة آلاف
 ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس له أنه أنثى فقال له الى متى قعودك يا أمير المؤمنين وقد نفذ
 حكم الله وتم أمره وفي المسلمون فعند ذلك قام الناصر الى جواده سابق كان أمامه فأراد أن يركبه فترجل
 العربي عن فرسه وقال له اركب هذه الحفرة فانها لا ترضى بعار فاعل الله ينحيك عليها فان في سلامتك الخير
 كله فركبها الناصر وركب العربي جواده وتقدم أمامه في كد كبة عظيمة من العبيد محيطتهم والفرغج
 في أعقابهم تقتلهم ونادى منادى الفئس يومئذ الا لأمر القتل ومن أتى بأسه يرقل هو وأسيره
 فحكمت سيوف الفرغج في المسلمين الى الليل وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر
 صفر سنة تسع وستمائة فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر لهم بعدها راية مع
 الفرغج الى ان تدارك الله رمق الاندلس بالسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبدالحق المريني رحمه الله
 كما سنقص خبر ذلك مستوفى عند الوصول اليه ان شاء الله **وقال ابن الخطيب** للحق الناصر بأشبيلية
 جل السيف على طائفة كبيرة ممن توجهت اليهم الظنة **وقال ابن خلدون** ثم رجعت الفرغج الى
 الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقبهم السيد أبو بكر بن أبي حفص بن عبد المؤمن
 قريبا من اشبيلية فهزمهم وانتعش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك

وفاته الناصر رحمه الله

وقال ابن زرع لما قدم الناصر الى مراکش منصرفا من وقعة العقاب أخذ البيعة لولده يوسف
 الملقب بالمنتصر فبايعه كافة الموحدين وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس في العشر الاواخر من
 ذي الحجة سنة تسع وستمائة ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس
 في لذاته مصطبحا ومعتبقا الى شعبان من سنة عشر وستمائة فمات مسموما بدم بدير روزرانه عليه في ذلك
 قال وكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور **وقال ابن خلدون** تقول المغاربة
 ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بيستانه بجراکش ان كل من ظهر لهم
 بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد ان يختبر قدر أمره عندهم فتمسك وجعل يمشي في البيستان ليلا فعند
 ما رآه جعلوا غرضال ما حهم فجعل يقول أنا الخليفة أنا الخليفة فاستحقوه حتى فرغوا منه والله أعلم
 بصحة ذلك **قلت** الصحيح في وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب في رقم الحلل قال ثم صرف
 الناصر وجهه الى غزوه الاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احتل رباط الفتح من سلا نزل به

الموت فتوفي ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فأنحل العزم وتفرقت الجوع والبقاء لله وحده

بالحبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر المنصور رحمه الله

لما هلك محمد الناصر لدين الله بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة واقب بالمنتصر بالله وغاب عنه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بأمرة واستبدوا عليه وتآخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من إفريقية لصغر سن المنتصر ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعته حينئذ واشتغل المنتصر عن تدبير الأمور والجهاد بما يقتضيه الشباب وعقد الاسادات على عمالات ملكه فعقد السيد أبي ابراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ويلقب بالظاهر على فاس وأعمالها وهو أخو المنصور والد عمر المرتضى الأتقي ذكره وعقد لعنه السيد أبي اسحق بن المنصور على اشبيلية وما أضيف اليها ولعمه أبي عبد الله محمد بن المنصور على بالنسبة وشاطبة وأعمالها ولعمه أبي محمد عبد الله بن المنصور على مرسية ودانية وأعمالها وبعث معه الشيخ أبا زيد بن رجان وكان من أشياخ الموحدين ودعاتهم وفي دولة المنتصر هذا ففشل أمر الموحدين وذهبت ريحهم وأشرفت دولتهم على الهرم واستولى الفتنس على المعقل التي أخذها المسلمون وهزم حامية الاندلس في كل جهة واستبدت السادة بالاطراف والتأت الأمور بالاندلس والمغرب أجمع أما الاندلس فبتكالب العدو وعليها أقتناجاتها وأما المغرب فبخلاء كثيرين قراه وأحصاره من وقعة العقاب ثم ظهرت بنو مرسية بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة وكانوا موطنين بعصاه فيجيج وماوالها فاقحموا المغرب في هذه السنين لخلافة من الحامية واكتسحوا بسائطه بالغارات وانحازت رعاياه الى المعقل والحصون وكثرت الشكايات بهم الى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب الى السيد أبي ابراهيم صاحب فاس يأمره بغزوهم ونفخ اليهم وهم ببلا داريف فاقعوا بوقعة شنها كانت باكويرة فتحهم وعاد السيد مقلولا الى فاس وأصحابه عراة بين يديه يخسفون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة فسميت السنة سنة المشعلة وكانوا قد أسروا السيد أبا ابراهيم ثم عرفوه فاطلقوه ثم صمدت بنو مرسية بعد هالها تازا فقلوا حاميته وأعظمت شوكتهم بالمغرب على ما ذكره بعد ان شاء الله (وفي سنة أربع عشرة وستمائة) هزم المسلمون بقصر أبي دانس من الاندلس وهي من الهزائم الجبار التي تقرب من هزيمة العقاب لان العدو كان قد نزل بقصر أبي دانس وحاصره فخرج اليه جيش اشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الاندلس لاستنقاذ قصر أبي دانس وكان ذلك بأمر المنتصر فساروا ويؤمنون العدو فلم تقع عينهم على عينه الا وقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الادبار لما كان قد رسخ في نفوسهم من بأسه يوم العقاب فتكالب العدو بعد هاله على المسلمين وتمرس بهم وهان عليه أمرهم وخشعت نفوسهم له ولما فر وامن في هذه الخرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ورجع الفتنس الى قصر أبي دانس فحاصره حتى اقتحمه عنوة وقتل جميع من به من المسلمين وفي سنة ثمان عشرة وستمائة توفي صاحب إفريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص في بايع الموحدون بافريقية ابنه أبا زيد عبد الرحمن فقام بالأمرو أطفأ النائرة وأفاض العطاء ومهد النواحي ورتب الأمور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيرته وتولية السيد أبي العلاء الاكبر مكانه وهو ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن فقدم افريقية في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ووالى الهزائم على ابن غانية النائر بافريقية حتى شرده الى الصحراء وأبو العلاء هذا هو الذي بنى البرجين اللذين على باب المهدية وحضنها وهو الذي بنى برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها في دولة أبيه وأقام أبو العلاء بافريقية الى ان توفي بتونس منها في شعبان سنة عشر وستمائة واستولى على افريقية بعده ابنه أبو يزيد بن ادريس وساءت سيرته في الناس وأقام على ذلك الى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب

مرا كشي فغزله وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى
 ابن عبد الواحد بن أبي حفص وتداول ملك أفریقیة بنوه من بعده واستبدوا بها واقتطعوها عن نظر بني
 عبد المؤمن أصحاب مرا كشي فلم تعدا اليه سم بعد وأما يوسف المنتصر فإنه استمر مقبلاً على كشي على لذاته
 الى ان توفي وكان من خبر وفاته انه كان مولعاً بتخاذ الحموان واستنتاجه فكان يثوق اليه باصناف البقر
 من الاندلس فيرسلها في بسطاته الكبير من حضرة مرا كشي ويحمل بعضها على بعض للتنازل فخرج
 ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر اليها فتوسط قطيعاً منها وقد ركب قنسيماً فأنكرته بقرة سرود
 كانت في ذلك القطيع فطعنته في صدره طعنة أتت عليه من حينه وذلك في عشي يوم السبت الثاني عشر
 من ذي الحجة سنة عشرين وستمائة ولم يخاف الاحلام من جارية له **﴿**قال ابن خلدان **﴾** لم يكن في بني
 عبد المؤمن أحسن وجهاً من المنتصر ولا أبلغ في المخاطبة الا انه كان مشغولاً بآرائه فلم يبرح عن حضرته
 فضعفت الدولة في أيامه والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الخلويع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله **﴾**

لما هلك المنتصر في التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا السيد أبي محمد عبد الواحد
 ابن يوسف وهو أخو المنصور **﴿**قال ابن أزرع **﴾** بايعوه على كره منه بقية المنصور من قسبة مرا كشي
 وهو يومئذ في سن الشيخوخة وكان عالماً فاضلاً متورعاً فاستقام له الامر نحو شهرين وخطب له
 في جميع أهال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن أخيه السيد أبي محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعدل
 كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ أبان زيد بن رجان المعروف بالأصفر وكان من دهامة الموحدين وكان
 المنصور رحمه الله اذ ارآه يدستعيذ بالله من شره ويقول ماذا يجري على يدك من الفتن يا أصفر وكان
 من خبره انه لما بويع الخلويع أمر باطلاق ابن رجان لانه كان محبوباً على ما عدا ابن خلدون فاطلق
 ثم صد ابن جامع عن ذلك وأغذأه أبا اسحق في الاسطول ليغربه الى ميورقة فلما ذاب رجان حينئذ
 بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية ونزل منه منزلة الوزير وأغراه بالثوب على الامر وشهد له انه سمع
 من المنصور رحمه الله العهد له بالخلافة من بعد الناصر وقال له فيما قال انك أحق بالخلافة من عبد الواحد
 أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ولك الرأي وحسن السياسة والحزم ولودعوت الموحدين
 الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان وكان الناس على كره من ابن جامع وولاية الاندلس يومئذ كلهم بنو
 المنصور فاضنى اليه عبد الله هذا وكان متردداً في بيعته معه فبرز الى مجلس حكمه واستدعى من مرسية
 وأهال الموحدين والفقهاء والاشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه وتسمى بالعدل وكان اخوته أبو
 العلاء الاصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان
 أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبلياسي صاحب جيان وقد عزله الخلويع
 بعنه أبي الربيع بن أبي حفص فانتقض وبايع للعدل وزحف مع أبي العلاء صاحب قرطبة وهو أخو
 العدل الى اشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والخلويع فدخول في دعوتهم وامتنع السيد أبو زيد
 ابن أبي عبد الله الخلويع عن بيعته للعدل وتمسك بطاعة الخلويع وخرج العدل من مرسية الى اشبيلية
 فدخلها مع أبي زيد بن رجان وبلغ الخبر الى مرا كشي فاختلف الموحدون على الخلويع وبادروا بغزله
 ابن جامع وتفرق به الى هسكورة لكرهيتهم له وجرت خطوب أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله **﴿**وفي
 القرطاس **﴾** ان عبد الله العدل كتب الى اشياخ الموحدين الذين بمحضرة مرا كشي يدعوهم الى بيعته
 وخالع عبد الواحد وعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجارية له تسارعوا
 الى ذلك ودخلوا على عبد الواحد وتهذوه بالقتل الا ان يتخلع نفسه ويباع للعدل فأجابهم على ذلك
 فخرجوا عنه ووكلوا بالقصر من يحفظه وكان ذلك يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة احدى

وعشرين وستمائة فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضي والقهاء
والاشياخ فاشهدوا على نفسه بالخلع وبايع للعادل ثم دخلوا عليه بعد مضي ثلاث عشرة ليلة من خلعه
نخفقوه حتى مات وانتهبوا قصره واستولوا على أمواله وحرّبه فكان عبد الواحد هذا أول من خلع وقتل
من بني عبد المؤمن وصاروا شياخ الموحدين لخلعناهم كالأثر الكلبى العباس فكان فعلهم ذلك سبب الذهاب
ملكهم وانقراض دولتهم والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وكانت وفاة عبد الواحد
المخلوع خامس رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمائة

الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله

يودع له البيعة الأولى بمصرية من بلاد الاندلس منتصف صفر سنة احدى وعشرين وستمائة وتلقب
بالعادل في أحكام الله ثم خصص له الامر وبايعه كافة الموحدين وخطب له بحضرة مراکش وأخو شعبان
من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبي عبد الله أخو البياسى كما ذكرنا آنفاً وكان
واليا على بلنسية وشاطبة ودانية ولما رأى السيد أبو محمد البياسى أخاه السيد أبا زيد توقف عن بيعته
العادل وضبط بلاده نارهو بياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقيباطة وحسون النغرا الاوسط
وتلقب بالطافر واتمادى البياسى لقيامه من بياسة فوصلت بيعة الموحدين من مراکش الى العادل
ومعها كتاب أبي زكريا يحيى بن الشهيد شيخ هنتانة بقصة المخلوع وما كان من أمره فصادف وصولها
هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مراکش وبعث أخاه السيد أبا العلاء الأصغر وهو ادريس
ابن المنصور في جيش كثيف الى البياسى فحاصره بياسة ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والالتقياد
وبادع للعادل حتى اذا أفرج عنه أبو العلاء عاد الى النكث وبعث الى الفتنس يستنصره على العادل وضمن
له ان ينزل له عن بياسة وقيباطة فكان أول من ستن اعطاء الحصون والبلاد للفرنج فوجه اليه الفتنس
بجيش من عشرين ألفاً ولما توافقت يديه جوع الفرنج فخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دانها من اخرج
اليه السيد أبو العلاء الأصغر وهو الذى دعى بعد بالأمون فالتقوا واقته لواقته لاشديد افانهم لم السيد
أبو العلاء واستولى البياسى والفرنج على محلاتهما فبها من أثاث وسلاح ودواب وغير ذلك ولما رأى
العادل ما وقع باخيه وجنده خشى أن يتفاهم داء البياسى ويمتد عباب فتنته الى مراکش فترك أخاه
أبو العلاء قبائلته وعبر البحر الى العدو ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي
حفص المدعو بعبو اقبال له العادل كيف حالك فانشده

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه افرقية وهذا البيت لابي الطيب المتنبى وانما تمثل به عبو الموافقة اسم
منصور فيه لاسم والد العادل فحسن التمثيل به وانتهى العادل في سيره الى سلا فاقام بها وبعث عن شيوخ
جشم عرب تامسنا وكان لابن ريجان عناية واختصاص به لال بن حميدان أمير الخلط فتناقل جر مون
ابن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ثم بادر العادل الى مراکش وقاسى في طريقه اليها من
العرب شداً ثم دخلها واستوزر أبا زيد بن عبد الواحد بن أبي حفص وتغير لابن ريجان ففسد باطنه
وسعى في افساد الدولة وغلب أبو زكريا بن الشهيد شيخ هنتانة ويوسف بن علي شيخ تيممل على أمر العادل
ثم خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة وعاقوا في نواحي مراکش وخرى ببلاد كالة فخرج اليهم
ابن ريجان فلم يبق شيئاً فانفذ اليهم العادل عسكرياً من الموحدين لئلا يظن ابراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ
أبي حفص فانهم وقتل واضطربت الاحوال على العادل وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهما
للحشد ومدافعة هسكورة والعرب فاتفقا أيضاً على خلع العادل واضطربت الامور ولما انتهى الى أبي
العلاء صاحب الاندلس خبر أخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الاضطراب دعاه لنفسه باشيابة

فبوجها وأجابها أكثر أهل الأندلس وتلقب بالمأمون ويأبى له السيد أبو زيد صاحب بلنسية وهو أخو
البياسي وكان ذلك في أوائل شوال سنة أربع وعشرين وستمائة ولما تمت بيعته كتب إلى الموحدين الذين
بمراكش يدعوهم إلى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الأندلس والموحدين الذين به عليه ووعدهم في ذلك
ومناهم فكان منهم بعض توقف ثم أجمع رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل فدخلوا عليه قصره
وسألوه أن يخاع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ودمسوا رأسه في حصة ماء كانت هناك وقالوا له لا تفارقك
أو تشهد على نفسك بالخلع فقال اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت إلا أمير المؤمنين فوضعوا عمامته في عنقه
وخنقوه ورأسه في الحصة حتى فاط وكان خيرا فاضل لرحمة الله وكانت وفاته في الحادي والعشرين
من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة وكتبوا ببيعتهم إلى أبي العلاء المأمون وبعثوا إليه مع البريد
ثم بداهم في بيعته المأمون بعد انفصال البريد عنهم فمكثوا بها ويبيعوا يحيى بن الناصر بن المنصور
واضطربت الأحوال بالمغرب والأندلس وطما عباب الفتن بها وكان ما ذكره

خبر عن دولة المأمون بن المنصور ومراحمته يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتفاض الموحدين والعرب بالحضرة
على أخيه وتلاشى أمره دعا لنفسه بأشبيلية ويأبى له أهل الأندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا
ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلمون من شهامته وصرامته وتخلقه
بأخلاق الججاج بن يوسف وتخوفوا أن يأخذهم يدم معه عبد الواحد الخلويع ثم أخيه عبد الله العادل فاتفق
رأيهم على مبايعته يحيى بن الناصر بن المنصور وهو شاب غر كابل عذاره وانما وقع اختيارهم عليه ليكون
أطوع لهم فإن سنة يومئذ كانت ست عشرة سنة فبايعوه بجامع المنصور من قصبه مراكش بعد صلاة
العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة وامتنع عرب الخلط
وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلانكسك ببيعته وتأخر قدوم المأمون إلى مراكش
وبقي بالأندلس لأسباب يأتي شرحها وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بهابض الشيء وجهز جيشا
من الموحدين والجندي قاتل الخلط وهسكورة وهم يومئذ في طاعة المأمون فانهزم جيش يحيى وقتل
منه خلق كثير وعاد مغلولا إلى مراكش ثم أطلع يحيى على مداخلة أبي زيد بن رجان للعرب وهسكورة
في الغارة على مراكش وأطلع على ذلك أيضا أبو بكر يحيى بن الشهيد فقتل أبان زيد بن رجان وابنه عبد
الله ونصب رؤسهم على باب السكحل وطوق أجسادها بأسواق المدينة ثم اضطربت الأحوال على يحيى
وانتقضت البلاد وغلث الأسعار وعم الخراب والفساد بالبلاد المغرب واستحوذ بنو مري بن علي ضواحيه
وضايقوا الموحدين في كثير من أمصاره واقتضوا حبايته ونبغت الثوار في الاقطار على ما ذكره

خبر عن محمد بن أبي الطواجين الكفاي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة نار بجبال غمارة محمد بن أبي الطواجين الكفاي المتبني وكان أبوه
من قهر كرامة منقبض عن الناس وكان ينتحل صناعة الكيمياء فكان يلقب بابي الطواجين لكثرة
الظروف التي كان يستعملها في ذلك بزعمه وتلقن ذلك عنه ابنه محمد هذا ثم ارتحل إلى سبتة ونزل على بني
سعيد باحوارها وادعى صناعة الكيمياء فقبه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعا من
السعيرة فكثرتابعوه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهدا وزحفت إليه عساكر سبتة ففتر عنهم ثم قتله
بعض البرابرة عميلة بوادي لاو بين بلاد بني سعيد وبلاد بني زيات وابن أبي الطواجين هذا هو الذي
تسبب في قتل الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه على ما ذكره بعد ان شاء الله

خبر أخبار الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن في أقطاره ونواحيه وانتزى السادة منهم نواحي الاندلس كل في عمله واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية وتزاوله عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضمائر أهل الاندلس عليهم وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف بن هود من أعقاب بني هود الجذاميين مالوك الطوائف بسرقسطة وكان يؤتمل لهاور بما امتحنه الموحدون لذلك مرات فخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وثمانمائة وجهاز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران. وسمى بن يوسف بن عبد المؤمن عسكري فهزمهم وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد وفي ذلك يقول ابن الخطيب في رقم الحقل عند ذكره لبني هود هؤلاء

وكان من أعقابه الامير * محمد بن يوسف الاخبر

وكان بأسلا شديد الباس * وبادع المستنصر العباسي

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وهو أخو الياسمي المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون وهو يومئذ باشيلية فخرج في العساکر ولقيسه ابن هود فانهزم واتبه المأمون الى مرسية فحاصره مدة وامتعت عليه فاقطع عنه ورجع الى اشيلية ثم انتقض على السيد أبي زيد بالنسيه زيان بن أبي الجمالات مدافع بن أبي الحاج يوسف بن سعد بن مردنيش وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وثمانمائة وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس رقوة فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث اليه ولطفه في الرجوع فأبى فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشاونة ودخل في دين النصرانية والاعمال بالله وبادع أهل شاطبة لابن هود ثم تابعت بلاد الاندلس على بيعته ودخل في طاعته أهل قرطبة واشيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراکش ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان ثم في سنة تسع وعشرين وثمانمائة نار محمد ابن يوسف بن نصر المعروف بابن الاجر يجمع من ارجونه من أعمال قرطبة ودعا لابن كريا الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في طاعته أهل قرطبة وتنازع ابن الاجر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذبا حبس الملك بها وكانت خطوط استولى الطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاجر في الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره

وقدم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس الى مراکش وما اتفق له في ذلك

قد تقدم لنا ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبادعوا أخاه المأمون وبعده انفصال البريد بالبيعة ندموا وبادعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون وهو يومئذ باشيلية فسر بها وأمر باقراؤها على منابر الاندلس ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراکش دار ملكهم فسار حتى اذ وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا ببيعتهم وبادعوا ابن أخيه يحيى فوجم لذلك وأطرق مليا ثم أنشد متمثلا بقول حسان رضي الله عنه

لتسمن وشيكافي ديارهم * الله أكبر يا نارات عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث له جيشا من الفرنج يجوزهم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فنشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وأن يبنى بمراكش اذا دخلها الجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهر فيها دينهم ويضربون فيها ناقوسهم لصواتهم وان من أسلم منهم لا يقبل منه اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه باحكامهم الى غير ذلك فأسعفه المأمون في جميع ما طلب منه وكان يحيى بن الناصر صاحب مراکش لما رأى اختلال أحوالها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعنه المأمون خرج فاربا بنفسه الى تينال وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثمانمائة ولما فرج يحيى عن الخضرة قدم أشياخ

الموحدين الذين بها والياض بطنها للمؤمنين بما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ويرغبون اليه في القدوم عليهم وكتب اليه أيضا هلال بن جيدان أمير الخياط واستمر يحيى معتصما بالجبل أربعة أشهر ثم بداه فعاد الى مراکش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واستمر بها نحو سبعة أيام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به وأقام منتظرا القدوم المأمون ودفاعه عن مراکش ثم بعث صاحب قشتالة الى المأمون جيشا من اثني عشر ألفا يرسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة من السنة المذكورة وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها فأراح بسبته أياما ثم نهض الى مراکش حتى اذا نادى منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين وذلك عشي يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الاوّل من السنة الداخلة فانهمز يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المأمون حضرة مراکش وبياعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المنصور وكان علامة أديبا بلغا فخطب الناس وأمن المهدي على المنبر وقال لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ألا المهدي الاعشى وانا قد نبذنا أمره الفسّس ولما انتهى الى آخر خطبته قال معشر الموحدين لا تظنوا اني أنا الدريس الذي تدرس دولتك على يده كاذبا انه سيأتي بعدى ان شاء الله ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد يدعوهم المهدي من السكة والخطبة وتغيير سنته التي ابتدعتها للموحدين وجرى عليه اسلغهم ونعى عليه التدهاء للصلاة باللغة البربرية ووزيادته في أذان الصبح أصبح والله الحمد وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدي وأمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعة وقال كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل الى ابقائه وأبدأ في ذلك وأعاد ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثا ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأسيّاح الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد وأكثرت في الأرض الفساد ونقضتم العهود وبذلت في حربنا المجهود وقتلتم الاخوان والاعمام ولم ترقبوا فيهم الا ولا ذمام ثم أخرج كتاب بيعتهم الذي بعثوا به اليه واحتج عليهم بكتبتهم الذي نكثوا بعده فقامت الحجّة عليهم فبهتوا وسقط في أيديهم والتفت الى قاضيه المكبيدي وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية فقال له ما ترى أيهما القاضى في أمر هؤلاء الناكثين فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه الآية فقال المأمون صدق الله العظيم فاننا نكث فيهم بحكم الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ثم أمر بجميع أشيّاخ الموحدين وأسرهم فحبسوا الى مصارعهم وقتلوا من عند آخرهم ولم يبق على كبريهم ولا صغيرهم حتى انه أتى ببن أخت له صغير فقال ان سنة كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن فلما قدم للقتل قال له يا أمير المؤمنين اعف عنى لثلاث قال ما هنّ قال صغر سننى وقرب رحى وحفظى لكتاب الله العزيز فقال ان المأمون نظر الى القاضى كما استشير له وقتل له كيف ترى قوة جاش هذا الغلام واقدامه على الكلام في هذا المقام فقال القاضى يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا عبدك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فمربه يقتل رحمة الله ثم أمر بالروس فعملت بدائر سور المدينة (ذكر ابن أبي زرع) انها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمان قيفتت بم المدينة وتأذى الناس بريحتها فرفع اليه ذلك فقال ان ههنا مجانين وان تلك الروس حروزلهم لا يصلح حالهم الا بها وانها العطرة عند المحبين وثنته عند البعضين ثم أنشد

أهل الحرابة والفساد من الورى * يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لتبيرة * بالقطع والتعليق في الاشجار
فروضهم ذكرى اذا ما أبصرت * فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار

وكذا القصاص حياة أرباب النوى * والعادل مالوف بكل جوار

لوعم حمل الله سائر خلقه * ما كان أكثرهم من أهل النار

وهذه الفتكة التي ارتكبها المأمون من الموحدين أنست فتكة الحارث بن ظالم والبراض الكافي
والخفاف بن حكيم وهي التي استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم وأذن المأمون للناصرى القادمين معه
في بناء الكنيسة وسطها كاش على شرطهم المتقدم فضرروا بها واطيسهم وكانت الكنيسة في الموضع
المعروف بالسجينة وقبض على قاضي الجماعة بمرأ كاش وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الحق فقيده ودفعه
الى هلال بن جيدان الخياطى فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار وأقام المأمون بمرأ كاش
خمس عشرة شهر ثم نهض الى الجبل لقتال يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة
سبع وعشرين وستمائة فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة فانهم زيمى وقاتل من أسكروه ومن أهل
الجبل خلق كثير سبق من رؤسهم الى مرأ كاش أربعة آلاف رأس **﴿وفى هذه السنة﴾** استبد الامير
أبوزكريا بن الشيخ أبى محمد بن أبى حفص الهنتاى بافريقية وخلق طاعة الموحدين **﴿وفى سنة ثمان
وعشرين بعد هاج﴾** نفذت كتب المأمون الى سائر البلاد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيها
خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها بن هود النائر بها وقتلتهم العامة في كل وجه
﴿وفى سنة تسع وعشرين بعد هاج﴾ خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة
سبته وتسمى بالمؤيد فاتصل الخبر بالمأمون فخرج اليه وبلغه في طريقه ان قبائل بني فازان ومكلاثة
قد حاصروا مكاسة وعاتوا فى نواحيها فسار اليهم وحسبهم مادة فسادهم وعاد الى سبته فحاصرها انحاء
السيد أبو موسى مدة فلم يقدر منه على شئ وكانت سبته من أحصن مدن المغرب ولما طالت غيبة المأمون
عن الحضرة اغتم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن
عيسى ومعهم أبو سعيد بن واودين شيخ هنتاثة وعاتوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها وقتلوا
كثيرا من يهودها وسبوا أموالهم ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجد به الى الجبل واتصل الخبر
بالمأمون وهو على حصار سبته فارتحل عنها مسرعا الى مرأ كاش وذلك في ذى الحجة من السنة المذكورة
ولما أبعد عن سبته عبر أبو موسى صاحبها الى الاندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبته فعرضه ابن هود عنها
بالرية فكان السيد أبو موسى بها الى ان مات وانتهى الخبر الى المأمون وهو فى طريقه بان ابن هود
قد ملك سبته فتوالت عليه الفجائع فرض أسفاومات بوادى العبيد وهو قافل من حصار سبته وكانت
وفاته فى آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة افتقرت دولة
الموحدين فيها فرقين فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها
وذهب نخوتها على يده قالوا ولولا ان الامور قد استحال الى ما ذكر لكان المأمون موافقا لابييه
المنصور فى كثير من الخلال ومتبع سنته فى جل الاحوال وكان المأمون فصيح اللسان فقيها حافظا
للحديث ضابطا للرواية عارفا بالقرآت حسن الصوت والتلاوة مقدما فى علم اللغة والعربية
والادب وأيام الناس كاتبا بليغا حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخارى
والموطأ وسنن أبى داود وكان مع ذلك شهما حازما مقبدا ما على عظام الامور ولما خلافة والبلاد
تضطرم نارها والمالك قد توزعت الثوار فكان المأمون اذا فكر فى حال الثوار وما آل اليه حال الدولة

معهم ومادهاه من كثيرتهم ينشد متمثلا

تسكارت الطباء على خدائش * فبايدرى خدائش ما يصيد

يشير الى حاله معهم وانهم لم يدروا يتلافى من ذلك والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن دولة أبى محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور روجه الله﴾

المهلك المأمون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد **﴿ قال ابن زرع ﴾** بويع له بالخلافة بوادي
العبيد ثاني يوم من وفاة أبيه وهو يوم الاحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة وسنه يومئذ أربع عشرة سنة
وكان الذين أخذوا له البيعة كانوا بن جرهمون السفيناني وشعيب بن اوقاريط الهسكوري وفرنسيميل
قائد جيش الفرنج فانه لما مات المأمون كتمت جاريته موته واسمها حجاب وكانت فرنجية الاصل ومن
دهاة النساء وعقلائهن وهي أم الرشيد فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة وكانوا عمدة جيش المأمون يركب
كل واحد منهم في أزيد من عشرة آلاف من قومه وأعوانه ولان أهل الحل والعقد من الموحدين قد
أتت عليهم فتكة المأمون كما مر فجاؤا اليها فأعلمتهم بموت الخليفة ووعبت اليهم في بيعة ابنها الرشيد
والقيام معه وبذلت لهم على ذلك أموال الجبة ووعدهم مع ذلك انهم اذا فتحوا الحضرة وكان يحيى قد
استولى عليها كما قلنا تجعلها لهم فيثا فبايعوه وأخذوا البيعة له على من سواهم فبايع الناس طوعا
وكرها خوفا من سيوفهم ولما تم أمره جعل أباه في تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراکش وسمع يحيى
وأهل مراکش بما شرطته حباب العقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيثا فخرجوا القتال الرشيد بأجمعهم
واستخف يحيى على مراکش أباسعيد بن واتودين والتقى الجمعان فاقتتلا فانهزم يحيى وقتل أكثر من معه
وصبح الرشيد مراکش فتحصن منه أهلها فأمنهم وصالح قائد الفرنج وأصحابه على فيثا بنجسة آلاف
دينار ودخل الرشيد مراکش واستقر بها وكان قد وصل في صحبته عمه السيد أبو محمد سعد بن المنصور
فحل من تلك الدولة بجان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقر الرشيد بمراکش قدم عليه عمر
ابن اوقاريط الهسكوري صحبة أولاد المأمون الذين كانوا باشييلية ونفاهم ابن هود عنها وكان ابن اوقاريط
هذا منحرفا عن المأمون أيام حياته فتذمعت بصحبة هؤلاء الاولاد وقدم على الرشيد فتقبله واتصل بالسيد
أبي محمد وحسنت منزلته لديه ثم لما هلك السيد أبو محمد خلق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجهه
الخلاف وأخذ يدعو يحيى بن الناصر واستنفر له قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة احدى
وثلاثين وستمائة واستخف على الحضرة صهره أبا العلاء ادريس وصعد اليهم الجبل فأوقع يحيى
وجوعه بكانهم من هزيمة واستولى على معسكرهم وخلق يحيى بياد سجلماسة وانكفأ الرشيد راجعا
الى حضرته واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأتمهم ولحقوا بحضرته وكان كبيرهم
أبو عثمان سعيد بن زكريا القديمي وجاءه الباقيون على أثره بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان أزاله
المأمون من رسوم المهدي وسننه فأعيدت واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدي واستقامت الاحوال
في هذه الايام الى ان كان ما نذكره

بؤقتة الخلط مع الرشيد واستيلاؤهم على حضرة مراکش

كان مسعود بن جيد ان كبير الخلط قد أغراه عمر بن اوقاريط بالخلاف لصحبة بينهما وكان مدلا بياسه
وكثرة جموعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثني عشر فارس سوى الرجل والاتباع والحشود فرض
مسعود في الطاعة وتناقل عن الوفادة الى الحضرة ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلتهم على الرشيد
غاظه ذلك وأخذ في السعي للفرقة والشتات بينهم فاعمل الرشيد الحيلة في استعدائه وصرف عساكره
الى بعض الجهات حتى خلا مسعود الجحش وذهب عنه الريب واستقدمه الرشيد فأسرع اللحاق بالحضرة
وقدم معه معاوية عم عمر بن اوقاريط فقبض على معارفة وقتل لحينه واستدعى الرشيد ابن جيدان الى
الجلس الخلافي للحديث فقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساغسند
بعد جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة في نفسه منهم ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم يحيى
ابن هلال بن جيدان وأجلبوا على سائر النواحي وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه
بقاصية الصحراء وداخلهم في ذلك عمر بن اوقاريط وزحف والحصار مراکش وخرجت العساكر لقتالهم

ومعهم عبد الصمد بن يولان فدفع ابن أوقار يط بجموعه في تلك العساكر فانهزموا وأحيط بجنود
النصارى فقتلوا وتفانم الأمر بالحضرة وعدمت القوات واعتزم الرشيد على الخروج إلى جبال الموحد بن
نخرج إليها وسار منها إلى سجلماسة فلما كها واشتد الحصار على مراكش واقتحمها يحيى بن الناصر
وأنصاره من الخلط وهسكورة فقبوها وساء أثرهم فيها واضطربت أحوال الخلفة بها وتغلب على
السلطان السيد أبو إبراهيم بن أبي حفص الملقب بابي حافة وهذه الفتن كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها

وفي هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة نازل الفرنج الجنوبون سبتة باحسان لا تحصى
ونصبوا عليها المنجنيقات والآلات المعدة للحصار واستمر وعلى ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وثلاثين
بعدها فلم يقدر وانها على شيء ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج في الإفراج عنهم
بأربعمائة ألف دينار فقبوا وأقنعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم

عود الرشيد إلى مراكش وفرار يحيى عنها إلى بني معقل ومقتله بهم

وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش
وخطب جرمون بن عيسى وقومه من سبتيان فأجابوه وعبروا وادى أم الربيع وبرز إليه يحيى في جموعه
والتقى الفريقان فانهزم جرمون بجيحه واستمر القتل فيهم ودخل الرشيد إلى الحضرة طافرا وأشار ابن
أوقار يط على الخلط بالاستصراخ بأن هو وصاحب الأندلس والاختذ بدعوته فكنوا ببيعة يحيى وبعثوا
وفدهم إلى ابن هود صحبة ابن أوقار يط فاستقر هنالك ولم يرجع اليهم فولا فعمل الخلط انها حيلة من ابن
أوقار يط وانه تخلص من الورطة وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه وسار إلى فاس فأقام
بها أياما وفرق في فقهاؤها وصلحائها أموالا ووربا عاملة وسرح وزيره السيد أبا سجد إلى غمارة وفازان
لجباية أموالهما وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب معقل فأجأوه ووعده النصر
واشتموا عليه في المطالب فأسف بعضهم بالمنع فاعتاله في جهة تازا وسبق رأسه إلى الرشيد بفاس فبعثه
إلى مراكش وأوعز إلى نائبه بها أبي علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم حسن بن
زيد شيخ العاصم وقائدو قاندا بنا عاصم شيخ بني جابر فقتلهم وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرة سنة أربع
وثلاثين وستمائة وكان ابن أوقار يط لما فصل إلى ابن هود صاحب الأندلس أقام عنده إلى هذه السنة
فركب البحر في اسطول من أساطيل ابن هود وقصد مدينة سلوهم أيومئذ السيد أبو العاصم الرشيد
فأزلهما وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بالأطائل وفي سنة خمس وثلاثين بعدها يحيى تابع أهل اشبيلية
للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الحدو وصل وفد هم إلى الحضرة ومروا في
طريقهم بسبتة فاقنطى أهلها بهم في بيعة الرشيد وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد أبا علي بن
خداص منهم وانصرف وفد اشبيلية وسبتة راضين واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طامته
بعد مقتل يحيى فقدموا عليه وتقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حالهم واحياهم ثم أمر بقتل
مشيخهم وقتل معهم ابن أوقار يط وكان أهل اشبيلية قد بعثوا إليه فقطع دارهم وفي سنة ست
وثلاثين وستمائة وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المرزوق بن الأجر النائر بالاندلس على ابن هود
وكان قد بايع أولا أبا بكر الخفصى صاحب إفريقية ثم بدله فرد البيعة إلى الرشيد وفي هذه السنة
كان استيلاء العدو ودمر الله على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ودار ملكتها وذلك يوم الأحد الثالث
والعشرين من شوال من السنة المذكورة وفي سنة سبع وثلاثين بعدها انتشر بنو مرين ببلاد المغرب
واشتدت شوكتهم به وزحف إليهم الرشيد فهزوه ثم زحف ثانية وثالثة فهزوه وأقام في محاربته

استيلاء العدو على قرطبة

سنتين ورجع عنهم الى الحضرة فاشتهدوا منهم بالمغرب وألحوا على مكاسة حتى أعطوا الاتاوة لبني حسانة منهم واتصل عليهم في نواحيها في سنة تسع وثلاثين وستمائة هـ قتل الرشيد كاتبه ابن المومياقي لما دخلته له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ووقف الرشيد على كتبه بخطه غلط الرسول بها فقد فها بدار الخلافة فوعدت الى الرشيد فقتله

وفاته الرشيد رحمه الله

مات الرشيد رحمه الله غريفا في بعض صهاريج بستانه بحضرة مرزا كس وذلك يوم الخميس تاسع جادى الآخرة سنة أربعين وستمائة ويقال انه أخرج من الماء حيا فم لوفنه ومات وذكر أبو عبد الله الكنسوس ان غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الهنداء من أجدال اليوم قال وكان يقال لها البحر الاصفر لان مملوك بني عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة والله تعالى أعلم

الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك الرشيد بويع أخوه لا ييه أبو الحسن على المدعو السعيد بتعيين أبي محمد بن وانودين وتلقب بالمعتضد بالله واستوزر السيد أباسحق ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى بن عطوش وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واسمته في أموالهم واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جنم واستظهر بمجموعهم على أمره وكان شيخ سفيان كاتون بن جرمون كبير مجلسه وكان ضرر بن مريم قد تغاقم بالمغرب وداؤهم قد أعضل فخرج السعيد سنة اثنتين وأربعين وستمائة لتمهيد بلاد المغرب فانتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من أرض فاس وعقد المهادنة مع بني مريم وقتل الى مرزا كس فكانت هدية على دخن فلم يلبث الا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاث وأربعين بعدها واستخلف السيد أبازيد ابن السيد أبي ابراهيم أخا الوزير المذكور آنفا على مرزا كس واستعمل أخاهما السيد أباحفص وهو المرتضى على سلا وسار نحو بني مريم فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جوع زناة وصمد نحو حتى اذا تراها الجمعان وتنبأ القوم للقاء خالف كاتون بن جرمون الى آزمو رفاستولى عليها وغلب الموحدين عليها فراجع السعيد أدرجه في اتباعه ففر كاتون عنها فاعترضه السعيد فوقع به واستلم كثير من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كاتون ببني مريم ورجع السعيد الى الحضرة ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المريني الى مكاسة فضايقها وخطب طاعة أهلها فثار العامة بمكاسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وحذو شيوخها وكبرائها من سطوتهم فحولوا الدعوة الى الامير أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيتهم بمرا كس فبانيه أهل مكاسة بجواطة الامير أبي بكر بن عبد الحق فانه كان يدعو اليه في أول أمره وكذا أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بأمره عند مات له ملك المغرب حسبما تقتضيه بعد ان شاء الله وفي هذه السنة بعث أهل اشبيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبي زكريا الحفصي أيضا وبعث أبو علي بن خلاص صاحب سبتة اليه بهدية مع انه في اسطول أنشأه لذلك ففرق عند اقلاعه من المرسى وقبل هذه المدة ييسر كان الامير أبو زكريا الحفصي قد تغلب على تلمسان وبانيه صاحبها بمراسن بن زيان العبد الوادي وهو جد مملوك بني زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط فعظم قدر أبي زكريا بسبب هذه البيعات التي انثالت عليه من سائر الجهات وحدثته نفسه بالتوئب على كرمي الخلافة بمرا كس وغص بنوع عبد المؤمن بمكانه وعظم عليهم استبداده ثم طمعه في كرسيتهم وقرارة عزهم

مع انه ما كان الاجدول من بحرهم وفرعاً من دوحهم والامر كله لله

يغزوه السعيد من مراکش الى غزوات الثوار بالمغربين ومحاصرته يغمراسن
 بنو زيان وما آل اليه الامر من مقتله رحمه الله

لم يبلغ السعيد وهو عمرا كمش استبداد الامير أبي زكريان أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص المهتساق
 بافريقية ومبايعة امرء الجهات له أعمال نظره في الحركة الى هؤلاء الثوار والنهوض لتدوين هذه
 الاقطار وكان السعيد شهما حاز ما يقطن بهيد الهمة فنظر في اعطاف دولته وفاوض الملامن الموحدون
 في تثقيف اطرافها وتقويم اودها وحركهمهم وانار حفاظهمهم وأراههم كيف اقتطع عنهم الامر
 شيئاً فابن أبي حفص اقتطع افريقية ويغمراسن بن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة
 الحفصية وابن هوذا اقتطع الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس وابن الاجر بالجانب الاخر منها مقيم
 للدعوة الحفصية أيضاً وهؤلاء بنو مريم قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سمو الى تلك أمصاره
 وان سكتنا على هذا فيوشك أن يحتل الامر وتنقرض الدولة فتذامر واوداعوا الى النهوض اليهم فشد
 السعيد الجنود وجوز العساكر وأزاح عنهم واستنفر عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة
 ونهض من مراکش آخر سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكاسة وبني مريم أولاً ثم تلسان
 ويغمراسن ثانياً ثم افريقية وابن أبي حفص ثالثاً ولما نزل بوادي هبت أخذ في عرض عساكره وتغييرها
 فخرج الامير أبو بكر بن عبد الحق من مكاسة ليلا وحده يتجسس الاخبار فاستدعى على جوع السعيد
 فرأى ما لا قبل له به فعاد الى قومه وأفرج السعيد عن البلاد وتلاحقت به بنو مريم من أماكنها التي كان
 الامير أبو بكر أزلهم بها واجتمعوا عليه بخصن تازوطامن بلاد الريف وتقدم السعيد الى مكاسة فخرج
 اليه أهلها يطلبون منه العفو وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حرزوز وتلقوه
 بالصبيان من المكاتب على رؤسهم الاواح وبين أيديهم المصاحف وخرج النساء طسرات يطلبن العفو
 فحفا عنهم ثم ارتحل الى تازان في اتباع بني مريم وانتقل أبو بكر بن عبد الحق الى بني يرتاسن ثم راجع نظره
 في مسألة الموحدين والدخول في أمرهم فبعث يبيعه الى السعيد وهو يومئذ بتازان مع جماعة من وجوه
 بني مريم فقبلها السعيد وعفا لهم عما سلف فساءله وفدهم ان يستكن في بالامير أبي بكر في أمر تلسان
 وصاحبها يغمراسن بن زيان وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضاً بذلك يقول يا أمير المؤمنين ارجع الى
 حضرتك وقوتي بالجيش وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتح لك تلسان فاستشار السعيد وزراه فقالوا
 لا تفعل فان الزناتي أخو الزناتي لا يخذله ولا يسلمه فكتب اليه السعيد بان يبعث اليه جماعة من قومه
 يعسكرون معه فامده الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بني مريم وعقد عليهم لابن عمه أبي عباد
 ابن أبي يحيى بن جماعة وخرجوا تحت رايات السعيد ونهض من تازان يريد تلسان ويغزوا بني زرع وكان
 السعيد لما فرغ من أمر مكاسة عسكر بظاهر فاس وهناك أتته بيعة بني مريم قال ثم ارتحل السعيد
 عن فاس في الرابع عشر من محرم سنة ست وأربعين وستمائة وخسفت القمير تلك الليلة خسوفاً كلياً وأصبح
 السعيد غادياً يريد تلسان فلما ركب فرسه انكسر لواءه المنصوري فتطير وزل ولم يرتحل الا في اليوم
 السادس عشر من الشهر المذكور ولما سمع يغمراسن باقبال السعيد اليه خرج من تلسان في عشيرته وقومه
 من سائر بني عبدالواد وتحملوا باهليهم وأولادهم الى قلعة تاهمردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها وقد
 على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤدياً للطاعة وساعياً في مذهب الخدمة ومتولياً من حاجات
 الخليفة بتلسان ما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ومعتزراً عن تخلف يغمراسن عن الوصول الى حضرة
 السعيد فلج السعيد في شأنه ولم يعذره وأبى الامباشرة طاعته بنفسه وساعده في ذلك كانون بن جرمون
 السفياقي صاحب الشوري يجلسه ومن حضر من الملاوردوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه

فتناقل يعمراسن عن القدوم خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى أناخ بها في ساحة القلعة وأخذ يذبحهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركب بهجراني وقت القيالولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويتقربى مكانها فصره فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان كان أسفل الجبل بقصد الحراسة واتفق ان يعمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قريبين منه فعرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان وطعنه يوسف الشيطان فكبته عن فرسه وعمد يعقوب ابن جابر الى وزيره يحيى بن عطوش فقتله ثم استلموا الوقت ثم مواليه ناصحان العروج وعسبرامن النخيمان وقائد جنده الأنصاري وهو أخو القمط ووليد يافعا من ولد السعيد ويقال انما كان ذلك يوم عبي السعيد العساكر وصعد الجبل للاقتال وتقدم أمام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعدة في طريقه فتوانب عليه هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه وذلك منسوخ صفر سنة ست وأربعين وستمائة وانتهى الخبر الى المحلة فارتجت وماجت وأخذ أهلها في الفرار وبادر يعمراسن الى السعيد فقتل اليه وهو صريع على الأرض فحياه وفداه وأقسم له على البراءة من دمه والسعيد رحمه الله واجم عصره يعجود بنفسه الى ان فاظ وانتهب المعسكر بجملته واستولى بنو عبد الواد على ما كان به من الاخبية الحسنة والغازات الرفيعة واختص يعمراسن بنفس طاط الساطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التي كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه بنعمون انه أحد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته وأنه كان في خزانة قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار في ذخائر المتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم صار الى خزانة الموحدين من يد المتونة **ب** قال ابن خلدون وهو لهذا العهد في خزانة بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان وذلك عند غلب السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة كما ذكره اه وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثماني وفيه مخالفة لبعض ما هنا وسه يأتى لنا في دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ما يخالف ذلك كله والله أعلم بحقيقة الامر ومن الذخائر التي صارت ليعمراسن من فسطاط السعيد العدة المنتظم من خزائن الياقوت الفاخر والدر النفيس المشتمل على مئة متعددة من حصبائه وكان يسمى بالنعبان ثم صار الى بنى مرين أيضا الى ان تلف في البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن عمرى بجاية مرجعه من تونس حسب ما ذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لانفسهم ويعتدون من ذخائرهم ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيعة نظري يعمراسن في شأن موازاة الخليفة فجزه ورفعته على أعواده فدفعه بالعباد بقبيرة الشيخ أبي مدين رضى الله عنه ثم نظر في شأن حرمه وأختسه تاغزوت الشهيرة المذكور بعد ان جاءها واعتمر اليها مما وقع وأصحابه من جهة من شحنة بنى عبد الواد الى مأمنه فالحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان ليعمراسن بذلك حديث جميل في الابقاء على الحرم وورعى حقوق الملك وأما أهل محلة السعيد فانهم بعد من هزموا وجمعوا الى عبد الله بن السعيد وقلوا قاصدين مراكش واتصل الخبر بالامير أبي بكر بن عبد الحق وهو يومئذ بنى يزناسن وقدمت عليه الحصنة التي كان وجهها مع السعيد فتحقق الخبر وانتهز الفرصة في الموحدين فاعترض عسكرهم بجبهات تازا فقتل عبد الله بن السعيد واستلمهم واستولى على ما بقي من أناتهم ثم جدد السير الى مكاسة فدخلها وملكها ولحق فل الموحدين بمراكش فبايعوا عمر المرتضى كما ذكره ان شاء الله

ب الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله **ب**

لما توفي أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليامن قبله بقصبة رباط الفتح من سبلا كما قدمنا فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة وبعثوا اليه ونهض هو ومتوجهها الى مراكش فلقبه وفدهم أثناء طريقه بتماسنا واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا واستقام أمره

وتلقب بالمرضى وعقد ليعقوب بن كاثون على بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قدموه عليهم ودخل الحضرة واستوزر ابا محمد بن يونس من قرابته وقبض على حاشية السعيد ثم وصل أخوه السعيد أبو اسحق الذي كان وزير السعيد من قبل ناجيامن وقعة تاهر رذكت أخذ على طريق سجلماسة فاستوزره أيضا وأسند إليه أمره واستولى أبو بكر بن عبد الحق أمير بنى مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازاو مكاسة ثم استولى سنة سبع وأربعين وستمائة على فاس وأعمالها فاقطع عن المرتضى بلاد الغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلالى السوس ولاول دولة المرتضى كان استيلاء العدو على اشيلية احدى قواعد الاندلس فان طاعة قشتالة وهو الاصبنيول خذله الله حاصرها سنة خمس وأربعين وستمائة وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صلحا بعد منازلها حولها كاملا وخسة أشهر وانتقل كرسي المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة وذلك فى دولة بنى الاجر وفي سنة تسع وأربعين وستمائة ملك الامير أبو بكر المريني سلاور رباط الفتح ووفد على المرتضى براكش موسى بن زيان الونكاسى وأخوه على بن زيان من قبيل بنى مرين وأخروه بقتال بنى عبد الحق فاسعفهم ولما انتهى الى أمان ايلولين أشاع يعقوب بن جرمون السفيانى قضية الصلح بينهما وأصبح احلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى الى الحضرة وأغضى ليعقوب عما صدر منه وفي سنة خمسين وستمائة استرجع المرتضى سلاور رباط الفتح من يد بنى مرين وفي سنة احدى وخمسين بعدها فر من حاشية المرتضى على بن يدر من بنى باداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها ثم حاصر تار ودانت قاعدة بلاد السوس فاستولى عليها واستخدم الشبانات وذوى حسان من عرب معقل وأطاعته قبائل جزولة واستفحل أمره واستولى على بسائط السوس فوجه اليه المرتضى عدة جيوش فهزم البعض وقتل البعض ثم جاء أبو دبوس من بعد المرتضى فقبض اليه وحاصره ببعض حصونه قرب تار ودانت ولما اشتد عليه الحصار رغب فى الاقالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه أبو دبوس وأقنع عن حصاره وعاد الى الحضرة ولما استولى بنو مرين على مرراكش سنة ثمان وستين وستمائة استبد على بن يدر هذا عليهم وقتل قطر السوس واستولى على تار ودانت وسائر قراه ومعاقله وار هف حده للعرب وسامهم الهزيمة فزحفوا اليه وقتلوه فى السنة المذكورة ثم توارث قطر السوس من بعده جماعة من عشيرته واستمر ملكهم عليه الى زمان السلطان أبى الحسن المريني فقبلهم عليه وانقرض أمرهم

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة خرج أبو الحسن بن يعلا قائد المرتضى فى جيش من الموحدىن الى تامسنا ليكشف أحوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون السفيانى وعهد اليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بنى جابر فقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما الى الحضرة معقلين وفي سنة ثلاث وخمسين بعدها خرج المرتضى من مرراكش لاسترجاع فاس وأعمالها من يد بنى مرين المتعدين عليها واحتفل فى الاحتشاد وبالغ فى الاستعداد فكان جيشه ثمانين ألف فارس من الموحدىن والعرب والاعزاز وأهل الاندلس والفرنج فسار حتى نزل جبل بنى ماول قبلة فاس وكانت هيبسة بنى مرين وناموسهم قد تمكّن من قلوب جيش المرتضى فكانوا منذ قربوا من أحوار فاس لا ينامون الا غرارا فانطلق ذات ليلة فرس لبعض الجنديين وجرى بين الاخيصة وجرى الناس خلفه ليأخذوه فظن أهل المحلة ان بنى مرين قد أغاروا عليهم فركبوا اخيو لهم وماج بعضهم فى بعض وانقلبوا منهزمين لا يلاون على شىء واتصل الخبر بابى بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى على جميع ما فى محلة الموحدىن من الاخيصة والاثاث والصلاح والمال ومر المرتضى على وجهه فدخل مرراكش فى جمع قليل من الاشياخ والفرنج وأقام بها وأعرض عن بنى مرين وتسلّى عنهم سائر أيامه

وزدادت شوكة الموحدين ضعفا واستبدأ بالقاسم العزفي بسببته واستتب أمره بها وتوارث الرياسة بها
عشيرة من بعده زمانا إلى ان غلبهم عليها بنو مرين ^{بنو} وفي سنة خمس وخمسين وستمائة هـ استولى أبو بكر
ابن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن اصبكو واعد اخلة خديمه له يعرف بعبد
القطراني وشرط على الامير أبي بكر ان يكون هو الوالي عليها فامضى له شرطه وأنزل معه جماعة من
رجال بني مرين حتى اذهلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبدأ امر سجلماسة
وراجع دعوة المرتضى واعتذر اليه واشترط عليه الاستمداد فامضى له شرطه الا في أحكام الشريعة
وبعث أبو عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادة للنظر في القضية وقادما من النصارى بعسكر
للمحماية فاعمل القاضي ابن حجاج الحيلة في قتل القطراني وتولى الفتك به قائد النصارى واستبد السيد باهر
سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل أمر بني مرين أثناء ذلك ونزل الامير يعقوب بن عبد الحق بسائط
نامسنا فسرّح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن واودين فأجفوا الى وادي
أم الربيع واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم فغطف عليهم بنو مرين واقتتلوا بطن الوادي فانهمزمت
عساكر الموحدين وغدر بهم بنو جابر وكان في مسيل الوادي كدى يحسر عن الماء فقبذوا كأنها رجل
فسميت الواقعة من أجل ذلك بأمر الرجلين وذلك في سنة ستين وستمائة وبقى المرتضى يعالج أمر علي بن
يدر الثائر بالسوس الى سنة اثنتين وستين وستمائة فأقبل الامير يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين
حتى نزل على مراكش واتصلت الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها وأيامها لك فيها عبد الله بن يعقوب
ابن عبد الحق فبعث المرتضى الى أبيه يعقوب بالعزيزية ولاطغه وضرب اتاوة يبعث بها اليه في كل سنة
فرضي يعقوب وارتحل عنها وقيل ان مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة أم الرجلين
والله تعالى أعلم

انتقاض أبي دبوس على المرتضى واستيلائه على مراكش ومقتل المرتضى عقب ذلك

لما ارتحل بنو مرين عن مراكش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فر من الحضرة قائد حروب المرتضى وابن
عمه وهو السيد أبو العلاء ادريس الملقب بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص عمر
ابن عبد المؤمن اسعابية تمكنت فيه عند المرتضى وانه يطأ الامر لنفسه فأحس أبو دبوس بالشر ولحق
بيعقوب بن عبد الحق فادركه عند مقدمه الى فاس فاقبله من منزلة مراكش فأقبل عليه الامير يعقوب
وبالغ في اكرامه فطلب منه أبو دبوس الاعانة على حرب المرتضى وكان بطال محرابا وضمن له فتح مراكش
واشترطت له المقاسمة فيما يغلب عليه من السلطان وما يستغيمه من الذخيرة والمال فأمدّه الامير يعقوب
بخمسة آلاف من بني مرين وبالالكفاية من المال والمستجد من آلة الحرب من طبول وبنود ونحو
ذلك وكتب له مع ذلك الى عرب جشم وأميرهم يومئذ علي بن أبي علي الخلطي ان يكونوا معه يد واحدة
فسار أبو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها الى العرب وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة
المرتضى يدعوهم الى بيعته ويعددهم ويمنيهم فتلقتهم وفود العرب والهساكرة ووضهاجة آ زمور وبعض
الطريق فبايعوه وسار وامن حتى نزل بلاد هسكورة ثم كتب الى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه
بحال البلاد والدولة فراجعوه ان أسرع السير وأقبل ولا تخش شيئا فانا قد فرقنا الجند في أطراف البلاد
وهذا وقت نتهاز الفرصة فزحف أبو دبوس الى مراكش حتى اذا انتهى الى اغمات وجد بها الوزير أبا يزيد
ابن بيكيت في جيش من حاميتها فاجزه الحرب فانهمز ابن بيكيت وقتل عامة أصحابه وسار أبو دبوس يوم
مراكش ومعه عرب سفيان وبني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيفاني فلما دنوا من مراكش
أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رجمه بمصرع الباب ودخلت سنة
خمس وستين وستمائة والمرتضى عمرا كاش غافل عن شأن أبي ادريس والاسوار خالية من الحماية

والحراس فقصده أبو دؤوس باب اغمات وتصور البلدة من هنالك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
وصمد إلى القصة ففتحها من باب الطبول واستولى عليها **وقال ابن أبي زرع** **وقال ابن أبي دؤوس**
مرا كش كان من باب الصالحة وذلك ضحك يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس وستين
وسمائة والصالحة التي أضيف إليها هذا الباب هي بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة
بمراكش ولا زال هذا البستان مشهور بهذا الاسم إلى الآن وهو من إنشاء عبد المؤمن بن علي رحمه
الله وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذاري الأندلسي في كتاب البيمان المغرب عن أخبار المغرب
ان بستان المسرة الذي بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين قال وهو بستان
طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهي وجلب إليه الماء من اغمات واستنبت له عيوناً
كثيرة **وقال ابن اليسع** **وقال ابن أبي دؤوس** وما خرجت أنا من مرا كش في سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة الا وهذا
البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص
الفاكهة بمراكش اه **وقلت** **وقال ابن أبي دؤوس** ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لهجت به صبيانهم
ومصعبوا به فيقولون يا جادة مألحة أين بت سارحة في جنان الصالحة في اصباح غير هذه تجرى على
أسنة الصبيان والله أعلم **وقال ابن أبي زرع** **وقال ابن أبي دؤوس** لما اتهم أبو دؤوس مرا كش سارحتي وقف بياب البنود من القصة فقلقت

الابواب دونه وقام عبيد المخزن عليها قاتلونه ولما رأى المرتضى ان أباد دؤوس قد اختلف معه كساء دار
الملك خرج من القصر ناجياً بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير أبو زيد يعالوا الكومي وأبو موسى
ابن عزوز الهنتاقي فلقق بهنتاتة ثم انتقل منها إلى كدميوة ثم إلى شفشافة ثم لحق آخر باباً زمرور
ونزل على صهره من بني عطوش كان والياً عليها من قبله وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فاقنته
المرتضى بحال جسمه وزوجه ابنته وولاه آرمور فلما وقعت عليه الكائنات بمراكش ذهب إليه
مستخيراً به ومطمئناً إليه فكان من جزائه له ان قبض عليه وقيدته وكتب إلى أبي دؤوس يعلمه فكاتب
أبو دؤوس إليه يستكشفه في شأن الذخيرة فأذكر المرتضى ان يكون قد ذخر شياً وحاف على ذلك
ومت إليه بالرحم حتى عاد أبو دؤوس بعطف عليه ثم أغراه حاصته به فوجه إليه من قتله في الطريق
وأتى إليه برأسه وصار ابن عطوش بقلعة هذه أظلم من الخفيقان وكان مقتل المرتضى في العشر
الاول من شهر ربيع الاخر سنة خمس وستين وسمائة وكان رحمه الله ينتمي إلى التصوف والزهد
والورع وتسمى بثالث العمرين وكان مولعاً بالسمع لا يكاد يخلو منه ايلاً ولا نهاراً وكان في أيامه
رخاء مغرط لم ير أهل مرا كش مثله **وقال ابن الخطيب** **وقال ابن أبي دؤوس** كان المرتضى فاضلاً خيراً عفيفاً مغمداً سيف
مائل إلى الهدى رحمه الله تعالى

وقال ابن أبي زرع **وقال ابن أبي دؤوس** **وقال ابن أبي دؤوس** **وقال ابن أبي دؤوس**

لما اتهم أبو دؤوس حضرة الخلافة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها أبو دؤوس واستتب أمره بها
وبإيعام كافة الموحدين وأهل العقدة والحل من الوزراء والفقهاء والاشيخ وكان ذلك بجوامع المنصور
يوم الاحد الثالث والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وسمائة واستقل أبو دؤوس بمراكش
وأعمالها وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله وبذل العطاء ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية
ولما اتصل بالامير يعقوب بن عبد الحق ما كان من أبي دؤوس واستدلائه على الملكة كتب إليه يهنئه
بالفتح ويطلب منه ان يمكنه من الشرط الذي شرط له فلما وصل إليه الكتاب أدركته النخوة وغلب عليه
الكبر وقال للرسول قل ليعقوب بن عبد الحق يفتنم سلامته ويبعث إلى يبيعتته حتى أقره على ما يبيده

والاغزوته بجذود لا قبل له بها فعدا رسول الى الامير يعقوب وأبلغه الخبر ودفع اليه كتاب أبي دؤبوس
فاذ هو يخاطبه مخاطبة الخلقاء لعمالهم والروساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكته وغدره فنقض
اليه في جوع بني مرين وعساكر المغرب فلما أشرف على هراكش خام أبودؤبوس عن اللقاء وتحصن
بداره ولبأ الى أسواره فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على هراكش وحاصرها أياما وعاش في نواحيها
وانتسف ما حولها ولما رأى أبودؤبوس ما نزل به منه كتب الى قريبه يعمراسن بن زيان صاحب تلسان
يطلب منه ان يشغل عنه الامير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس والمغرب وأسنى له الهدية في ذلك
وأكد العهد في الموالاته والمناصرة فاجابه يعمراسن الى ذلك ونهض من حينه فشق الغارات على شعور
المغرب وأضرم نار الفتنة ثم واصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمرأ كاش فوجع عوده على بدنه
وسار الى يعمراسن ففاجزه الحرب وانتصف منه على ما ينبغي وحسم مادة فساده ثم كرر اجماعا الى
هراكش في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع شق الغارات على النواحي وبث
السرايا في الجهات وطال عيته في البلاد وأبدأ في ذلك وأعاد حتى ضاقت صدور بني عبدالمؤمن بمرا كاش
وتكذرت عيشهم فغرضهم أولياؤهم من عرب جشم وأغروهم باستنهاض أبي دؤبوس لمداغمة عدوه
وعدوهم النصره من أنفسهم فحرك أبودؤبوس لذلك واشترأت نفسه الى القتال فحشد وأبلغ وبرز من
الحضرة في جيوش ضخمة وجوع وافترة ولما علم الامير يعقوب بخروجه وذنوته منه أظهر من نفسه
العجز عن لقاءه وكررا جمعا الى جهة بلاده يستجبه بذلك ليعبده عن الحضرة ومددوها وتمادى أبودؤبوس
في اتباعه حتى انتهى الى وادي ودغفوا فذكر عليه الامير يعقوب والتخم القتال وقامت الحرب على ساق
فلم تمض الا ساعة حتى انهزم الموحدون وأطلق أبودؤبوس عنانه للفرار يريد هراكش فأدر كته خيل بني
مرين وتناوآته وما حوهم ونحو صريعا ليدن والضم واحترز رأسه ووجه الى الامير يعقوب فمجدد شكرا
لله تعالى ثم بعث به الى فاس وتقدم هو الى هراكش فاستولى عليه في أوائل محرم سنة ثمان وستين
وسمائة وفر الموحدون الذين كانوا بمرا كاش الى جبل تيجمل فبايعوا اسحق بن أبي ابراهيم أخا المرزقي فبقى
ذباله هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه ووجه الى السلطان يعقوب بن عبدالحق هو
وابن عمه السيد أبو سعيد بن أبي الربيع ووزيره القبائلي وأولاده فقطعوا جميعا وانقرضت دولة بني
عبدالمؤمن من الارض وذهبت محاسن هراكش يومئذ بذهاب دولتهم والبقاء لله وحده لا رب غيره
ولما عبودسواه بولند كرك ما كان في هذه المدة من الاحداث ففي سنة احدى وستمائة توفي الشيخ
أبو العباس أحمد بن جعفر الخزر جي المعروف بالسبتي دفين هراكش وذلك يوم الاثنين الثالث
من جادى الاخرة من السنة المذكورة ودفن خارج باب تاغزوت وكان شيخه أبو عبد الله الفخاوم
أصحاب القاضي أبي الفضل عياض وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه جميل الصورة أبيض اللون
حسن الثياب فصيح اللسان قادر على الكلام لا يناظره أحد الا أخيه حتى كأن مواقع الحجج من
الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه وكان مع ذلك حلما صبورا عطايا يحسن الى من يؤذيه ويحلم
عمن يسفه عليه براباليته والمساكين ورحيما بهم يجلس حيث أمكنه المجلس من الاسواق والطرق
ويحض الناس على الصدقة ويأتى بما جاء في فضلها من الايات والآثار فتنتال عليه من كل جانب
فيفرقها على المساكين وينصرف وكان له مع الله تعالى في التوكل عليه عقدا كيدا ومقام جيد قد ظهر أثره
على روضته المباركة بعد وفاته (حدث) أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزر جي قال بعثني أبو الوليد
ابن رشد من قرطبة وقال لي اذا رأيت أبا العباس السبتي بمرا كاش فانظر مذهبه وأعلمني به قال جلست مع
السبتي كثيرا الى ان حصلت مذهبه فاعلمته بذلك فقال لي أبو الوليد هذا رجل مذهبه ان الوجود
ينفعل بالجوهر وقال الوزير ابن الخطيب كان سيدي أبو العباس السبتي رضي الله عنه مقصودا في حياته

مستغاثا به في الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ومبني أمره على انفعال العالم عن الجلود
وكونه حكمة في تأثر الوجود له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته
وانصبت على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباينة قبره
بالصدقة الى بعثاله من أمأ كهسهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصي تحمهم أجنحة نياتهم
فنهوى اليه بقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة **توفي** في سنة عشر
وسمائه **توفي** كان الوفاء العظيم بالمغرب والاندلس **توفي** سنة ست عشرة وسمائه **توفي** الشيخ الفقيه
الصالح أبو اسحق ابراهيم بن محمد السلي البليقي ينتمي نسبه الى العباس بن مرداس السلي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو اسحق رحمه الله من كبار العلماء العاملين والرهاد المحققين مثابرا
على الاجتهاد والاقطاع الى الله تعالى وطهرت عليه به بلده المريية من عدوة الاندلس كرامات واجتمع
عليه خلق كثير وشاع ذكره هنالك فوشوا به الى الخليفة صاحب مرا كش وهو يوسف المنتصر
الموحدى فكتب الى عامله على المريية بأمره بتوجيه الشيخ أبي اسحق مكرما غير مرقوع ولما عزم العامل
على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا أن يحولوا بينه وبين العامل فقال لهم الشيخ طاعة
السلطان واجبة ولما انتهى الى مرا كش ودخل على المنتصر هابه وأجله وندم على ما كان منه اليه ثم بالغ
في اكرامه وبعد ذلك مرض الشيخ أبو اسحق وتوفي في السنة المذكورة واحتفل الناس بجنائزه وحضرها
الامراء والكبراء وكمر العامة نعشه واقسموا أعواده تبركابه وقبره مشهورا وعرا كش بسوق الدقيق
منها ويقرب ضريحه مسجد جامع ينسب اليه والعامة تقول جامع سيدي اسحق بدون لفظ الكنية
وليس كذلك **توفي** سنة سبع عشرة وسمائه **توفي** كان الجراد والقحط والغلاء الشديد باغرب وفيها ألف
الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المرأ كشي الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوف الى
رجال التصوف وذكر فيه انه لم يتعرض لذكر أحد من أولياء زمانه الاحياء غير انه ذكر ان من جملة
أولياء زمانه الذين كانوا في قبة الحياة الشيخ الصالح الصوفي أبو محمد صالح بن ينضار بن عفيان الدكالي ثم
المساجري تزيل رباط آسفي قال وهو الآن لا يفتر من الاجتهاد والمحافظة على المواصلة والاوراد ومن
كلامه الفقير ادس له نهاية الاموت قال وحدثني عنه تلامذته بجمائب من الكرامات والكلام على
الخواطر وهو على سنن المشايخ الاول رضى الله عنه **توفي** سنة اثنتين وعشرين وسمائه **توفي** الشيخ
أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين وتوفي رضى الله
عنه شهيدا يجبل العلم من جبال عمارة وقبره هنالك مشهور من أعظم مزارات المغرب وكان سبب
شهادته ان محمد بن أبي الطواجين الكفاي كان قد ثار بملك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة
حسب اسلافه وتبعه على ضلاله طعام غمارة والبر برفكان عدو الله يعص بكان الشيخ رضى الله عنه
لما آتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسول له
الشیطان انه لا يتم أمر مخرقته في تلك الناحية الا بقتل الشيخ فادس له جماعة من أتباعه وأشباعه فرصدوا
الشيخ حتى نزل من خلوته في سحر من الانصار الى عين هنالك قرب الجبل المذكور فوضأ منها وولى
راجعا الى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ومن الشائع انه أتق عليهم ضباب كثيف
أضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواحق تردوا منها في مهاوى سحيقة تمزقت فيها أشلاؤهم ولم يرجع منهم
مخبر والشيخ عبد السلام هذا هو ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرملة بن عيسى بن سلام بن تشديد اللام
ابن مزوار بن يعقوب الميم وبالراء المهملة أخيرا ابن جندرة واسمه علي بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم **توفي** هذه السنة أيضا **تأسس**
العدو والكافر على المسلمين بالاندلس وتوات له عليهم المهنائم جواضع متعددة واستولى على كثير

الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى نزلت المساجد والأسواق ﴿وفي سنة أربع وعشرين
 وثمانمائة﴾ اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع الفقير من القمح بخمسة عشر دينارا وعم الجرا
 بلاد المغرب ﴿وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة﴾ كان السيل العظيم بفاس هدم من
 سورها لقبلى نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا
 كثيرة وفنادق متعددة من عدوة الاندلس ﴿وفي سنة ثلاثين وثمانمائة﴾ كان
 الغلاء ببلاد المغرب وكثيرهم الجوع والوباء حتى بلغ الفقير من القمح ثمانين
 دينارا ونزلت الامصار من أهلها ﴿وفي سنة خمس وثلاثين
 وثمانمائة﴾ عاود الغلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس
 بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفير الواحد المائة من
 الناس ﴿وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة﴾
 وقع الحريق بأسواق فاس فاحترقت
 حارة باب السلسلة بأسرها الى
 حمام الرحبة وبالله
 تعالى العصمة
 والتوفيق
 تم

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله ابتداء دولة بنى مرين﴾